الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⴰⴽⵍⵉ ⵎⵓⵃⴻⵏⴷ ⵓⵍⵃⴰⵊ - ⵜⵓⴱⵉⵔⴻⴹ -
Faculté des Lettres et des Langues

القسم: اللغة والأدب العربي
التخصص: اللغة والأدب العربي

آليات تشكل الدّلالة الزّمانية في اللغة العربية
-دراسة تطبيقية في شعر نزار قباني-

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم

إعداد الطالب:
حميش خليل

إشراف الأستاذ:
أ د/ طهراوي بوعلام

تاريخ المناقشة 15 جويلية 2021

أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصّفة
1	أ د/عبد الرحمن عيساوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة العقيد أكلي محند أولحاج-البويرة	رئيسا
2	أ د/ بوعلام طهراوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة العقيد أكلي محند أولحاج -البويرة	مشرفا ومقرّرا
3	أ د/ رابح ملوك	أستاذ التعليم العالي	جامعة العقيد أكلي محند أولحاج-البويرة	ممتحنا
4	د/عمر بورنان	أستاذ محاضر "أ"	جامعة العقيد أكلي محند أولحاج-البويرة	ممتحنا
5	د/ مسعودة سليماني	أستاذ محاضر "أ"	جامعة مولود معمري – تيزي وزو-	ممتحنا
6	د/ زهر الدين رحماني	أستاذ محاضر "أ"	جامعة محمد البشير الإبراهيمي – برج بوعريريج-	ممتحنا

السنة الجامعية: 2021/2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

(طه:114)

شكر وعرفان

الشكر أولا لله -عزّ وجلّ- على توفيقه لي إلى إنجاز هذا البحث.

الشكر للمشرف الأستاذ الدكتور بوعلام طهراوي على قبوله الإشراف على هذه الرسالة.

الشكر لكل من ساهم من قريب أو من بعيد في دعم مشواري الدراسي من التعليم الابتدائي إلى اليوم.

إهـــــــــــداء

أهدي هذا العمل إلى اللغة العربية التي بقيت، وستبقى بإذن الله، صامدة شامخة رغم كلّ المكائد والمحن.

وأهديه إلى الوالدين الكريمين اللذين لهما كلّ الفضل في دراستي وطلبي للعلم. دون أن أنسى إخوتي وأخواتي كلّ باسمه وقدره.

كما أهديه إلى زوجتي حسينة، وابنتي بشرى، وابني عماد.

مـــــقدّمـــــة

المقدّمـــــــة: تعيش اللغة العربية في عصرنا الراهن حالة من التردّي والانحصار لم يسبق وأن عاشتهما خلال تاريخها الطويل؛ وهذا لأسباب كثيرة لا يتّسع المقام للحديث عنها في هذه المقدمة البسيطة، وقد زاد من حالة التردّي هذه بروزُ ظاهرةِ العولمة بمظاهرها المختلفة وتجلياتها المتعدّدة حيث فرضت هذه الظاهرة نموذجها الموحّد – ونعني بذلك النموذج الغربي– على كلّ المجتمعات وصبغتها بطابعها ولونها، مُلغية بذلك مختلف الخصوصيات والتّنوعات الثقافية والحضارية للأمم والمجتمعات، ولا يخفى على أحد كونُ اللغة من أهم المكونات الثقافية والحضارية لأيّ مجتمع، وبالتالي أصبحت اللغة العربية تعاني من فجوة كبيرة بينها وبين معطيات عصرنا الراهن، خاصة ما يتعلق منها بالجانب العلمي والتكنولوجي.

وقد فتح هذا الواقعُ المرير، الذي تعيشه اللغة العربية، البابَ على مصراعيه لتعالي أصوات كثيرة تكيل التّهم لها بالمجان، سواء كانت هذه الأصوات من أبناء هذه اللغة أو من غيرهم من المستشرقين أو الغربيين المغرضين؛ حيث اتّهموها بأنّها لغة الشّعر والبداوة، ولا تصلح لمعطيات الحضارة المعاصرة، كما اتّهموها بصعوبة نحوها وتعقيده، ودعا بعضُهم إلى استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية، وغيرها من التّهم والادّعاءات الواهية التي لا تملك أيَّ نصيب في ساحة العلم والموضوعيّة. وقد ردّ علماؤنا الأجلاّء على كلّ هذه التّهم بما يُبطلها من الحجج والبراهين الناصعة التي لا يصمد أمامها باطل.

وممّا لفت انتباهي في الكثير من الأحيان، وأنا أتأمّل في هذه التّهم والادعاءات، مسألةٌ أرى أنّها ما تزال تحتاج إلى دراسة وبيان، وهي اِدّعاء بعض الأدعياء أنّ اللّغة العربيّة تعـــاني فقرا شديدا في التّعبيـــر عن الزّمن إذا ما قـــارناها بغيـــرها من اللغات الأخرى –الهندوأوربية منها خاصة– التي تزخر بأزمنة مختلفة سواء في الماضي أو الحاضر أو المستقبل وقد يكون لهذا الادّعاء – أي فقرُ العربيّة في التّعبير عن الزّمن – نصيبُه من الحقيقة إذا نظرنا إلى هذه المسألة من جهة دراسة النّحاة القدماء لها، والذين لم يُفردوا الزّمنَ بأبواب ومباحث خاصّة في دراستهم كما هو معمول به في اللغات الأخرى، بل نظروا إليه من جهة صيغة الفعل ودلالته على الماضي والمضارع والأمر، وهذا مع إدراكهم لثراء وتنوّع البنية الزّمنية في اللغة العربية؛ ويظهر ذلك جليا في أبحاثهم ودراساتهم التي لها علاقة بالزّمن، والمبثوثة في مختلف الأبواب النّحوية المعروفة. ولكنّ المتأملّ جيدا في آليات اشتغال نظام الزّمن في اللغة العربية يجد أنّ هذا الأخير أكبر بكثير من حصره في الصيغ الثلاثة للفعل (فعل، يفعل، افعل) مثلما دأب عليه النّحاة القدماء بل إنّ نظام الزّمن في اللغة العربية يعتمد كثيرا على السّياق والقرائن المختلفة المصاحبة للفعل، والتي تساهم بشكل مباشر في تحديد الزّمن في الجملة أو الكلام، بغض النظر عن الزّمن

الصرفي أو الصّيغيّ الذي جاء عليه الفعل، كما تُسهم أنواع أخرى من الكلمات في إثراء منظومة الزّمن في اللغة العربية؛ كالمصادر والمشتقات وظروف الزّمان وبعض حروف المعاني...إلخ

ومن هنا سعيتُ في هذا البحث، والذي سمّيته **(آليات تشكّل الدّلالة الزّمنيّة في اللّغة العربيّة، دراسة تطبيقية في شعر نزار قباني)** إلى تسليط الضوء على طرق وآليات تحقّق الدلالة الزّمنية في اللغة العربية، وذلك قصد الكشف عن الثّراء والغنى اللذين تتميّز بهما اللغة العربية في هذا الجانب، وبالتالي آمل أن تكون نتائجه لبنة طيبة تُسهمُ في إبطال الادّعاءات القائلة بفقر اللغة العربية، وعجزها في التعبير عن الدلالات الزّمنية المختلفة التي يحتاجها المتكلم في التعبير عن مختلف أغراضه وشؤونه.

وقد اعتمدت في بحثي هذا على شعر نزار قباني الذي أغرتني لغته كثيرا، من خلال احتكاكي المتواصل مع شعره، كوني أشتغل أستاذا في المرحلة الثانوية، وهذا مع إقراري أنّي لا أتّفق كثيرا مع نزار قباني فكريّا، ولكني معجب به كثيرا شعريّا، ومن هنا اتّخذت شعرَه كمدوّنة حاولت التطبيق عليها؛ لأبيّن من خلاله الثّراء الذي تتمتّع به اللغة العربية في التّعـــبير عن الدّلالات الزّمنية المختلفة، كما استعنت بشواهد وأمثلة أخرى، خارجة عن شعر نزار قباني، كلّما دعت ضرورة البحث إلى ذلك؛ لأنّ الهدف الأسمى من هذا البحث يبقى بيان الثراء الزّمني في اللغة العربية ككل، وليس في شعر نزار قباني فقط، وهذا مع اعترافي أنّ شعره يتميّز بغنى كبير في التعبير عن مختلف الدلالات الزّمنية، وهو ما ساعدني كثيرا في تحقيق الأهداف والنتائج التي أردت تحقيقها من خلال هدا البحث.

سبب اختيار الموضوع: ما من شكّ أنّ كلّ باحث يخوض غمار بحث من الأبحاث في مختلف ميادين المعرفة، إلاّ وله دوافع وأسباب تدفعه وتحفّزه على القيام بذلك، وقد كان نصيبي من تلك الدّوافع ما يلي:

– الرغبة فـــي إعطاء مسألة الزّمن في اللغة العربية نصيبها من الاهتمام والدراسة، بتسليط الضوء عليها، وتتبّع مختلف القرائن المساعدة في تحقيق الدلالة الزّمنية في اللغة العربية، وبالتالي بيان الثّراء الذي تتمتّع به اللغة العربية في التعبير عن الدّلالات الزّمنية المختلفة ؛

– الرّد على الادعاءات والتّهم التي ما فتئ يردّدها أعداء اللغة العربية؛ وذلك باتهامهم اللغة العربية بالفقر في التعبير عن الّزمن، وذلك لن يكون إلاّ ببيان جانب من الثراء الذي تتمتّع به اللغة العربية في التعبير عن الزمن ؛

– شرف الانتساب إلى خدمة اللغة العربية والدفاع عنها؛ باعتبارها لغة القرآن الكريم، وأيّ مساس بها يُعدّ مساسا به ؛

– إعطاء شعر نزار قباني نصيبه من الدراسة اللغوية والنّحوية، بعد أن أُشبع بحثا من الناحية الأدبية والبلاغية؛

كما لا يفوتني هنا الإشارة إلى سبب آخر ساهم بالقسط الوفير في اختياري هذا الموضوع؛ ألا وهو شغفي الكبير بالدراسات النّحوية، وهو شغف يعود إلى أيام كنت تلميذا في المرحلة الثانوية.

الإشكـــــالية: لقد لقيتَ اللّغة العربيّة في العصر الحديث الكثيرَ من النّقود والتّهم ــ كما أشرنا آنفاــ ومن ذلك التشكيك في قدرتها على التّعبير على مختلف الدلالات الزّمنيّة مثل غيرها من اللغات المتقدمة خاصة، ومن هنا رأينا معالجة الإشكالية التالية:

ــ ما هي الإمكانيات والقدرات التي تمتلكها اللغة العربية في التعبير عن مختلف الدلالات الزّمنية التي يحتاج إليها مستعمل اللغة العربية؟

وهذه الإشكالية الرئيسية تتفرّع عنها بعض الإشكاليات الجزئية المنضوية تحت جناحها وهي كما يلي:

– ما مدى صحة الادعاءات التي تشكّك في قدرة اللغة العربية على التعبير عن الزّمن بأنواعه المختلفة؟

– هل الزّمن الصّرفي للفعل كاف وحده في التعبير عن الدلالة الزّمـــنية المقصودة من طرف المتكلم ؟

– ما هي أهمّ القرائن التي تساهم في الوصول إلى تحديد الدّلالة الزمنية التي ينطوي عليها الكلام في اللغة العربية؟

– إلى أيّ مدى استطاع نزار قباني تجسيد الدلالات الزمنية المتنوعة التي تتمتّع بها اللغة العربية في شعره؟

–هل الفعل وحده هو المسؤول عن التعبير عن الزّمن في اللغة العربية، أم إنّ هناك كلمات أخرى غير الفعل تلعب الدور نفسه؟

هذا، وغيره من الإشكاليات الأخرى، هو ما حاولت الإجابة عنه في هذا البحث، حيث اجتهدت في إعطاء أجوبة أتمنّى أن يكون لها نصيبها من الموضوعية والأمانة العلميّة.

منهج الدراسة: من أهمّ الثّمار التي جنيناها من اطّلاعنا على الدّراسات اللّسانية الغربية في العصر الحديث هي فكرة المنهج، فكلّ باحث ينبغي أن يعتمد في بحثه على منهج يسدّد خطاه، وينير له طريق المُضيّ في دراسته، ونظرا لتشعبّ المسائل والمباحث المتعلقة بموضوع الزّمن في اللغة العربية، ارتأيت الاعتماد على المنهج الوصفي التحليليّ؛ وهذا لما يتوفّر عليه من آليات مختلفة تسمح للباحث بمعالجة المسائل المختلفة في بحثه بكل دقّة وليونة. والمنهج الوصفي التحليلي، كما هو معروف، يقوم على الخطوات التالية: وصف الظاهرة، تحليل الظاهرة، نقد الظاهرة، والتقعيد للظاهرة.

بنيـــة البحـــث: قسمت بحثي هذا إلى مقدّمة، وفصل تمهيدي، أردفتهما بأربعة فصول وخاتمة، وذلك كما يلي:

مقدّمة: أشرت فيها إلى مختلف العناصر التي تتطلّبها المقدمة الأكاديمية؛ من ذكر لأسباب اختيار الموضوع، وطرح الإشكالية، والنتائج المتوقعة، وغيرها من العناصر الأخرى.

فصل تمهيدي: في أساسيات البحث: تناولت فيه بعض القضايا النظرية المتعلقة بالبحث، والتي يمكن اعتبارها بمثابة الأرضية للانطلاق في البحث، وتطرّقت فيه إلى ثلاثة مباحث هي:

***تعريف الزمن.**

***أنواع الزمن.**

*** الزّمن في الدرس اللغوي القديم.**

الفصل الأوّل: الفعل الماضي ودلالتة الزّمنية في اللغة العربية: وهو فصل حاولت فيه أن أتتبّع مختلف الدلالات الزّمنية التي يمكن أن يعبّر عنها الفعل الماضي من خلال شعر نزار قباني؛ وذلك بتنّوع القرائن المختلفة المحيطة به، وهذا في ظلّ المباحث التالية:

*** دلالة الفعل الماضي على الزّمن الماضي المطلق**

*** دلالة الفعل الماضي على الزّمن الماضي المقيّد**

*** دلالة الفعل الماضي على الزّمن الحاضر المطلق**

*** دلالة الفعل الماضي على الزّمن الحاضر المقيّد**

*** دلالة الفعل الماضي على الزّمن المستقبل المطلق**

*** دلالة الفعل الماضي على الزمن المستقبل المقيد**

الفصل الثاني: الفعل المضارع ودلالته الزّمنية في اللغة العربية: وهو فصل عمدت فيه إلى رصد الدلالات الزّمـــنية التي يمكن التعبير عنها باستخدام الفعل المضارع، وذلك في ظلّ المباحث التالية:

*** دلالة الفعل المضارع على الزّمن الحاضر المطلق**

*** دلالة الفعل المضارع على الزّمن الحاضر المقيد**

*** دلالة الفعل المضارع على الزّمن المستقبل المطلق**

*** دلالة الفعل المضارع على الزّمن المستقبل المقيد**

*** دلالة الفعل المضارع على الزّمن الماضي المطلق**

*** دلالة الفعل المضارع على الزّمن الماضي المقيد**

الفصل الثالث: فعل الأمر ودلالته الزّمنية في اللغة العربية: وهو فصل حاولت فيه أن ندرس مختلف الدّلالات الزّمنية التي يمكن التّعبير عنها باستخدام فعل الأمر، وذلك في ظل المباحث التالية:

*** دلالة فعل الأمر على الزمن الحاضر المطلق**

*** دلالة فعل الأمر على الزمن الحاضر المقيّد**

*** دلالة فعل الأمر على زمن المستقبل المطلق**

*** دلالة فعل الأمر على الزمن المستقبل المقيّد**

الفصل الرابع: دلالة كلمات أخرى غير الفعل على الزّمن في اللغة العربية: وهو فصل حاولت فيه أن أبيّن ثراء اللغة العربية في التعبير عن الزّمن؛ وذلك باستخدام بعض الأسماء والحروف، وهو الأمر الذي تفتقر إليه الكثير من اللغات الأخرى، وقد قسمت هذا الفصل إلى أربعة مباحث كما يلي:

***المصدر ودلالته على الزّمن في اللغة العربية.**

***المشتقات ودلالتها على الزّمن في اللغة العربية.**

*** أسماء لها دلالة زمنية.**

*** حروف لها دلالة زمنية.**

الخاتمة: وفيها تطرقت إلى أهمّ النتائج التي توصّل إليها البحث.

الرّوافد العلميـــة: ما من شكّ أنّ هذا البحث يتطلب العودة إلى الكثير من المصنّفات الموزّعة على فنون معرفية مختلفة؛ كالنحو والصرف وعلوم والبلاغة وغيرها من الفنون المعرفية الأخرى، لذا من الصعوبة بمكان الإشارة في هذه العجالة إلى كلّ المصادر العلمية التي سنعتمد عليها في إنجاز هذه الأطروحة، ولكن ما لا يُدرك جلّه لا يترك كلّه، ومن هنا سنحاول أن نذكر بعضا من تلك المصادر والمراجع التي سيكون عليها معتمدنا، وهي كما يلي:

- الكتاب، سيبويه؛

ـــ معاني القرآن، الفراء؛

- الخصائص، ابن جنيّ؛

- الإنصاف في مسائل الخلاف، الأنباري؛

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام؛
- دواوين الشاعر نزار قباني؛
- نزار قباني وأروع قصائده، غالية محمد حسن؛
- الزّمن واللغة، يوسف المطلبي؛
- الزّمن النّحوي في اللغة العربية، كمال رشيد؛
- التطبيق الصرفي/التطبيق النحوي، عبد الراجحي؛
- جامع الدروس العربية، الغلاييني؛
- معاني النّحو، إبراهيم فاضل صالح السامرائي؛
- النحو الوافي، عباس حسن؛
- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان؛

الدراسات الســـابقة: لم يحظ موضوع الزّمن في اللغة العربية بمصنفات خاصة عند القدماء، فالدّارس للمؤلّفات النّحوية القديمة يجد أنّ موضوع الزّمن موزّع على أبواب ومباحث متنوعة، سواء كانت صرفية أو نحوية، أمّا عند الدارسين المحدثين فنجد أنّ موضع الزّمن قد حظي باهتمام أكبر خاصة مع اطّلاع أغلبيتهم على الكثير من اللغات الأجنبية التي قطعت دراسة الزّمن فيها أشواطا كبيرة من التفصيل والدقة والتحديد الصارم لمختلف أنواع الزّمن، مثلما نجده في الانجليزية والفرنسية على وجه الخصوص، وهو ما أدّى بالدارسين المحدثين إلى القيام بالكثير من الدراسات والأبحاث المتعلقة بموضوع الزّمن في اللغة العربية، فمنهم الدكتور تمام حسان الذي أفرد مساحة كبيرة للحديث عن الزّمن في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) والدكتور كمال رشيد في كتابه (الزمن النّحوي في اللغة العربية) وهو كتاب حاول فيه أن يشرح بإسهاب الارتباط الوثيق الموجود بين الزّمن النّحوي والقواعد النّحوية، كما نجد أيضا الدكتور يوسف المطلبي في كتابه (الزّمن واللغة) وغيره من الدارسين الآخرين. ولكن مع هذا يبقى موضوع الزّمن في اللغة العربية يحتاج دراسة أكبر في بيان تنوعه ودلالاته المختلفة انطلاقا من فكرة السياق والقرائن المصاحبة للفعل، كما أنّ اعتماد اللغة العربية على بعض الأسماء والحروف في التعبير عن الدلالات الزّمنية

المختلفة يوسّع من قدراتها في التعبير عن الزّمن، ويفتح المجال واسعا أمام الباحثين للقيام بدراسات وأبحاث تصبّ في هذا الموضوع، وبالتالي سنعمل جاهدين على أن يكون بحثنا هذا واحدا من تلك الأبحاث التي تسدّ ثغرة في هذا الموضوع الواسع والمتشعّب.

صعـــوبات البحث: إنّ البحث الأكاديمي كثيرا ما يصطدم بصعوبات وعراقيل قد تكبح سيره، ممّا يجعل الباحث يتحفّز لبذل جهود أكبر من أجل تذليل الصعوبات وتحقيق المبتغى، فالبحث العلميّ يبقى في نهاية المطاف نوعا من التضحية والعناء ولكنّه تضحية وعناء بطريقة فيها الكثير من اللذّة التي لا يمكن للجاهل المرتاح تحصيلُها، ومن الصعوبات التي صادفنـــاها خلال إنجـــازنا لهذه الأطروحة نذكر منها مـــا يـــلي:

– شساعة مساحة البحث المتعلّقة بهذا الموضوع؛ حيث تطلّب منّا البحث في مسألة الزّمن في اللغة العربية العودة إلى الكثير من المصنّفات القديمة والحديثة؛

– صعوبة البحث في موضوع الزّمن لكونه لم يحظ بمصنفات خاصة لدى النّحاة القدماء، وإنّما يتطلب البحث فيه العودة إلى الأبواب والمباحث التي لها علاقة به؛

– صعوبة فهم المعنى الحقيقي في شعر نزار قباني، باعتباره من شعراء الحداثة الذين تتميّز لغتهم بنوع من الضبابية، وهو الأمر الذي يتطلب منّا تركيزا وإعمالا أكبر للعقل حتى يتمّ ترجيح الدلالة الزّمنية المقصودة في الكلام؛

– ضيق الوقت المخصّص لإنجاز الأطروحة؛ خاصّة مع القوانين الصّارمة التي اتخذتها وزارة التعليم مؤخرا، والتي قد تصل إلى حد إقصاء الطالب الذي لا يناقش بحثه في الآجال المحدّدة، وهو الأمر الذي كاد أن يحصل معي في مرحلة الماجستير؛

– صعوبة التوفيق بين مهامي التدريسية في الثانوية، وتفرغي لإنجاز هذه الأطروحة؛ إذ تستهلك مهامي التدريسية معظم وقتي، ممّا يصعّب عليّ من مأموريّة إنجازي لهذه الأطروحة؛

– أزمة كورونا 19 التي عرقلت سير العمل على هذه الأطروحة؛ حيث كانت سببا في إلغاء اللقاء الذي تم برمجته مع المشرف لمناقشة هذا البحث لمدة تقرب من العام، كما كانت سببا أيضا في تأخر نشر المقال العلمي الذي يتطلبه ملف المناقشة.

ولكن بتوفيق من الله –عزّ وجلّ– استطعت تجاوز هذه الصعوبات، واستئناف المشوار بعد كلّ عثرة وزلّة، حتى كتابة آخر كلمة من آخر سطر من هذا العمل، فالحمد لله أوّلا وآخرًا.

فصل تمهيدي:

في أساسيات البحث

يجد الدارسون والباحثون صعوبة كبيرة عند محاولتهم إعطاء تعريفات جامعة مانعة لمختلف الظواهر المجرّدة التي لا تدركها الحواس البشرية، ولعلّ ظاهرة الزّمن واحدةٌ من هذه الظواهر التي ينطبق علها هذا الوصف، ومن هنا نجد الكثير من الدارسين يصفون الزّمن بالظاهرة المعقّدة التي يصعب الإحاطة بكل جوانبها وتفاصيلها؛ فهو ظاهرة معروفة ومجهولة في نفس الوقت، كونه مرتبط بالحياة في أدّق جزئياتها وتفاصيلها، وهو في نفس الوقت ظاهرة شديدة الارتباط بالإنسان في حدّ ذاته، فقد شغلت ظاهرة الزّمن الإنسانَ "منذ أن دبّ ودرج في هذا الكون، لأنّه في الزّمن يُعلن يوم مجيئه إلى الحياة وبالزّمن يسجّل يوم رحيله عنها، وبين الميلاد والموت يعيش مراحل حياته مع الزّمن لينتقل من طور إلى طور جسما وعقلا، ويحقّق ما يريده وما يهدف إليه، وينظّم ما يقوم به من عمل ونشاط من خلال شهادات تحمل توقيع الزّمان، مثل شهادة الميلاد وشهادة الوفاة والشهادات الدراسيّة والعلمية ووثائق السفر وتحقيق الشخصيّة."[1] ومن هنا يمكننا أن نقول إنّ الزّمن أحد أعمق ألغاز العالم التي لا يستطيع أحد تحديد ماهيتها بالضبط. ولأهميّة الظاهرة الزّمنية وعظمتها نجد القرآن الكريم قد احتفى كثيرا بها؛ فالقارئ لكتاب الله –عزّ وجلّ– يجد الكثير من الآيات التي أقسم فيها الله –عزّ وجلّ– بالزّمن وأوقاته المختلفة كقوله تعالى: ﴿والفجر * ولَيَالٍ عَشْرٍ﴾ (الفجر:1) ﴿والضُّحَى* واللّيل إذَا سَجَى﴾ (الضحى:1) ﴿واللَّيل إذَا يَغشَى﴾ (الليل:01) وغيرها من الآيات الأخرى التي تدلّ على عظمة الظاهرة الزمنية[2] ومنه صعوبة الحديث عن تعريفها.

1) **تعريف الزّمن:** بما أنّ حديثنا هنا عن الزّمن مرتبط باللغة العربية فلا بأس أن نعود إلى بعض المعاجم التي تناولت لفظة الزّمن في معناها اللغوي، ففي معجم العين: "الزّمنُ: من الزَّمان... والفعل: زَمِنَ يَزمَنُ زَمَنًا وزَمَانةً، والجميع: الزّمْنَى في الذكر والأنثى، وأزمَنَ الشيءُ: طال عليه الزّمان."[3] وفي لسان العرب نجد أنّ "الزّمن والزّمان: اسم لقليل الوقت وكثيره، وفي المحكم: الزّمنُ والزّمانُ: العصرُ، والجمع أزمنٌ وأزمانٌ وأزمِنةٌ، وأزمنَ الشيءُ: طال عليه الزّمان وأزمنَ بالمكان: أقام به زماناً، وقال شمر: الدهرُ والزّمانُ واحدٌ، قال أبو الهيثم: أخطأ شمرٌ الزّمانُ زمانُ الرُّطَبِ والفاكهةِ، وزمان الحرّ والبرد، قال: ويكون الزّمانُ شهرين إلى ستة أشهر قال: والدّهرُ لا ينقطع؛ قال أبو منصور: الدّهرُ عند

[1]– كريم زكي حسام الدين، الزمن الدلالي، ط2. القاهرة: 2002، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص 09.

[2]– ينظر: مصطفى السعدني، بلاغة الزّمن في القرآن الكريم، دط. مصر: 1992، دار المعارف الاسكندرية.

[3]– الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دط. ج7، حرف الزاي، ص 375.

العرب يقع على وقت الزّمان من الأزمنة وعلى مدّة الدنيا كلها، قال: وسمعتُ غيرَ واحد من العرب يقول أقمنا بموضع كذا وعلى ماء كذا دهرا، وإنّ هذا البلد لا يحملنا دهرا طويلا، والزّمان يقع على الفصل من فصول السّنة وعلى مدّة ولاية الرجل وما أشبه."[1] وهو المعنى نفسه تقريبا الذي نجده في المعجم الوسيط فـــ "الزّمان: الوقت قليله وكثيره، ومدّة الدنيا كلّها، ويقالُ: السنة أربعة أزمنة: أقسام وفصول... وأزمَن بالمكان: أقام به زمـــانا والشيءُ: طال عليه الزّمن."[2] والمتتبّع لمختلف المعاجم العربية يجد أنّ كلمة "الزّمن" تدخل في علاقة ترادفيّة مع الكثير من الكلمات الأخرى والتي يصعب تحديد الفروق الدلالية الموجودة بينها كلفظتي: "الدّهر" و"الوقت" وغيرهما من الألفاظ الأخرى فلو نعود مثلا إلى المعجم الوسيط نجد أنّ كلمة "الوقت" بمعنى "مقدار من الزّمن قُدّر لأمر ما."[3] فاللغويون عادة ما يعتمدون على إحدى هذه الألفاظ المترادفة في شرح المعنى اللغوي للألفاظ الأخرى، فيستخدمون مثلا لفظة "الدّهر" في شرح لفظة "العصر" ولفظة "الوقت" في شرح لفظة "الزّمن" كما أنّ هناك من اللغويين مَن يعتبر الدّهر جزءا من الزّمان، كقولهم: «أقمتُ في المكان دهرا» فالزّمن[4] في هذا المثال هو الأصل، بينما الدّهر هو الجزء الذي تمّ مكثه في المكان، وهناك من يعتبر الدّهر هو الأصل، والزّمن جزء منه، كقولهم: "أقمت في المكان زمانا" أو كأن يقصروا الزّمن على فصل من فصول السنة، أو يحدّدوا مدّته من شهرين إلى ستة أشهر، مثلما ذكر صاحب لسان العرب، وهلمّ جرا.

أمّا إذا أردنا أن نُعطي تعريفا اصطلاحيا للفظة "الزّمن" فإنّ الأمر سيزداد صعوبة أكثر لارتباط هذه الظاهرة –كما سبق وأشرنا– بالكثير من المفاهيم المعقّدة والمتشابـــكة فالزّمن مفهوم معروف ومتداول لدى الجميع، وهو في الآن ذاته يتميّز بنفس القدر من الغموض والضبابية وهذا الغموض في ماهية الزّمن ليس خاصا فقط باللغة العربية، فلو نعود – مثلا– إلى اللغة الفرنسية نجد أنّ الحدّ Temps مشتق من الجذر الهندوأوروبي Tem الذي يفيد معنى القطع Couper أي فصل عنصر عن آخر أو عن الكل، ولعلّ هذا المعنى قريب

---

[1]– ابن منظرر، لسان العرب، ط1. لبنان: 1427هـــ/2006م، دار صبح وإديسوفت، ج6، مادة: (زمن)، ص 78–79.

[2]– مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ط4. القاهرة: 1425هـــ/ 2004م، مكتبة الشروق الدولية، مادة (زمن)، ص401.

[3]– المرجع نفسه، مادة (وقت)، ص 1408.

[4]– لم يفرّق اللغويون بين كلمة "الزمان" بالمد وكلمة "الزمن" دون مد، فالكثير منهم يسخدمون هاتين اللفظتين على سبيل الترادف، وهو ما سرنا عليه أيضا في هذه الأطروحة.

من مفهوم كلمة "لحظة" في اللغة العربية والمشتقة من اللحظ، وهو طرف العين، أي أنّ اللحظة هي المدة الزّمنية التي يستغرقها طرف العين في غلق وفتح العين، أي قطع الرؤية فيكون الزّمن هو مجموع تلك اللحظات المتقطعة، ومن هنا تظهر علاقة الزمن بفكرة القطع.[1] في اللغات الهندوأوروبية. وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أنّ مصطلح الزّمن أو الزّمان لم يرد لفظه في القرآن الكريم قطّ، وهذا على الرّغم من أهمية الزّمن في حياة الإنسان، "ولكننا لا نُفاجأُ أيضا إن علمنا أنّ عدد السور التي تضمّ ألفاظا تشير إلى معاني الزّمان بأشكالها المختلفة مثل: أمد، حين، أزل، ودهر، وإلى أسماء الأوقات في الأيام والسنوات تناهز ثلثي سور القرآن الكريم."[2] كما تجدر الإشارة أيضا إلى أنّ مصطلح الزّمن لم يرد في كتاب سيبويه– الذي يُعد من أقدم الكتب التي وصلتنا في النّحو– باستثناء وروده في سياق عـــام في قوله: "وأمّا الوقت والساعات والأيام والشهور والسّنون، وما أشبه ذلك من الأزمنة والأحيان التي تكون في الدهر"[3]، وفي موضع آخر من الكتاب "فلمّا صار بمنزلة الوقت في الزّمن كان مثله"[4]. فسيبويه لم يهتم بدراسة الزّمن كمفهوم خاص، ولم يفرده بباب خاص مستقلّ في البحث والدارسة، وهو النّهج الذي سار عليه معظم النّحاة القدماء.

وبناء على ما سبق ذكره، يظهر لنا مكمن الصّعوبة في تقديم تعريف للزّمان، فهو يحتوينا، ولا يمكننا نحن البشر احتواؤه، هو "مفهوم معقّد لم يتمكن العلماء من الوصول إلى حقيقته بعد، وهو ناشئ من دوران الكرة الأرضية حول محورها وعلى مدار معيّنٍ مرتبطةً فيهما بالشمس، يعني أنّ الأرض تجري في ذات الوقت حول الشّمس على مدار معيّن، إضافة إلى جريانها حول محورها فيتمخّض عن الأول الفصول الأربعة، وعن الثاني الليل والنّهار المتعاقبان."[5] فهو إذن مخلوق عظيم من مخلوقات الله –عزّ وجلّ– ولا نريد هنا أن ندخل في تفاصيل بعض التعريفات التي قدّمها بعض أهل الفكر والفلسفة والمتكلمين للزّمان[6]، فمنهم

---

[1]– ينظر : سعيدي عبد الفتاح، مفهوم الزمن بين برغسون وأنشتاين، مذكرة ماجستير، جامعة الاخوة منتوري. قسنطينة:2008، ص 13.

[2]– أحمد دعدوش، مشكلة الزمن من الفلسفة إلى العلم، نسخة إلكترونية. 1431هـ/2011م، دار ناشري للنشر الإلكتروني، ص6.

[3]– سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، ط3. القاهرة: 1408هـ/ 1988م، مكتبة الخانجي، ج1، ص 418.

[4]– نفسه، ص36.

[5]– فريد الدين أيدن، الأزمنة في اللغة العربية، دط. اسطنبول: 1997، دار العبر للطباعة والنشر، ص04.

[6]– ينظر: يمنى طريف الخولي، الزّمن في الفلسفة والعلم، دط. مصر: 1999، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

فمنهم من يعتبره جوهرا ومنهم من يعتبره عرضا، ومنهم من يعتبره قديما ومنهم من يعتبره حادثا ومنهم من نظر إليه نظرة معنوية تجريدية، ومنهم من نظر إليه نظرة حسيّة فزيائية، وهي كلها مقاربات وآراء تبقى قاصرة عن الإحاطة بمفهوم الظاهرة الزّمنية التي يدركها العقل ولكن يعجز عن تقديم تعريف مانع جامع لها، ولعلّ خير ما نذكره هنا للاستدلال عن هذه الحقيقة هو مقولة طريفة لأبي حيان التوحيدي يصف فيها عجز العقل البشري عن الغوص في ماهية الزّمن والكشف عن كنهها، إذ يقول: "هذا أيّدك الله فنٌّ ينشفُّ الريقَ، ويضرعُ الخدَّ ويجيشُ النفسَ ويقيء المبطان، ويفضح المدّعي ويبعث على الاعتراف بالتقصير والعجز ويدلّ على توحيد من هو محيط بهذه الغوامض والحقائق، ويبعث على عبادة من هو عالم بهذه السرائر والدقائق وينهى عن التحكم والتهانف ويأمر بالتناصف والتواصف، ويبيّن أنّ العلم بحر، وفائت الناس منه أكثر من مدركه، ومجهوله أضعاف معلومه، وظنه أكثر من يقينه، والخافي عليه أكثر من البادي."[1] فالزّمن إذن حقيقة أكبر من أن تعرّف، ولن نجهد أنفسنا كثيرا في البحث عن تعريفها ومفهومها؛ لأنّ ما يهمّنا أكثر في هذه الرسالة هو بيان مدى احتفاء اللغة العربية بالظاهرة الزّمنية، والثّراء الذي تتمتّع به في التّعبير عن الدلالات الزّمنية المختلفة.

2) **أنواع الزّمن:** مثلما كثرت الآراء وتشعبت حول مفهوم الزّمن، نجد الأمر نفسَه حاصلا في الحديث عن أنواع الزّمن وأقسامه، وقد يكون الأمر منطقيا جدا في ذلك؛ باعتبار أنّ الشيء المختَلف في ماهيته ومفهومه، لابد وأن يحدث خلاف في تقسيمه وتصنيفه، ولن نطيل كثيرا الحديث عن مختلف الأنواع والتصنيفات التي تطرق إليها العلماء كلٌّ حسب تخصصه وميدانه، باعتبار أنّ الحديث عن ذلك طويل وعريض؛ حيث نجد العلماء قد تحدّثوا عن الكثير من أنواع الزّمن كالزّمن النّسبي، الزّمن المطلق، الزّمن النّفسي، الزّمن البيولوجي، الزّمن الفيزيائي، الزّمن الفلسفي، الزّمن الفلكي (التقويمي) وغيرها من الأنواع الأخرى، وسنضرب الصفح عن كل هذه الأنواع، ونحاول الإشارة فقط إلى تلك الأنواع التي لها علاقة مباشرة بالدرس اللغوي في العربية، والتي بدورها قسمناها إلى قسمين كما يلي:

أ- **أنواع الزّمن باعتبار مستويات اللغة العربية:** مثلما هو معلوم فإنّ اللغة العربية على غرار مختلف لغات العالم، تتكون من أربعة مستويات هي: المستوى الصوتي، المستوى

[1]- أبو حيان التوحيدي، الهوامل والشوامل، تح: أحمد أمين والسيد أحمد صقر، دط. القاهرة: 1951، ص 25.

الصّرفي (الإفرادي)، المستوى النّحوي (التركيبي)، والمستوى الدّلالي، وكلّ مستوى من هذه المستويات ينطوي على دلالة زمنيّة يشكّل مجموعها أربعة أنواع من الزّمن، وهي معتمَدة أكثر في مصنفات الدارسين المحدثين، وذلك كما يلي:

1-الزّمن الصّوتي: هناك بعض الأداءات الصوتية في اللغة العربية يمكن أن يكون لها دلالة زمنية؛ ومن ذلك- مثلا- إطالتُنا المدّ عند تلفّظنا بالفعل "ماتَ" فيصبح "مااااتَ" للدلالة على أنّ فعل الموت قد حدث في الزّمن الماضي البعيد، ولكن ينبغي أن نشير إلى أنه من الصعوبة بمكان تتبّع مختلف الدّلالات الزمنية التي تنطوي عليها الظواهر الصوتية المختلفة في اللغة العربية؛ باعتبار أنّ ذلك يخضع لمراد المتكلم ورغبته، وليس للصيغ والتراكيب اللغوية مثلما سنراه في المستويات الموالية، كما أنّ اعتماد معظم المجتمعات العربية اليوم في تخاطبها على اللهجات العامية وهجرها للغة الفصحى، يصعب من هذه المأمورية؛ حيث أصبحنا نعتمد في دراسة اللغة الفصحى على ما هو مكتوب أكثر ممّا هو منطوق، وهو ما يقلّل من فرصة التّعرف والاحتكاك بمختلف الظواهر الصوتية التي لها بعد زمني، ولكن مهما يكن يبقى وجود بعض الظواهر الصوتية التي تحتوي على دلالة زمنية في اللغة العربية بمثابة الدليل الذي يؤكد الثراء الزّمني الذي تتمتع به هذه اللغة حتى على مستوى الأصوات.

2- **الزمن الصّرفي:** يُعرفه الدكتور عبد القادر عبد الجليل بقوله:" هو ما تقدّمه معطيات النظرية الصّرفية العربية ومعاييرها عن طرق اعتماد الجذر، وما يدور حوله من اللواصق أعني (السوابق واللواحق والدواخل) وهذا الزّمن يُوصف دائما خارج حدود السّياق."[1] فالزمن الصرفي إذن زمن يتشكّل على مستوى الصيغة المفردة، حيث "تعبّرُ الصيغة عن زمن ما في مجالها الإفرادي"[2] البحت، وهو ما يؤكده الدكتور تمام حسان بقوله: "وحيث يكون الصّرف هو نظام المباني والصيغ، يكون الزّمن الصّرفي قاصرا على معنى الصيغة، يبدأ بها وينتهي بها، ولا يكون لها عندما تدخل في علاقات السّياق"[3] ويتجلّى ذلك أكثر في الفعل؛ وذلك "لدلالة بنائه على زمانه"[4] فالفعل من أكثر الكلمات دلالة على الزّمن في

---

[1]- عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة؛ نظم التحكم وقواعد البيانات، ط1. الأردن: 2002، دار الصفـــاء، ص471 .

[2]- مالك يوسف المطلبي، الزمن واللغة، دط. مصر: 1986، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص27.

[3]- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دط. المغرب: 1994، منشورات دار الثقافة، ص 242.

[4]- ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دط. مصر: د س، دار الكتب المصرية، ج3، ص 97.

اللغة العربية وذلك عن طريق صيغه الثلاث (فعلَ، يفعلُ، افعلْ) وهو ما يعبّر عنه سيبويه عند حديثه عن الفعل بقوله: "وأمّا الفعل فأمثلةٌ أُخذت من لفــظ أحداث الأسماء، وبُنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع."[1] فالفعل إذن يبقى دالا على الزّمن مع تغيرّ نوعية هذا الزّمن تماشيا مع تغيرّ صيغة الفعل وشكله، ومن هنا كان "أصل الأفعال أن تكون متصرفة من حيث كانت منقسمة بأقسام الزّمان، ولولا ذلك لأغنت المصادر عنها."[2] ويبقى أن نشير هنا أيضا إلى وجود الكثير من المفردات – من غير الأفعال – التي لهــا دلالة زمنية ومن ذلك ما يسمّى بظروف الزمان والمشتقات وغيرها من الألفاظ التي سنتحدث عنها لاحقا إن شاء الله.

3-**الزّمن النّحوي:** وهو زمن تدلّ عليه الكلمة بعد دخولها في التركيب، وليس في وضعها الإفرادي، مثلما رأينا في الزّمن الصرفي، فهو "وظيفة في السياق يؤديها الفعل أو الصّفة أو ما نُقل إلى الفعل من الأقسام الأخرى للكلم"[3] فالتركيب العام للكلام هو الذي يحدّد طبيعة الزّمن النّحوي، وذلك عن طريق شبكة العلاقات المختلفة التي تنشأ بين الكلمات المختلفة المكونة للجملة، ويمكن أن يحدث هناك تطابق بين الزّمن الصرفي والزمن النحوي للكلمة، كما يمكن أيضا أن يحدث اختلاف في الزّمنين، وهذا يختلف من جملة إلى أخرى، ومن أسلوب إلى آخر. ونمثل لذلك بالجملتين التاليتين:

سافر الرجلُ البارحةَ.

لم **يسافر** الرجلُ البارحةَ.

فالجملتان جاءتا في سياق سرد حدث وقع في الزّمن الماضي، فالجملة الأولى تتحدث عن سفر الرجل البارحة، والثانية تتحدث عن عدم سفره، والفعل "**سافر**" في الجملة الأولى زمنه الصرفي هو الماضي، والزّمن النّحوي الذي دلّ عليه عند دخوله في الجملة هو الزمن الماضي أيضا؛ أي إنّ الزّمن الصّرفي والزّمن النّحوي للفعل متطابقان، أمّا الفعل "**يسافرُ**" في الجملة الثانية فزمنه الصرفي هو المضارع، أمّا زمنه النحوي بعد دخوله في الجملة فهو الماضي؛ لأنّ "**لم**" قامت بقلب دلالته الزّمنية من المضارع إلى الماضي، ومنه تكون الدلالة الصرفية للفعل مختلفة مع دلالتة النحوية.

---

[1]– سيبويه، الكتاب، ج1، ص12.

[2]– ابن يعيش، شرح المفصل، تح: جماعة من العلماء، دط. مصر: د س، إدارة الطباعة المنيرية، ج7، ص116.

[3]– تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص240.

4-**الزّمن الدلالي:** إنّ الأنواع الزّمنية الثلاثة التي مرت بنا للتوّ، كلّها مرتبطة بالجانب الداخلي للغة من صوت ولفظ وتركيب، وهو ما يسمى عند البلاغيين بالمقال أمّا الزّمن الدلالي فلا نتحصّل عليه إلاّ بالاعتماد على جانب رابع من خارج اللغة هو ما يسمى أيضا عند البلاغيين بالمقام[1]، أي الظروف والحيثيات المحيطة بالكلام، فالفعل مثلا يمكن أنّ يدلّ على زمن معيّن بالنظر إلى المقال، ولكنه قد يدلّ على زمن مغاير بالنظر إلى المقام، وحتى نقرّب المسألة أكثر سنوضح ذلك بمثال، وهو قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ (النساء: 127) فالفعل "يستفتون" زمنه الصرفي والنّحوي هو المستقبل، ولكن زمنه الدلالي هو الماضي، وذلك بالنظر إلى المقام أو السياق الخارجي للآية؛ لأنّ فعل الاستفتاء قد حدث قبل نزول هذه الأية، بل كان استفتاء الصحابة رضي الله عنهم للرسول – صلى الله عليه وسلم– سببا لنزول هذه الآية ودليلُ ذلك ما روته أمّ المؤمنين عائشة – رضي الله عنها– من كون الناس قد استفتوا رسول الله في مسألة متعلقة بالنساء[2] فنزلت هذه الآية. وبالتالي يكون معنى الآية كما يلي: "**واستفتوكَ في النّساء...**" ومِن هنا يتبين لنا من خلال هذه الآية أنّ الزّمن لم تُعيّنه أشكال الصيغ، ولا الأدوات ولا نوع الأسلوب اللغوي، بل عينه السّياق التاريخي"[3] الخارج عن اللغة، وهو سياق يولي له علم الدلالة أهمية بالغة للوصول إلى المعنى الحقيقي للصيغ والأساليب اللغوية المختلفة.

ويمكن أن نشير هنا إلى أنّ هناك من الباحثين المعاصرين مَن يضيفون نوعا آخر من أنواع الزمن إلى هذه الأربعة الماضية، ويسمونها الزّمن التداولي، والذي يرتبط أكثر بمقصدية الخطاب عند المتكلم،[4] وهذا لأنّ "الإنسان هو الذي يعطي الزّمان دلالته الموضوعية والذاتية"[5].

---

[1]– ينظر: تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها. ص 337 وما بعدها.

[2]– ينظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في صحيح البخاري، ج8، ص199. وأحمد شاكر، عمدة التفسير عن الحافظ بن كثير، ط2. مصر: 1426هـ/2005م، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ص580.

[3]– مالك يوسف المطلبي، الزمن واللغة، ص 187.

[4]– ينظر: امحمد الملاخ، الزمن في اللغة العربية؛ بنياته التركيبية والدلالية، ط1. بيروت: 1430هـ/2009م، الدار العربية للعلوم.

[5]– كريم زكي حسام الدين، الزمن الدلالي؛ دراسة لغوية لمفهوم الزمان وألفاظه في الثقافة العربية، ط2. القاهرة: 2002، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص 17.

ب- أنواع الزّمن باعتبار حدوث الحدث: وهذه الأنواع نجدها مُعتمَدة أكثر في مصنفات النّحاة القدماء وهي ثلاثة أنواع كما يلي:-

1)الزّمن الماضي: وهو زمن وقع فيه الحدث "قبل زمن التكلّم"[1] نحو: **زرتُ غردايةَ في العام الماضي،** فالحدث – أي الزيارة- قد تمّ وحدث قبل التلفظ بهذه الجملة.

2) الزمن الحاضر: وهو زمن يتزامن فيه وقوع الحدث مع زمن الحديث عنه، وبعبارة أخرى فهو زمن يدلّ على "حدوث شيء في زمن التكلم"[2] نحو: **الرجل نائم الآن،** فالحدث – أي النّوم- قد تزامن وقوعه مع زمن الحديث عنه.

ونشير هنا إلى أنّ زمن الحاضر أو الحال، وإن كان معظم النحاة القدماء قد أقرّ بوجوده من لدن سيبويه ومن جاء بعده، إلاّ أنّ هناك من النّحاة من خالف ذلك، ورفض وجود زمن الحال وعلى رأسهم الزّجاجي؛ حيث يقول في كتابه الإيضاح في علل النحو: "الفعل على حقيقته ضربان كما قلنا، ماض ومستقبل، فالمستقبل ما لم يقع بعد، ولا أتى عليه زمان، ولا خرج من العدم إلى الوجود، والفعل الماضي ما تقضّى وأتى عليه زمانان، لا أقلّ من ذلك؛ زمان وُجد فيه وزمان خُبّر فيه عنه، فأمّا فعل الحال فهو المتكوّن في حال خطاب المتكلم، لم يخرج إلى حيّز المضيّ والانقطاع، ولا هو في حيّز المنتظَر الذي لم يأت وقتُه، فهو المتكوّن في الوقت الماضي وأوّل الوقت المستقبل، ففعل الحال في الحقيقة مستقبل، لأنّه يكون أوّلا أوّلا، فكلّ جزء خرج منه إلى الوجود صار في حيّز المُضيّ. فلهذه العلة جاء فعل الحال بلفظ المستقبل نحو قولك زيدٌ يقوم الآن، ويقوم غدا، وعبد الله يركب الآن، ويركبُ غدا. فإن أردت أن تخلصه للاستقبال أدخلتَ عليه السّين أو سوف، فقلتَ: سيقومُ زيدٌ، وسوف يركبُ عبد الله، فيصيرُ مستقبلا لا غير."[3] فزمن الحاضر أو الحال لا وجود له في الحقيقة ،حسب الزجاجي، لأنّه لا يمكن معايشته في الواقع؛ "ففعل الحال دال في الحقيقة على المستقبل، وكلّ جزء خرج منه دخل في حيّز الماضي، ويستحيل القبض على الحال"[4] لأنّ زمن الإخبار عن الحدث لا يمكن أن يتطابق تطابقا تامّا مع زمن وُقوع الحدث، فهناك دائما

---

[1]- أحمد الحملاوي، شذا العرف في فنّ الصرف، تح: أبو الأشبال سالم بن أحمد المصري، دط. الرياض: د س، دار الكيان للطباعة والنشر والتوزيع، ص 56.

[2]- المرجع نفسه، ص56.

[3]- أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النّحو، تح: مازن المبارك،ط3. بيروت: 1399هـ/ 1979م، دار النفـائس ص86-87.

[4]- امحمد الملاخ، الزّمن في اللغة العربية، ص32.

فواصل تجعل من زمن الحدث إمّا ماضيا أو مستقبلا بالمقارنة مع زمن الإخبار عنه. ورغم ما لهذا القول من حجة إلاّ الإقرار بوجود زمن الحاضر هو الرأي المعتمد لدى جمهور النحاة والدارسين قديما وحديثا، وهو الرّأي الذي اعتمدناه أيضا في هذه الرّسالة.

– **الزّمن المستقبل:** وهو زمن يقع فيه الحدث بعد زمن التكلّم، أو بعبارة ابن يعيش: "والمستقبل ما لم يكن له وجود بعد، بل يكون زمان الإخبار عنه قبل زمان وجوده"[1] نحو قولنا: **يُسافر الرجلُ غدا إلى العاصمة،** فالحدث – أي السفر – ليس له وجود بعد في الواقع.

[1]– ابن يعيش، شرح المفصّل، ج7، ص4.

3) **الزّمن في الدرس اللغوي القديم:** ما من شكّ في كون اختلاف اللغات البشرية وتنوّعها في مختلف المجتمعات والبيئات ليدلّ دلالة واضحة على عظمة الله –جلّ في علاه– وذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ (الروم:22) ولكلّ لغة من هذه اللغات قوانينها وأنظمتها وخصائصها التي تميّزها عن غيرها من اللغات الأخرى، كما أنّ كلّ لغةٍ بشرية تكون "ذاتَ دلالةٍ وسمةٍ للأمة الناطقة بها، بل إنّ لغة الأمّة دليل نفسيتها، وترجمان كينونتها، وصورة عقليتها، بل هي أسارير الوجه في كيانها الاجتماعيّ الحاضر، وفي تطوّرها التاريخي الغابر، لأنّ وراء كلّ لفظة في معجمها معنًى شعرت به تلك الأمةُ شعورا عاما، دعاها إلى الإعراب عنه، بلفظ خاص على وجه خاص، فوقع ذلك اللفظ في نفوس جمهور أفرادها موقع الرضى، وما معجم اللغة في الحقيقة إلاّ مجموعة من المعاني التي احتاجت الأمة إلى التعبير والإعراب عنها فاختارت لكلّ معنى لفظا يدلّ على الجهة التي نظرت الأمّةُ منها إلى ذلك المعنى عندما سمّته باللفظ الذي اصطلحت عليه، فلغة الأمة تتضمن تاريخ أساليب التفكير عندها من أبسط حالتها إلى أرقاها، يعلم ذلك البصير في أبنية اللغة."[1] وهذا مع ضرورة الإقرار بوجود عناصر مشتركة بين الكثير من هذه اللغات البشرية. علما أنّ اللغات البشرية تتمايز وتتفاضل فيما بينها، والعامل البشري يلعب دورا كبيرا في هذا التمايز والتفاضل؛ فاللغة الإنجليزية ما كانت لتصل إلى ما وصلت إليه اليوم لولا اجتهاد الإنجليز والأمريكان وتفوقهم في معظم ميادين الحياة.

ولهذا وضع المختصون والمهتمون بحقل اللغات مجموعة من المعايير والمقاييس التي يُعرفُ بها ارتقاء اللغات وتفاضل بعضها عن بعض، وهي مقاييس كثيرة، من أهمّها مقياس الدلالة على الزّمن في أفعالها ثمّ في سائر ألفاظها.[2] فالظاهرة الزّمنية لها قدر كبير من الأهمية في الحياة البشرية، مثلما أشرنا إلى ذلك آنفا، وكلما كانت لغة من اللغات قادرة على التعبير عن هذه الظاهرة والإحاطة بجزئياتها المختلفة بكل دقة وشمولية، كان لهذه اللغة الأولوية في احتلال مكانة مرموقة بين اللغات البشرية. وإذا تأمّلنا في اللغة العربية التي تصنّف ضمن الفصيلة السّامية، فإنّنا نجد أنّها تتميّز بمجموعة من السّيمات والخصائص؛ ومن ذلك خاصية التعبير عن الزّمن، أو بالأحرى نظام بناء الزمن، فالذي يعود إلى مصنفات

[1]– عمر بوسحابة، العولمة الثقافية، ط1. الجزائر: 2012، دار أشرعة النور للنشر والتوزيع، ص45.

[2]– ينظر: البشير جلول، "التحويل الزمني للفعل الماضي في العربية"، مجلة المخبر بكلية الآداب واللغات لجامعة محمد خيضر ببسكرة، الجزائر: 2011، ع6.

النّحاة القدماء، باعتبارهم أوّل من حاول دراسة اللغة العربية، يجد بأنّهم قد عملوا على وصف الآليات المختلفة التي يقوم عليها نظام الزّمن في اللغة العربية، وذلك في إطار منهجهم العام الذي رسموه لدراسة هذه اللغة والمتمثّل أساسا في نظرية العامل، وما يتفرّع عنها من آراء ومباحث، ولعلّ أولّ ما يميّز نظرة هؤلاء النّحاة إلى الزّمن هو ربطهم الزّمن بصيغة الفعل؛ فهم تأمّلوا وتتبّعوا مختلف الكلمات التي تشكل هيكل اللغة العربية، فوجدوها لا تخرج عن ثلاثة أنواع هي الاسم والفعل والحرف، ثمّ تتبعوا مختلف المميزات التي تميّز كلّ قسم من هذه الأقسام عن غيرها [1]، فكان من أهم النتائج التي توصّلوا إليها هي كون الزّمن يرتبط أكثر بالفعل بالمقارنة مع غيره من الأقسام الأخرى فالفعل – عندهم– وُضع للدلالة على الزّمن؛ يقول سيبويه: "وأمّا الفعل فأمثلة أُخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبُنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن ولم ينقطع"[2] فلفظة "بُنيت" الواردة في كلام سيبويه تدلّ على أنّ الهدف من استعمال العرب للأفعال في كلامهم هو التعبير عن اقتران الأحداث المختلفة بالأزمنة المختلفة، وعلى نفس النّسق سار النّحاة من بعده في قصر الدلالة الزّمنية على الفعل؛ يقول الزّجاجي متحدّثا عن حدّ الفعل: " الفعل على أوضاع النّحويين ما دلّ على حدث، وزمان ماض أو مستقبل نحو: قام يقوم، وقعد يقعدُ، وما أشبه ذلك والحدث المصدر فكل شيء دلّ على ما ذكرناه معا فهو فعل. فإن دلّ على حدث وحده فهو مصدر؛ نحو الضرب والحمد والقتل. وإن دلّ على زمان فقط فهو ظرف من زمان."[3] ويمكن أن نلخص كلام الزّجاجي على النحو التالي:

- **المصدر = الحدث– الزمن.**
- **الظرف = الزمن – الحدث.**
- **الفعــل = الحدث + الزمن.**
- **الحرف = اللاحدث + اللازمن.**

---

[1]– نشير هنا إلى أنّ هناك من النّحاة القدماء من أضاف قسما آخر سماه: الخالفة، ويقصدون بها أسماء الأفعال لأنها تشارك الأسماء في بعض الصفات، كما تشارك الأفعال في صفات أخرى. كما نشير هنا أيضا إلى أنّ هناك من الدارسين المحدثين من خالف هذا التقسيم الثلاثي للكلم، ومنهم الدكتور تمام حسان الذي اقترح تقسيما سباعيا للكلم في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها.

[2]– سيبويه، الكتاب، ج1، ص12.

[3]– أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص52–53.

وبالتالي يتبيّن لنا أنّ الفعل في اللغة العربية هو القسم الأكثر ثراء من الناحية الدلالية بالمقارنة مع أقسام الكَلِم الأخرى؛ لأنّه يدلّ على الحدث والزّمن معا، أمّا الاسم[1] فيدل على الحدث إن كان مصدرا أو مشتقّا، و يدلّ على الزّمن إن كان ظرفا،[2] أمّا الحرف[3] فلا يدلّ لا على الزّمن ولا على الحدث.

وبناء على هذه النّظرة إلى أقسام الكلام بشكل عام، وإلى الفعل بشكل خاص، قام النّحاة بتقسيم الفعل إلى ثلاثة أقسام؛ حسب دلالته الزّمنية، وهي الفعل الماضي للدلالة على الزّمن الماضي، والمضارع للدلالة على الزّمن الحاضر والمستقبل، والأمر للدلالة على المستقبل فنتج عن ذلك ثلاث صيغ هي: (فعل، يفعل، افعل) ومثلما هو معلوم فإنّ هذه الصيغ الثلاثة تعبّر عن الزّمن الصرفي؛ أي وظيفة صيغة الفعل مفردة خارج السياق، وقد كان منهج النحاة القدماء يقوم على مفهوم محدّد؛ وهو توسيع الدلالة الزّمنية للصيغ الصرفية إلى المستوى النّحوي السياقي "أي أنّ دلالة الصيغ الصرفية على الزّمن تمتدّ إلى عمق النظام النّحوي، فصيغة الماضي خارج السياق هي ذاتها داخل السياق، وكذلك صيغتا «يفعل» و«افعل» اللتان تعنيان زمن الحاضر والمستقبل."[4] ففي قولنا مثلا: «**إن نجح التلميذُ فكافئه**» فإنّ الفعل «نجح» يدلّ صرفيا على الزّمن الماضي، ولكنّه نحويّا يدلّ على الزّمن المستقبل؛ لأنّه مقيّد بشرط يرتبط حدوثه بالمستقبل، إلاّ أنّ النّحاة القدماء لم يعيروا اهتماما كبيرا للزمن النّحوي في مثل هكذا حالات، إذ يعربون الفعل «**نجح**» في المثال السابق: فعلا ماضيا مبنيا على الفتح، وذلك لتركيزهم الكبير على صيغة الفعل ودلالتها الزّمنية الصرفية مجرّدةً عن السّياق، وهذا مع ضرورة الإقرار بأنّ النّحاة القدماء قد فقهوا جيدّا تأثير السياق على الدلالة الزّمنية للفعل، فهذا سيبويه يصرّح بإمكانية تحوّل دلالة صيغة «فعل» التي تدلّ على الماضي إلى المستقبل إذ يقول: "وتقولُ إن فعلَ فعلتُ، فيكونُ في معنى إنْ يفعلْ أفعلْ"[5] فهذا الكلام يدلّ دلالة واضحة أنّ النّحاة القدماء على دراية بالدلالات الزّمنية المختلفة التي يمكن أن تؤدّيها الصيغة المفردة باختلاف السّياقات التي ترد فيها، ولكنهم لم يفردوا لذلك أبوابا خاصة

[1]– هناك سياقات يدلّ فيها الاسم في اللغة العربية على الزمن سواء كان مصدرا أو مشتقا، وهو ما سنسعى إلى دراسته في الفصل الرابع من هذه الرسالة إن شاء الله.

[2]– نقصد هنا ظرف الزمان؛ لأنّ كلمة الظرف في اللغة العربية تطلق على الزمان كما تطلق على المكان.

[3]– ليس هناك إشارة إلى الحرف في كلام الزجاجي، ولكن معروف عند النّحاة أنّ الحرف لا يحتوي على دلالة في ذاته، وإنّما تتحدّد دلالته عند اتصاله بغيره من الكلمات.

[4]– مالك يوسف المطلبي، الزمن واللغة، ص29.

[5]– سيبويه، الكتاب، ج1، ص16.

لدراسة الزّمن، والتعرض إلى مختلف الجهات[1] التي تتفرّع إليها الأزمنة المختلفة، وغيرها من المسائل المتعلقة بموضوع الزّمن في اللغة العربية، ولكن هذا لا يمكن أبدا عدّه تقصيرا من نحاتنا الأجلاّء، فنحن نحسنُ الظنّ بهم، ونرى بأنّهم قد بذلوا قصارى جهدهم في خدمة اللغة العربية، وصيانتها وحفظها من اللحن، ووضع أبوابها ومباحثها، وكشف أغوارها ومكنوناتها حتى غدت اللغة العربية في زمانهم الأولى على مستوى العالم، يتسابق الناس إلى تعلـّمها من كلّ حدب وصوب، أمّـا مسألة الزّمن فكانت واضحة في ذهنهم، فـهم – ربّما – يرونها من الواضح الذي لا يوضّح، ولهذا لم يتعرضوا لها بالدراسة الشافية الوافية في مصنفاتهم لانشغالهم بمسائل أخرى يرون من الأهمية بمكان التّعرض لها، والتفصيل فيها وهذا مع إقرارنا دائما بأنّ النّحاة القدماء قد قالوا "في الزّمن الشيء الكثير، وكان بإمكانهم أن يخرجوا من ذلك بقواعد ثابتة، ولكنّ حديثهم عن الزّمن لم يكن لذاته، ولا بالهيئة التي تستوجبها أهميته في الدرس اللغوي"[2] وهذا كلّه من حسن الظنّ بهم، والاعتراف بالجميل الذي قدّموه للغة العربية.

ونحن هنا نحمد لهؤلاء القدماء كل الجهود التي بذلوها في الدرس اللغوي العربي بشكل عام، ودراسة نظام الزّمن في العربية بشكل خاص، ولكن لا يعني ذلك أنّ هؤلاء القدماء قد وصلوا إلى قعر اللغة العربية واستخرجوا منه كلّ كنوزه وصدفاته، وإنما البحث اللغوي يبقى دائما مستمرا ومتواصلا استمرار وتواصل الحياة البشرية، فالخلف اليوم مدعوون إلى مواصلة مسيرة السلف، حتى نكون خير خلف لخير سلف.

وقد وجد بعضُ المستشرقين، وثّلة ممن درسوا على أيديهم، أو تأثّروا بآرائهم من الدارسين العرب، في هذه المسألة – أعنى عدم دراسة النّحاة القدماء لمسألة الزّمن دراسة شافية كافية– مدخلا للهجوم على اللغة العربية، واتّهامها بالقصور في التعبير عن الدلالات الزّمنية المختلفة التي يحتاج إليها المتكلم بها؛ "وقد شاع بين اللغويين المختصين بدراسة تواريخ الألسن في الغرب أنّ اللغات السامية ناقصة في دلالة الأفعال على الأزمنة، ومنها اللغة العربية، على تفاوت بينها وبين الفروع الأخرى من الأرومة المشهورة باسم اللسان

[1]– مفهوم الجهة في الزمن نجده كثيرا في مصنفات الدارسين المحدثين، ويقصدون به التنوع الذي نجده الزمن الواحد؛ فالماضي مثلا يتنوع من حيث الجهة إلى ماض بعيد، وماض قريب، وماض مطلق، وماض مقيّد، وماض مستمر...إلخ.

[2]– كمال رشيد، الزمن النّحوي في اللغة العربية، دط. الأردن: 1428هـ/2008م، دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع ص09.

السامي، أو لسان الساميين"[1] فيذهب – مثلا– عالم اللغويات الفرنسي جوزيف فندريس إلى القول بأنّه لا توجد في "اللغة السامية المشتركة أيّة وسيلة للتمييز بين أزمنة الفعل المختلفة"[2] ويرى المستشرق الإيطالي موسكاتي أنّ اللغات السامية ومنها العربية "ليس فيها اطلاقا صيغ زمنية بالمعنى الصحيح، أيّ صيغ خاصة تدلّ على حدوث الفعل في الحاضر أو الماضي أو المستقبل"[3] والمتتبع لآراء هؤلاء المستشرقين يجد الكثير من الأقوال والآراء التي تطعن في اللغة العربية، وتقدح في قدرتها على التعبير عن الزّمن، إلاّ أنّ الحقيقة غير ذلك تماما؛ فاللغة العربية تتمتّع بثراء كبير في هذا الجانب، وذلك باعتمادها على مجموعة من الوسائل الآليات الخاصة بذلك، كما أنّ السياق يلعب دورا كبيرا في تحديد الدلالة الزّمنية للكلام؛ فهو "يعطي للصيغة الصرفية مفهوما زمنيا أكثر ممّا تدلّ عليه الصيغة مفردةً، فللماضي صيغ شاملة لأبعاد الماضي، وصيغ أخرى متدرّجة للتعبير عن الماضي القريب للحاضر إلى الماضي البعيد جدا، وهناك من الصيغ ما يعبّر عن الماضي البسيط، والماضي المركب والحال نفسه مع زمن الحال والاستقبال، فالعربية في الحقيقة لا تنقصها هذه الظواهر، غير أنّ البحث والتتبع والتقعيد لها لم يصل بعد إلى المستوى الذي يزيل هذا الوهم عنها."[4] وقد شهد بهذا التنوع والثراء الذي تتمتّع به العربية في التعبير عن الزّمن حتى بعض المنصفين من المستشرقين، فهذا المستشرق الألماني براجشتراسر يؤكّد هذا التنوع والثراء الذي يمكن أن يدخل على الدّلالة الزّمنية للفعل بعد دخول مختلف الأدوات والقرائن عليه، بقوله: "فكلّ هذا ينوّع معاني الفعل، تنويعا أكثر بكثير مما يوجد في أية لغة كانت، من سائر اللغات السامية، قريبا من غنى الفعل اليوناني والغربي، أو بالأحرى: أغنى منهما في بعض الأشياء. وهذا من أكبر الأدلّة على سجية اللغة العربية وطبيعتها، فهي أبدا تؤثّر المعيّن المحدود، على المبهمّ المطلق، وتميل إلى التفريق والتخصيص. فاللغة العربية أكمل اللغات السّامية، وأتمّها في هذا الباب، أي باب معاني الفعل الوقتــية وغيرها."[5] والحقّ – كما يقول المتنبي– ما

---

[1]– عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة، دط. مصر: 2012، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص43.

[2]– جوزيف فندريس، اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، دط. مصر: 1950م، مكتبة الأنجلو المصرية ص136.

[3]– سبتينو موسكاتي، الحضارات الإسلامية القديمة، تر: سيد يعقوب بكر، دط. مصر: 1900، منشورات دار الكتاب العربي، ص47.

[4]– كريم حسين ناصح الخالدي وشيماء رشيد محمد زنكنة، "الخلاف في الزّمن في ضوء السّياق والحال وأسباب النّزول"، مجلة كلية التربية الأساسية، 2012، ع 75، ص20 (بتصرف).

[5]– براجشتراسر، التطوّر النّحوي للغة العربية، ط2. مصر: 1414هـ/ 1994م، مكتبة الخانجي ص89–90.

شهد به الأعداء. ومنه يتبيّن لنا أنّ الانتقادات التي وجّهها بعض المستشرقين إلى اللغة العربية في مسالة الزّمن ينبغي أن توجّه إلى دراسة النّحاة القدماء للزّمن، وليس إلى اللغة العربية في حدّ ذاته؛ لأنّ "المعلومة الزّمنية لا تظهر في الصّيغة الفعلية، فحسب، بل تتحقّق على مستوى السّياق العام الذي يصاحب الفعل"[1] في استعمالاته المختلفة، وهو ما يسمى بالزمن النحوي أو السياقي. "ويحقّ لنا أن نقول: إنّ هذه اللغة العربية لغة الزمن بأكثر من معنى واحد؛ لغة الزمن لأنّها تُحسن التعبير عنه، ولغة الزّمن لأنّها قادرة على مسايرة الزمن في عصرنا هذا وفيما يلي من عصور."[2]

وقد بذل الدارسون المحدثون للغة العربية جهودا كبيرة في هذا الباب – نعني هنا باب الدراسة الزمنية– ترمي كلها إلى إعادة الاعتبار لنظام الزّمن في اللغة العربية، حيث تجاوزوا ما توقف عنده القدماء من التركيز على الزّمن الصرفي للصيغة، وسعوا إلى الكشف عن **الآليات المختلفة لتشكّل الدلالة الزّمنية في اللغة العربية**، وذلك من خلال الربط بين الصيغة المفردة والسياق الذي ترد فيه، مع اختلاف في الرؤى والتوجهات من دارس إلى آخر، وقد تمكّنوا حقيقةً من إعادة بعث البحث الزّمني في الدّرس العربيّ، وتوصّلوا إلى إضاءة الكثير من نقاط الظّل في هذا الجانب؛ ونذكر من هؤلاء الدارسين الدّكتور تمام حسان الذي خصّص مساحة كبيرة للحديث عن الزّمن والجهة في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) وكان من أهمّ ما توصّل إليه "أنّ الأزمنة في اللغة العربية تتفرع إلى ستة عشر زمنا باعتبار الجهة؛ وذلك أنّ الاختلاف بين زمن وزمن لا يعود إلى الصيغة، وإنّما هو نتيجة اختلاف الجهة، تأتي تعبيرات الجهة التي تتفرّع على أساسها الأزمنة إلى ستة عشر فرعا بواسطة زيادة الأدوات الحرفية والنواسخ إلى الأفعال (قد، السين، سوف، اللام، إنّ وأخواتها، كان وأخواتها،...إلخ) فهذه كلها عناصر لإفادة الجهة المحدّدة لمعـــنى الزّمن وكذلك الظروف الزّمنية، وما بمعناها فهي تخصّص الزّمن النّحوي، عن طريق الاحتواء للحدث الواحد، أو معنى الاختلاف للحدثين، وذلك عندما يُعَبَّرُ بالصيغة الواحدة عن أزمنة مختلفة كالحال والاستقبال اللذين يعبَّرُ بـــ (يفعل) فيدلّ (الآن) على زمن الحال، ويدلّ (غدا)

[1]– عبد المجيد جحفة، دلالة الزّمن في العربية؛ دراسة النّسق الزّمني للأفعال، ط1. المغرب: 2002، دار توبقال للنشر ص 79.

[2]– عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة، ص50.

على زمن الاستقبال"[1] هذا وغيرها من النتائج الكثيرة الأخرى التي توصّل إليها الدكتور تمام حسان في دراسته للزّمن. ونجد أيضا الدكتور مهدي المخزومي الذي بذل جهودا كبيرة في هذا الباب، وحكم على النّحاة القدماء بالتّسرّع عند تعرضهم إلى دارسة الزّمن، ولم يلتفتوا كثيرا إلى الثراء الزّمني الكبير الذي تتمتّع به اللغة العربية، من خلال تتبع الأساليب والسياقات الكثيرة التي ترد فيها الأفعال، وبناء على ذلك درس الزّمن في اللغة العربية من خلال السياق والقرائن والأدوات المختلفة التي تدخل على الفعل، فتخلّصه لزمن معيّن، وقد قسمّ الأزمنة على ضوء ذلك إلى عشرين زمنا[2]. وهناك باحثون معاصرون آخرون لا يسع المجال لذكرهم هنا، أبلوا كلهم البلاء الحسن في هذا الباب، وكشفت أبحاثهم النقاب عن الكثير مِن القضايا المتعلقة بمنظومة الزّمن في اللغة العربية.

ومهما يكن تبقى مسألة الزّمن في اللغة العربية تحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة ولعلّ هذه الرّسالة التي تحاول تتبع آليات التعبير عن الزّمن في اللغة العربية، من خلال شعر نزار قباني، تندرج في هذا الإطار، حيث نأمل أن تساهم – ولو بالقدر اليسير– في سدّ ثغرة في هذا الجانب، والله الموفّق.

[1]– كريم حسين ناصح الخالدي وشيماء رشيد محمد زنكنة، "الخلاف في الزمن في ضوء السياق والحال وأسباب النزول"، ص22.

[2]– ينظر: مهدي المخزومي، في النّحو العربي؛ نقد وتوجيه، ط2. لبنان: 1406هـ/1986م، دار الرئد العربي ص141 وما بعدها.

الفصل الأوّل

الفعل الماضي ودلالتة الزّمنية في اللغة العربية

الفعل الماضي ودلالتة الزّمنية في اللغة العربية: لقد سبق ورأينا بأنّ النّحاة قد قسّموا الفعل إلى ثلاثة أقسام هي الفعل الماضي والمضارع والأمر، وكان أهمّ معيار راعوه في هذا التقسيم هو معيار الزّمن، ورأينا أيضا بأنّهم قد ركّزوا كثيرا على الزّمن الصّرفي لصيغة الفعل، فهذه الأخيرة كانت الرّكيزة الأساسية التي بنوا عليها مقاربتهم الزّمنية في اللغة العربية، ومن هنا سنسعى في هذا الفصل إلى تتبّع مختلف الدّلالات الزّمنية التي يمكن التعبير عنها بصيغة الفعل الماضي، سواء كانت تلك الدلالة مطلقة؛ أي منفتحة على الزّمن بشكل عام، أو مقيّدة؛ أي تدلّ على جهة زمنية معيّنة دون غيرها من الجهات الأخرى، وهذا طبعا بالاعتماد على النّص، والذي يتمثّل هنا في شعر نزار قباني، وتسليط الضوء على ما يحيط به من ملابسات ومناسبات في السياقات المختلفة المصاحبة له، "فالدلالة الزّمنية للفعل ترتبط بالمتكلم والأحداث التي يمرّ بها، كما ترتبط بالسّياق الذي ترد فيه"[1] وهو ما سيكشف لنا عن الثّراء الزّمني الكبير الذي يمكن التعبير عنه باستخدام الفعل الماضي.

1) دلالة الفعل الماضي على الزّمن الماضي المطلق: لقد اتّفق النّحاة قديما على أنّ الأصل في التعبير عن الزّمن الماضي هو استعمال صيغة "**فَعَلَ**" وما قاربها من الصّيغ الأخرى كـــ **استفعل، افتعل، تفاعل، وانفعل** وغيرها من الصيغ، يقول المبرد: "و(فَعَلَ) وما كان في معناه لما مضى... فأمّا ما كان من ذلك على (فَعَلَ) قلّت حروفه أو كثرت، إذا أحاط به معنى (فَعَلَ) نحو: ضربَ، وعلمَ، وكرمَ، وحمدَ، ودحرج وانطلق... وكذلك إن بنيته بناء ما لم يسمّ فاعلُه، نحو: ضُربَ، دُحرجَ، واستُخرجَ"[2] فهو كله يدلّ على الماضي، وسنحاول في هذا المبحث أن نتعرض لبعض الأمثلة، من شعر نزار قباني، التي يدلّ فيها الفعل الماضي على الزّمن الماضي المطلق، وسنقتصر على أمثلة قلية لكلّ حالة، وهو ما سنسير عليه بإذن الله خلال كل أطوار ومباحث هذه الرسالة، وذلك تفاديا للإطالة، وتضخّم البحث.

لقد حفل شعر نزار قباني بالكثير من الجمل والأساليب التي احتفظ فيها الفعل الماضي بمضاويـــته، دون أن ينصرف إلى زمن من الأزمنـــة الأخرى كالحاضر والمستقبل، أو أن

---

[1]– عبد الباسط خليل محمد وآخرون، "الدلالة الزمنية للجملة الخبرية في سورة يوسف عليه السلام"، العراق: 2008، مجلة آداب البصرة، ع45، ص24.

[2]– أبو العباس المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، دط. مصر: 1415هـــ/1994م، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية؛ لجنة إحياء التراث، ج2، ص2.

ينحصر في جهة من جهات الزّمن الماضي المتنوعة، كالقرب والبعد مثلا، بل بقيت دلالته على الزّمن الماضي بشكل عام ومطلق؛ يقول نزار معبرا عن وفائه وحبه وتقديره لوطنه:

1- أنا لبـــــلادي.. لنَجمـــــاتِـــها لغيمـــاتِها.. للشـــذَى..للنّـــدَى

2- **سفحتُ** قواريرَ لـــوني نُهُـــورًا على وطني الأخضَرِ المفـــتدي

3- و**نَتَّفْتُ** في الجوّ ريشِي، صعودًا ومن شرفِ الفـــكر أن يصعـــدَا

4- **تخيّلتُ**.. حتى جعلتُ العطـــورَ تُرى.. ويُشمُّ اهتزازُ الصّدَى[1]

فالأفعال (سفحتُ، نتَّفتُ، وتخيّلتُ) تدلّ على الزّمن الماضي في بنائها الصرفيّ كما تدلّ أيضا على الزّمن الماضي داخل التركيب النّحوي من خلال السياق؛ فنزار قباني قام بسفح قوارير لونِه، ونتفِ ريشه، وهامَ في الخيال حتى تصوّر العطر شيئا محسوسا يُرى بالعين، ومثلُه اهتزاز الصّدى الذي أصبح في خيال الشاعر جسما محسوسا له رائحة تُشّم بالأنف، وهذه الأفعال الثلاثة وإن لم يكن لها وقوع ووجود في الواقع، لكونها مستحيلة الوقوع حقيقة، إلاّ أنّ لها وجود في عالم المتخيّل الشعري للشاعر، ووقوعها مقبول من الناحية الشعرية الفنية، بناء على المقولة المشهورة التي ما فتئ يردّدها الكثير من النقاد ومتذوّقو الشعر، وهي قولهم: "أجمل الشعر أكذبه"[2] ويرمي نزار قباني من خلال هذا التصوير إلى التأكيد على حبه ووفائه لوطنه، واستعداده للتضحية بكل ما هو غال ونفيس من أجله، وعبّر عن ذلك بأسلوب طافح بالخيال على غرار غيره من الشعراء الذين يُجيدون هذا الفنّ من التّعبير.

ودلالة هذه الأفعال على الزّمن الماضي واضحة في هذه الأبيات؛ والقرينة التي تؤكد ذلك هي قرينة الإخبار، فالشاعر في موقف إخبار عن أفعال قام بها حبّا في وطنه والزمن الماضي هنا زمن مطلق منفتح الدلالة، فنحن لا نعلم بالضبط متى قام نزار قباني بهذه الأفعال، أو بالأحرى متى تصوّر وتخيّل قيامه بهذه الأفعال في الماضي وبالتالي فالزّمن الماضي هنا عام غير مقيّد بجهة من الجهات، ونلاحظ أنّ هذه الأفعال كلّها وردت في جمل

[1]- نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، دط. لبنان: دس، منشورات نزار قباني، ج1، ص16.

[2]- هناك فريق آخر من النقاد والشعراء يعارضون هذه المقولة، ويتبنون مقولة أخرى هي قولهم: "أجمل الشّعر أصدقه".

خبرية مثبتة، أي غير مسبوقة بأدوات النفي، وهو ما يدلّ على أنّ الجملة الخبرية تحفظ للفعل الماضي دلالته الزّمنية التي اكتسبها في حال الإفراد[1] وهي الدلالة التي تبقى حتى في حالة ورود الفعل الماضي في جملة خبرية منفية، ونمثّل لذلك بقول نزار:

فَمَـــا **مَاتَ** مَن في الـــزَّمَنِ أَحَبَّ.. وَلا **مَاتَ** مَن غَرَّدَا[2]

فنزار في هذا البيت يريد أن يؤكّد على قيمة الحبّ في الحياة، فهو شعور نبيل يجعل صاحبَه خالدا، ولو كان في الواقع في عداد الأموات تحت الثّرى، كما يؤكّد على قيمة الشّعر، فهو يقصد هنا التغريد بالشعر، ولهذا نفى عن الشاعر صفة الموت، لأنّ شعره يعطيه الخلود، خاصة إذا كان هذا الشعر صادقا معبّرا عن الحقّ والجمال، وقد استعمل الشاعر في هذا البيت الفعل الماضي "**ماتَ**" مرتين، وجاء في كليهما مسبوقا بأداتي نفي هما "ما" و"لا"، وجاء الأسلوب خبريا، لأنّ الشاعر بصدد الإخبار عن آراء يؤمن بها، أوصلته إليها تجربته في الحياة والوجود، وقد أفاد الفعل "مات" في كلتا الحالتين الزّمن الماضي المطلق؛ أي أنّ الشاعر ينفي صفة الموت عن الإنسان المحبّ والإنسان الشاعر المليء بالأحاسيس الجميلة، في كلّ مراحل الزّمن الماضي على إطلاقه، ومن هنا يتبّين لنا أنّ الفعل الماضي، داخل الجملة الخبرية، يحافظ على دلالته الزّمنية التي كان عليها حال الإفراد سواء كان مثبتا أو منفيا.

ويبقى الفعل الماضي أيضا محتفظا بدلالته الزّمنية الصّرفية حتى في بعض الأساليب الإنشائية؛ كالاستفهام مثلا، ومن ذلك قول نزار قبّاني:

أَعِقدُ مَاسٍ و**انتهَى** حبُّنَا ؟ فلا أنا منكِ ولا أنتِ لي[3]

فهو هنا يلوم محبوبته التي خانته وهجرته، بعد أن تعرّفت على رجل آخر غنيّ أهداها عقدا من الماس، فنزار هنا يتألم ويتعجّب؛ كيف يمكن أن نستبدل الحبَّ، هذا الشعور الإنساني النبيل الذي لا يقدّر بثمن، بشيء ماديّ مهما غلت قيمتُه إلاّ أنّه يمكن أن نُقدّرَه بثمن، وقد استخدمَ- للتّعبير عن هذا السّخط والتألّم- أسلوب الاستفهام، وهو استفهام غير حقيقي الغرض البلاغي منه هو اللوم والعتاب، والفعل الماضي هنا هو "انتهى" الذي يدل على الزّمن

[1]- ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها.

[2]- نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج1، ص18.

[3]- نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج1، ص52.

الماضي من الناحية الصرفية، وبقي محتفظا بهذه الدّلالة – أي الزّمنَ الماضي– حتى بعد دخوله في أسلوب الاستفهام، ودلالة الزّمن الماضي هنا هي دلالة مطلقة مفتوحة غير مقيّدة بجهة، وهو ما يسميه بعض الدارسين المحدثين بالزّمن الماضي البسيط[1]؛ فالشاعر خانته حبيبته في فترة من فترات الزّمن الماضي، ولا ندري إن كان هذا الزّمن – مثلا– بعيدا أم قريبا من الحاضر، فالسّياق والأسلوب لا يكشفان عن نوعية الجهة في هذا البيت.

ونجد بيتين آخرين قريبين في معناهما من هذا البيت، وهما من نفس القصيدة يقول نزار:

كيفَ **تَآمَـرْتِ** عـلى حُبّـنَا وَعَامـَـهُ الأوّلَ لم يُـكـمِلِ

بائِعَـتِي.. بائـعةً نفسَـهَا مـاذا **تَمَنَّيْـتِ** ولم أفْعَـلِ؟[2]

فنزار هنا يواصل عتابه ولومه لمحبوبته، بالاعتماد دائما على أسلوب الاستفهام إذ استخدام اسم الاستفهام "كيف" في البيت الأول ثم جاء بعده الفعل الماضي "تآمرَتِ" الذي احتفظ أيضا بدلالته المطلقة على الزّمن الماضي حتى بعد دخوله في السياق، وهي الدلالة نفسها التي نجدها في البيت الثاني الذي يرى فيه نزار أنّ محبوبته حين باعته بالمال والجواهر إنّما في الحقيقة باعت نفسَها؛ لأنّها أصبحت تتقرّب من هذا الرجل الغنيّ، وتقدّم له فروض الطاعة والولاء ليس لكونها تحبّه، بل لكونها تحبُّ مالَه وعطاءَه حيث يؤكد هذا المعنى بقوله:

سبيّـةَ الدينارِ سِيـري إلى شَـارِيكِ بالنـقودِ والمخمـَلِ[3]

---

[1]– اختلف الدارسون المعاصرون في تسمية الفعل الماضي الذي لم يتقيّد بجهة معيّنة في إطار السياق؛ إذ نجد الدكتور تمام حسان يسميه "الماضي البسيط"، واعتبره الدكتور يوسف المطلبي دلالة زمنية غير محددة وسماه الأستاذ حامد عبد القادر " الماضي المطلق"، وسار على نهجه الدكتور مهدي المخزومي، وهي التسمية التي اعتمدناها في هذه البحث، ونجد بعض المستشرقين قد أطلقوا عليه "الماضي التاريخي" أو "ماضي الحكاية" (ينظر:محمد رجب محمد الوزير، "الدلالة الزمنية لصيغة الماضي في العربية"، مجلة علوم اللغة مصر: 1998م، منشورات دار غريب، مجلد:1، ع2، ص105–106).

[2]– نفس المرجع، ص52.

[3]– نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج1، ص53.

وبالمقابل من هذا تخلّت عن نزار الذي يكنّ لها كلَّ الحبّ والتقدير، والفعل الماضي "تمنّيتِ" الذي جاء بعد اسم الاستفهام "ماذا" بقي محتفظا أيضا بدلالته على الزّمن الماضي المطلق، فهذه المرأة حدث وأن تمنّت أمنيات في الزّمن الماضي وقام نزار بتلبيّتها كلّها، ولكن كلَّ ذلك لم يشفع له ببقائها معه.

فالأصل في الفعل الماضي إذن أن يدلّ على الزّمن الماضي المطلق، أو ما يسميه بعض الدارسين بالبسيط، ما لم تكن هناك قرينة تصريفه إلى زمن آخر، أو تخصّصه لجهة معينة من جهات الزّمن الماضي، والزّمن البسيط "هو الأصل والمركّب فرعٌ لذا فإنّ الأزمنة البسيطة مطلقة عن القيود، أمّا المركبة فإنّها مقيدة"[1] والشواهد والأمثلة التي تؤكّد ذلك كثيرة في اللغة العربية إلى حدّ التخمة، وقد اكتفينا هنا ببعض الأمثلة، من شعر نزار قباني، التي تبيّن ذلك تماشيا مع منهج الدراسة وخطة البحث التي أشرنا إليها سابقا.

[1]– فريد الدين آيدن، الأزمنة في اللغة العربية، ص10.

2)دلالة الفعل الماضي على الزّمن الماضي المقيّد: لقد تناولنا في المبحث الماضي بعض الأمثلة من شعر نزار قباني يدلّ فيها الفعل الماضي على الزّمن الماضي المطلق، وسنحاول في هذا المبحث أن نتناول بعض الأمثلة التي يدل فيها الفعل الماضي على الزّمن الماضي المقيّد بجهة من الجهات المختلفة، وقبل الشروع في ذلك لا بدّ من الإشارة – ولو في عجالة– إلى معنى الجهة وأنواعها، مع العلم أنّ مصطلح "الجهة" هو مصطلح حديث ظهر في كتابات بعض الدارسين العرب المحدثين، وهو ترجمة لمصطلح "Aspect" في الإنجليزية، هذا الأخير ترجمه بعضهم بـــ"الجهة"[1] وهناك من ترجمه بـــ "المظهر"[2] كما نجد من يترجمه بـــ "السياق الفعلي"[3] وغيرها من الترجمات الأخرى، ولكن يبقى مصطلح "الجهة" هو الأكثر تداولا في الساحة العربية، وذلك لاعتماد أكثر الدارسين عليه، والزّمن له ارتباط وثيق بالجهة؛ باعتباره يهتمّ ببيان وقت حدوث الحدث، بينما الجهة تهتم بطريقة حدوث الحدث وتحديد زمانه بدقة، وهناك كلام كثير، وخلاف واسع لدى الدارسين – سواء العرب أو الغربيين– لدى حديثهم عن الجهة وأنواعها، وعلاقتها بالزّمن، وغير ذلك من المباحث المرتبطة بهذا الموضوع، ولا نريد هنا أن نفتح الباب للحديث عن ذلك، والخوض في كل تلك التفاصيل المعقدة التي يصعب فصل القول فيها حتى على الدارسين الكبار، ولهذا سنضرب صفحا عن كل ذلك وسنحاول أن نذكر فقط أنواع الجهة الأكثر تداولا لدى الدارسين، ولن نتعرّض للمُخْتَلَفِ فيه، وهذا لكوننا نؤمن دائما أنّ الأصل في العلم هو التيسير، وتقريب البعيد، والبعد عن التكلّف والغموض الذي لا يمكن الركون إلى صحته؛ لأنه لا يخدم كثيرا الموضوعية والدقة اللتين يفرضهما البحث العلمي، وهذا مبدأ نحاول أن نسير عليه دائما في دراساتنا العلمية.

***أنواع الجهة:** تعرض الدارسون للكثير من أنواع الجهة، ولكن سنقتصر هنا على ذكر الأنواع الواضحة المتفق عليها، على الأقل حسب وجهة نظرنا المتواضعة وهي كما يلي:

---

[1]– وهو ما نجده عند تمام حسان، مالك يوسف المطلبي، عبد القادر الفاسي الفهري، وغيرهم من الدارسين المحدثين.

[2]– مثلما نجده عند محمد عبد الرحمان الريحاني.

[3]– مثلما نجده عند شبيب بن فالج العجمي.

– **جهة التّمام واللاتمام:** وهناك من يطلق عليها جهة الاستمرار واللاستمرار ونعني بذلك النظر إلى الحدث من جهة كونه قدم تمّ وانتهى حدوثه أم لا، وذلك بغض النظر عن الزّمن الذي حدث فيه، سواء كان ماضيا أو حاضرا أو مستقبلا.

– **جهة التكرار وعدم التكرار:** ونعني بذلك النظر إلى الحدث من جهة كونه يتكرر حدوثه في الزّمن أم وقع مرة واحدة فقط دون تكرار.

– **جهة البعد والقرب:** ونعني به النّظر إلى الحدث من جهة كونه حدث أو يحدث في زمن بعيد عن زمن الكلام عنه أو العكس؛ أي حدث أو يحدث في زمن قريب من زمن الحديث عنه.

– **جهة البدء:** وتدلّ على بداية حالة أو حدث في نقطة زمنية معينة من الأزمنة المختلفة.

– **جهة التحوّل:** وتدلّ على أنّ حالة وحدثا قد طرأ عليه تحوّل من حالة إلى أخرى في نقطة زمنية معيّنة من الأزمنة المختلفة.

وسنحاول أن نتتبع هذه الجهات المختلفة من خلال شعر نزار قباني، وذلك بدراسة بعض الأمثلة الشعرية التي تعبّر عن هذه الجهات المختلفة، مع العلم أنّ هذه الجهات لا تكون حاضرة دائما في كل الأزمنة، فالزّمن الحاضر– مثلا– لا يمكن أن تحضر فيه جهة البعد والقرب؛ لأنّ الزّمن الحاضر هو اللحظة الآنية التي نتحدث فيها عن الحدث، أي أنّ زمن الفعل أو الحدث هو نفسه زمن الحديث عنه، وبالتالي لا يمكن أن يكون هناك زمن حاضر بعيد، وآخر قريب، فالحاضر زمن واحد ونقطة واحدة فبالتالي يقلّ التنوّع الجهيّ لدى حديثنا عن الزّمن الحاضر .

***جهة التّمام في الزّمن الماضي:** ونمثّل لها بقول نزار قباني:

قميصُكِ الأخضرُ...من يا تُرى ** **باعَكِ** هذا اللونَ .. قُولي أُصدُقي

أَمِنْ ضفافِ السّــيْنِ خيــطانُهُ ** واللــونُ من دَانُــوبِهِ[1] الأزرقِ[2]

[1]– السيْن والدانوب نهران في أوروبا.

[2]– نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج1، ص43.

فنزار في هذين البيتين يتغزلّ بمحبوبته التي أعُجب بقميصها الأخضر الذي لبسته، فيسألها متغزلا عن مصدر هذا القميص الجميل، ومن أين ابتاعته؟ وقد بلغ إعجاب نزار بلون القميص أن تصور خيوطه قد نسجت من ضفاف نهر السّيْن بفرنسا واللون الأزرق الذي يشوب خضرته، ما هو إلاّ انعكاس لزرقة نهر الدانوب في أوروبا. والشاهد هنا هو الفعل "**بَاعَ**" فهو من حيث الزّمن يدلّ على الماضي لأنّ البيع قد تمّ في الماضي مثلما يدلّ عليه سياق الأبيات، ومن حيث الجهة فإنّ الفعل "**بَاعَ**" يدلّ على التمام؛ أيّ أنّ عملية البيع قد تمت وانتهت في الماضي، بدليل أنّ محبوبة نزار قد لبست القميص أمامه، وما كان لها أن تلبسه لولا كونها قد انتهت من شرائه، فزمن الفعل هنا هو الماضي، وجهته هي التّمام، فتصبح دلالته هنا هي **الماضي التام**.

كما أنّ الفعل "**باعَ**" هنا مرتبط بجهة أخرى هي جهة عدم التكرار، ففعل البيع قد حدث مرة واحدة وانتهى الأمر، فهو ليس متجدّدا أو متكرّرا مع الزّمن، وإنّما حدث البيع في نقطة زمنية من الزّمن الماضي، وانتهى الأمر دون تجدّد، وبالتالي تكون للفعل "**باع**" في هذين البيتين دلالة ثانية هي **الماضي غير المتكرّر**.

***جهة الاستمرار في الزّمن الماضي:** والاستمرار –كما أشرنا آنفا– من الجهات التي تساهم في تحديد طريقة حدوث الفعل الماضي بدقة، ونمثل لذلك بقول نزار قباني في إحدى قصائده الحرة والتي عنوانها "الاستجواب" حيث يقول:

قضيتُ عشرينَ سنهْ

مُكوّمًا كرزمةِ القشِّ على السّجادةِ

الحمراءْ[1]

فنزار قباني هنا بصدد التنديد بالواقع المرير الذي فرضته بعض الحكومات العربية على المثقفين، من تكميم الأفواه، ومصادرة الحرّيات، وما إلى ذلك من مظاهر التسلط والظلم، والشاهد في هذه الأسطر هو الفعل " **قَضَى**" الذي يدلّ على زمن المضيّ، وهو من

[1]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، دط. الجزائر: دس، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ص264.

حيث الجهة يدلّ على الاستمرار، لأنّ هذه المعاناة التي يتحدث عنها الشّاعر لم تنته بين عشية وضحاها، وإنّما لازمته واستمرت معه لمدة طويلة، والقرينة الدالة على ذلك هي عبارة "عشرين سنة" فهذه العبارة حدّدت بدقة جهة الفعل، وبالتالي يكون الفــعل "قضى" من حيث الزّمن ماضيا، ومن حيث الجهة استمراريا، فتكون دلالته هي **الماضي المستمر**. والاستمرارية هنا حدثت في الماضي فقط؛ لأنّ من يواصل قراءة بقية القصيدة، يجد أنّ الشاعر لم يرض بواقعه، بل ثار على الظلم حتى تمكن من طعنه وقتله، ثائرا بذلك لنفسه ولملايين المظلومين مثله من الشعب، والذين أطلق عليهم تسمية الأنعام؛ حيث يقول:

يا سادتي

بخَنجري هذا الذي ترونَهُ

طعنتهُ في صدرهِ والرّقبهْ

طعنتهُ في عقله المنخُورِ مثل الخشبهْ

طعنته باسمي أنا

واسم الملايين من الأغنامْ[1]

كما يمكن أن يكون الفعل الماضي مستمرا في الزّمن الحاضر والمستقبل كقولنا مثلا: "آمنتُ بالله" فالفعل "آمن" زمانه هو الماضي، وجهته هي الاستمرار، وهو استمرار يتجاوز الماضي إلى الحاضر؛ لأنّي عندما قلت هذه الجملة مازالت مؤمنا، كما أنه مؤهّلُ للاستمرار في المستقبل، إن شاء الله، لأنّ الإيمان عقيدة ومبدأُ غالبا ما يستمر مع الإنسان مدى الحياة. كما تعبّر بعض أخوات "كان" عن هذه الاستمرارية التي تتجاوز الماضي إلى الحاضر والمستقبل، مثل: (مازال، مافتئ، ما برح) ونمثل لذلك بقول نزار:

ما زلتُ برغم صراع الإخوةِ

أخترعُ الأحلامْ

وأقولُ بأنّ اللهَ

[1]– المرجع نفسه، ص 264.

سيجمعُ يومًا مَا بين الأرحام[1]

فنزار قباني في هذه الأسطر مازال يأمل أن يأتي اليوم الذي تتوحد فيه الأمّة العربية، وتنتهي حالة الخلاف والشقاق التي تعيشها اليوم، وقد استخدم للتعبير عن ذلك الفعل النّاقص "مازال" وهو من أخوات "كان"، وهو فعــل ماض من حيث الزّمن ومستمر من حيث الجهة، لأنّ حلم الوحدة مازال مستمرا مع نزار في الحاضر ومرشح للاستمرار في المستقبل، وهو ما حدث حقا مع نزار، إذ مات وحُلم الوحدة العربية يسكن بين أضلعه، فجهة الاستمرار هنا تتجاوز حدود الماضي إلى الحاضر والمستقبل وهذا من الخصائص التي تتميّز بها هذه الأفعال الناقصة.

***جهة التكرار في الزّمن الماضي:** وهي أيضا من الجهات التي تدخل على الماضي، ومن ذلك قول نزار في قصيدته "التأشيرة":

كان جوازي بيدي

يحلمُ بالأرضِ التي **لعبتُ** في حقولهَا

و**أطعمتني** قمحَها، ولوزَها وتينَها

و**أرضعتني** العافيهْ[2]

فنزار الذي يعيش في الغربة، يتذكر بحرقة في هذه الأسطر أيام الصِّبا والشباب في بلده بين أهله وخلانه، وقد كان يمسك جواز سفره بيده أمام نقطة التفتيش، وهو كله أمل في السماح له بالعودة والدخول إلى وطنه، ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، فيمنع من ذلك، فتفيض نفسه حرقة وألما، فيهيمُ في تذكّر ذلك الماضي الجميل مستخدما في ذلك الأفعال التالية (لعبتُ، أطعمتْ، أرضعتْ) وهي أفعال زمن حدوثها هو الماضي، لأنّ الشّاعر بصدد التذكر والاسترجاع، أمّا جهتها فهي التكرار، فهذه الأفعال لم تحدث مرة واحدة فقط، بل تكرّر حدوثها لمرات كثيرة؛ فالفعل "**لعبتُ**" لا يعقل أن يحدث مرة واحدة فقط، لأنّ الأصل في اللعب لدى الأطفال أن يتكرّر في كلّ مرحلة الطفولة، وكذلك الفعل "**أطعمتْ**" الذي يدلّ بدوره على التكرار، لأنّ الإطعام شيء لا يمكن الاستغناء عنه، وقد تكرّر مع نزار طول المدة التي

[1]– المرجع نفسه، ص326.

[2]– المرجع نفسه، ص267.

قضاها في وطنه، حيث كانت أرضه تتكرّمُ عليه بكلّ ما طاب ولذّ من الخيرات كالقمح واللوز والتين، ونفس الأمر نجده في الفعل "**أرضعتْ**" وهذا بالرغم من الشاعر قد أسنده هنا إلى أرض وطنه التي أرضعته العافية، إلاّ أنّ الأصل في الإرضاع هو التكرار، فعندما نقول: "أرضعتني أمُّي في طفولتي" لا يُعقل أن يكون فعل الإرضاع قد حدث مرة واحدة، بل الأصل فيه أن يتكرّر كثيرا، وقد تطول مدّة تكراره إلى الحولين، فهذه الأفعال الثلاثة زمنها هو الماضي، وجهتها هي التكرار، وبالتالي تكون دلالتها الزمنية هي **الماضي المتكرّر** وهناك أساليب أخرى للتكرار من أشهرها دخول أداة الشرط "كلّما" على الفعل الماضي نحو قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً ﴾(سورة آل عمران: 37) فالفعلان "**دخلَ**" و"**وجدَ**" من حيث الزّمن يدلان على الماضي، ومن حيث الجهة يدلان على التكرار، والقرينة في ذلك هي أداة الشرط "كلّما". وللقارئ أن يسأل الآن عن الفرق بين جهة الاستمرار والتكرار، باعتبار التشابه الموجود بينها فنقول: إنّ جهة الاستمرار تعني أنّ الفعل قد بدأ وتواصل حدوثه إلى نقطة زمنية معينة تختلف من سياق إلى آخر نحو قول نزار:

وَقفتُ شهرًا كاملا

وَقفتُ عامًا كاملا

وَقفتُ دهرًا كاملا

أمام أبوابِ زعيمِ المافيا[1]

فالفعل "**وقفتُ**" هنا يدل على جهة الاستمرار في وقت معينّ وهي الشهر والعام والدهر، يعني أنه حدث مرة واحدة لكنّ حدوثه تميّز بالطول واستغراق الوقت. أمّا جهة التّكرار فتعني أنّ الفعل قد حدث مرّات متعدّدة نحو:"صلّى الرجلُ كلّ صلواته في المسجد" فالفعل "**صلّى**" لا يدل هنا على الاستمرارية وإنّما يدلّ على التجدّد والتكرار، أي أنّ فعل الصلاة يحدث وينتهي، ثم يبدأ وينتهي من جديد، وهكذا؛ فالرّجل صلّى الصّبح وانتهى من فعل الصلاة، ثمّ شرع في صلاة جديدة هي الظهر وانتهى من فعل الصلاة ...الخ، وذلك خلال مدة زمنية معينة تختلف من سياق لآخر، وبهذا يتبين الفرق بين الجهتين.

[1]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص268.

***جهة البعد في الزّمن الماضي:** وهي من أهم الجهات في تحديد زمن الفعل بدقة ونمثل لها بقول نزار في قصيدته الرائعة "القدس":

يا قدسُ.. يا منارة الشرائعْ

يا طفلةٌ جميلةٌ محروقةَ الأصابعْ

حزينةٌ عيناكِ يا مدينةَ البتولْ

يا واحةً ظليلةً **مَــرَّ** بها الرّسولْ[1]

فالفعل "مرَّ" في السطر الأخير يدلُّ من حيث الزّمن على الماضي، ومن حيث الجهة على البعد، والقرينة هي السياق التاريخي؛ فالشاعر في سياق سرد الأحداث فهو بصدد الحديث عن واقعة تاريخية حدثت في القدس هي حادثة الإسراء التي أُسري فيها بالنبي – صلى الله عليه وسلم– إلى المسجد الأقصى بالقدس، وبالتالي فمرور الرســول – صلى الله عليه وسلم– بهذه المدينة حدث منذ زمن بعيد، أي قبل أربعة عشر قرنا مضت، وهذا ما يجعل من الفعل "**مَرّ**" يدلّ على الزّمن **الماضي البعيد**. وهناك أساليب أخرى في اللغة العربية للتعبير عن الماضي البعيد تحدث عنها النّحاة في كتبهم أشهرها ما يلي:

– استخدام التركيب (كان قد فعل) نحو قولنا: "**كان قد أدَّى** واجبَه كاملاً" فالفعل "**أدّى**" يدل على الزّمن الماضي البعيد لأنّه سُبق بـــ "كان" و"قد".

– استخدام التركيب (قد كان فعل) نحو قوله تعالى:﴿ و**لَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا** اللّهَ مِن قَبْلُ ﴾ (سورة الأحزاب: 15) فالفعل "**عاهدوا**" يدلّ على الزّمن الماضي البعيد لأنّه سُبق بـــ "قد" و"كان".

– استخدام التركيب (كان فعل) نحو قوله تعالى:﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ **كَانَ كُفِرَ** ﴾(القمر: 14) فالفعل "كُفر" يدلّ على الزّمن الماضي البعيد لأنّه سُبق بـــ "كان".

***جهة القُرب في الزّمن الماضي:** وهي عكس جهة البعد، والمعتمد في تحديد هذه الجهة هو السياق ومختلف القرائن المحيطة بالفعل، كقولنا مثلا: "انصرفَ منذ قليل" أو "انصرفَ للتّو" فهذه الأمثلة وغيرها يدلّ فيها الفعل الماضي على القرب من الحاضر وهناك طرق أخرى للتعبير عن هذا القرب، ومن ذلك أن يُسبق الفعل الماضي بـــ "قد" إذ يقول

[1]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص275.

عباس حسن لدى حديثه عن زمن الفعل الماضي: "ولكن إذا سبقته "قد" –وهي لا تسبقه في الغالب إلاّ في الكلام المثبت– دلّت على أنّ انقضاء زمانه قريب من الحال؛ فمثل: (خرج الصاحبان) يحتمل الماضي البعيد والقريب، بخلاف : (قد خرج الصاحبان) فأنّ ذلك الاحتمال يمتنع، ويصير زمن الماضي قريبا من الحال بسبب وجود «قد» "[1] وهو ما ذهب إليه أيضا مصطفى الغلاييني في كتابه المشهور «جامع الدروس العربية» فذكر أنّ من معاني "قد" تقريبُ الماضي من الحال[2]، ونمثّل لهذا بقول نزار قباني:

جميعُهُم **قد دخلُوا** جُحورَهم

و**استَمتَعُوا** بالمسكِ، والنّساءِ، والرّيحانْ

جميعُهُم مُدجّنٌ، مروَّضٌ، منافقٌ، مزدوجٌ

جبانْ[3]

فنزار قباني بصدد الإنكار على العرب بشكل عام، والمسؤولين العرب بشكل خاص، لأنّهم تخلّوا عن القضية اللبنانية عندما تعرضت لبنان للغزو الإسرائيلي المدعوم بالقوة الأمريكية في أواخر القرن الماضي، فهو في تلك الفترة يعيبُ على الحكومات العربية صَمْتَهُنَّ، وانشغالهنّ بالأمور التافهة حسبه، والشاهد في هذه الأسطر هو الفعلان الماضيان (دخلوا واستمتعوا) اللذان سُبقا بـــ "قد" ما صرفهما لجهة القرب، فأصبحت دلالتهما هي **الماضي القريب**؛ لأنّ من معاني "قد" تقريبَ الماضي من الحال[4]. ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أنّه ليس كل فعل ماض مسبوق بـــ "قد" يدلّ مباشرة على الماضي القريب من الحاضر، وإنّما السّياق يلعب دورا كبيرا في تحديد ذلك، فهناك الكثير من الأساليب والأمثلة التي تدخل فيها "قد" على الفعل الماضي، ولكنه لا يدلّ على الماضي القريب؛ ومن ذلك – مثلا– قولنا: " **قد وقعتِ** المعركةُ قبل قرون" وقولنا: "**قد مات** الرجلُ منذ سنواتٍ طويلةٍ" فالفعلان الماضيان (وقعت ومات) يدلان الماضي البعيد رغم كونها مسبوقين بـــ "قد" وذلك لوجود قرائن تدلّ

---

[1]– عباس حسن، النحو الوافي، ط3. مصر: د س، دار المعارف، ج1، ص52–53.

[2]– ينظر: مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، دط. لبنان: د س، دار الشرق العربي، ص628.

[3]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص315.

[4]– ينظر:علي توفيق الحمد ويوسف جميل الزعبي، المعجم الوافي في أدوات النّحو العربي، ط2. الأردن: 1414هـ/1993م، منشورات دار الأمل، ص230.

على هذا البعد مثلما هو واضح في هذه الأمثلة. وهناك من الدارسين من يذكر أدوات أخرى تدخل على الفعل الماضي فتخصّصه للماضي القريب، يقول الدكتور علي شلق في حديثه عن الحالات التي يكون فيها الفعل الماضي دالا على القــرب من الحاضر: "ومن ذلك أيضا اقتــران الماضي بــ "ما" النــافية، وذلك في مثل قــول القائل: «عاد المسافرون» فتُــعقّبُ بقــولك: **ما عادَ** المسافرون."[1] ولكن يبقى ذلك ليس مطلقا في كل الحالات، وإنّما للسّياق دور كبير في تحديد ذلك مثلما رأيناه عند دخول "قد" على الفعل الماضي.

ولعلّ من الأهمية بمكان أن نشير هنا إلى أنّنا نجد في اللغة العربية مجموعة من الأفعال تُستعمل للدلالة على الزّمن الماضي القريب من الحال، ونعني بذلك ما أطلق عليه النّحاة أفعال المقاربة، وأشهرها ثلاثة هي: (كادَ، أوشَكَ، وكَرَبَ) يقول عباس حسن في حديثه عن زمن الفعل الماضي: "وكذلك يكون زمنه ماضيا قريبا من الحال إذا كان فعلا ماضيا من أفعال المقاربة مثل "كاد" فإنّ زمنه ماض قريب من الحال؛ بل شديد القرب من الحال ليساير المعنى المراد."[2] ويضرب مثالا على ذلك فيقول: "في جملة مثل "الماءُ يغلي" يفهم السامع – بسبب وجود الفعل المضارع– أنّ الماء في حالة غليان الآن، أو أنّه سيكون كذلك في المستقبل، فإذا قلنا: "كاد الماءُ يغلي" اختلف المعنى تماما؛ إذ نفهم أمرين: أنّ الماء اقترب من الغليان اقترابا كبيرا، وأنّه لم يغل بالفعل؛ أي أنّه في حالةٍ إن استمرّت زمنا قليلا فسيغلي. والسبب في اختلاف المعنى الثاني عن الأول هو وجود الفعل "كاد" في الجملة الثانية مع أنّه ماض."[3] وهذه الأفعال تساهم بشكل كبير في الثراء الزّمني للغة العربية، فهي من أهم الوسائل المعبرة عن الزّمن.

ومن الجدير بالذكر هنا أيضا أنّ تنوّع الجهات وتعدّدها في الفعل الواحد داخل الجملة الواحدة، هو ظاهرة تتكرّر كثيرا في اللغة؛ فمثلا إذا أخذنا قول نزار قباني في الأسطر الماضية: "جميعُهُم **قد دخلُوا** جُحورَهم" نجد الفعل الماضي "دخلوا" يدلّ على جهة القرب – مثلما رأينا ذلك سابقا– وهو في نفس الوقت يدلّ على جهة التّمام؛ لأنّ فعل الدخول تمّ وانتهى في الماضي، فبالتالي تكون الدلالة الزّمنية لهذا الفعل هي الماضي التام القريب. وربما قد نذهب إلى أبعد من هذا فنقول إنّ ثنائية التمام واللاتمام أو ما يسميه البعض بثنائية الاستمرار

[1]– علي شلق، الزمن في اللغة العربية والفكر، ط1. بيروت: 2006، دار ومكتبة الهلال، ص72.

[2]– عباس حسن، النّحو الوافي، ج1، ص53.

[3]– عباس حسن، النّحو الوافي، ج1، ص614.

واللاستمرار دائما ما يُصاحب أحدُ طــرفيها الفعل – مهما كان زمانه– في كل أحواله، حتى في حال كونه مطلقا غير مقيد مثلما رأينا في أمثلة المبحث الأول من هذا الفصل.

***جهة البدء في الزّمن الماضي:** وهي تدلّ على بداية حالة معينة أو حدث معين في الزّمن الماضي، وهناك أفعال تُعبّرُ عن هذه الجهة في اللغة العربية من أشهرها: "بدأَ" و"انطلقَ" وما في معناهما؛ نحو قولنا: "**انطلقَ** السّباقُ فاشتّد الصّراعُ بين المتسابقين" فالفعل "انطلق" يعبّرُ عن ابتداء حدث في الزّمن الماضي ويتمثّل هنا في السّباق، فبالتالي يكون زمن الفعل هنا هو الماضي، وجهته هي البدء، ويمكن أن نمثّل لهذه الجهة أيضا بشعر نزار قباني حين يقول:

بَدَأَ الزّقافُ، فمن تكون مُضيفَتِي ** هذا المساءُ، ومَن هو العَرَّابُ؟

أأنا مغنيّ القصرِ يا قرطاجةُ ** كيف الحضورُ وما عليَّ ثيابُ؟[1]

فنزار في هذا البيت المأخوذ من قصيدته المشهورة "تونس الخضراء" التي ألقاها في تونس بمناسبة احتضانها لإحدى قمم الجامعة العربية، بعد أن أُبعدت عنها مصر بعد زيارة السفير الإسرائيلي لها، يتحدثُ عن هذه القمة التي وصفها بالعرس، وفي ذلك نوع من الاستهزاء بالمسؤولين العرب، وذلك على عادة نزار الذي لا يترك مناسبة إلا وأعربَ عن استنكاره وتنديده بسياسات الدول العربية، والفعل "بدأَ" هنا يدلّ على ابتداء حدث في الزّمن الماضي والمقصود هنا هو قمة الجامعة العربية، والحدث هنا مستمرٌّ في المستقبل، حيث أنّ نزار يتساءل عمن ستكون مضيفتُه في هذا العرس في مساء ذلك اليوم، والزّمن هنا هو الماضي، والجهة هي البدء، وبالتالي تكون دلالة الزّمنية للفعل "بدأ" هي **الماضي الابتدائي.**

***جهة التّحوّل في الزّمن الماضي:** وهي تدلّ على تحوّل أو تغيرّ طرأ على حالة معيّنة أو حدث معين فتحوّل إلى حالة أخرى جديدة في نقطة زمنية معينة من الماضي وهناك مجموعة من الأفعال الماضية التي يمكن أن تعبر عن هذه الجهة، منها تلك التي على وزن "اِفْعَلَّ" التي تحمل معنى التحوّل والصيرورة؛ نحو: "**اِحْمَرَّ** وجهُ الفتاةِ عند تناولها الكلمةَ" و"**اصفرَّ** الحقلُ بعد اخضراره" فالفعلان "احمرّ" و"اصفرّ" اللذان على وزن "**اِفْعَلَّ**" يدلان على معنى التّحوّل والصيرورة في نقطة زمنية معيّنة من الزّمن الماضي؛ فاحمرار وجه الفتاة

[1]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص307.

جاء بعد تناولها الكلمة، وهو تحول من حالة إلى حالة، أي من حالة عدم وجود الحياء إلى حالة وجود الحياء، واصفرار الحقل كذلك تحوّلٌ من حالة إلى أخرى؛ أي من حالة الاخضرار إلى حالة الاصفرار، وبالتالي يكون الفعلان هنا قد أفادا معنى التّحول والصّيرورة، وهناك طائفة أخرى من الأفعال في اللغة العربية يمكن التعبير بها عن جهة التحوّل، ومن ذلك بعض أخوات "كان" كـــ «أصبح» و«أمسى» و«أضحى»، ونمثّل لذلك بقول نزار قباني حين يتغزّل بمحبوبته قائلا:

على الليالي دَخَلْنَا ** **فأصبَحتْ** مَهرجَانْ

فحيثُ رفَّتْ خُطانا ** تَفتَّقَتْ نجمتـــانْ

وحيثُ سالَ شذانا ** تفَتَّحتْ وردتانْ

ويعرفُ الليلُ أنّا ** كنّا له شمعذَانْ[1]

فنزار في هذه الأبيات يتيهُ في خياله الشعري إلى درجة أن تصوّر أنّه دخل رفقة محبوبته على الليالي فتحوّلت بدخولهما إلى مهرجان كبير؛ تَتَفَتَّقُ فيه النّجومُ من خطاهما، وتتفتّحُ فيه الورودُ من عطريهما، ويتحولان بذلك إلى شمعذان كبير يضيء هذا الليل الدّامس، ويطردُ ظلمتَهُ، فالفعل "**أصبح**" في هذه الأبيات يدلّ على حالة التّحوّل الرّهيب الذي طرأ على الليالي جرّاء دخول الشّاعر ومحبوبته عليها، وهو فعل ناقص زمنه هو الماضي، وجهته هي التّحوّل، فتكون دلالته الزّمنية هي **الماضي المتحوّل** وهذا ما يبيّن أهمية الأفعال الناقصة في إثراء الدلالة الزّمنية في اللغة العربية.

هذا، وهناك جهات أخرى كثيرة يمكن التعبير عنها باستخدام صيغة الفعل الماضي؛ ومن ذلك –مثلا– جهة ما قبل الزّمن الماضي، ولها أدوات وسياقات كثيرة تعبر عنها، ومن ذلك مجيء الفعل الماضي قبل الحرف "حتى" تتلوه صيغة الماضي؛ كقول نزار:

بكيتُ.. حتى انتهت الدموعْ

صلّيتُ.. حتى ذابتِ الشّموعْ

ركعتُ.. حتى ملّني الرّكوعْ[1]

[1]– نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج1، ص204

فالأفعال (بكيتُ، صليتُ وركعت) حدثت قبل الزّمن الماضي للأفعال (انتهت ذابت وملّ) على التوالي؛ فالبكاء حدثَ قبل انتهاء الشموع، والصلاة حدثت قبل ذوبان الشموع، والرّكوع حدثَ قبل ملّ الرّكوع له، وبالتّالي أطلق على جهة الأفعال الماضية التي سبقت "حتى" بجهة **ما قبل الزّمن الماضي**؛ لأنّها تدلّ على أحداث ماضية حدثت قبل الزّمن الماضي الذي تدلّ عليه الأفعال الماضية التي جاءت بعد الحرف "حتى" وهذا كلّه يدلّ على الثّراء الكبير الذي تتمتّع به البنية الزّمنية للغة العربية .

[1]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص275.

3) دلالة الفعل الماضي على الزّمن الحاضر المطلق: والمقصود بصفة الإطلاق هنا – كما رأينا آنفا– هو "الخلوّ من معنى الجهة، أو بعبارة أخرى عدم الجهة، فيكون معنى الجهة هنا معنى عدميّا"[1] وهو ما يسميه الدكتور "تمام حسّان" بالزمن البسيط، أي المتحرّر من الجهات المختلفة، وهناك بعض الحالات التي يدلّ فيها الفعل الماضي على الزّمن الحاضر، ومن ذلك ما يلي:

– **إذا دخلت عليه "قد" وجاء في سياق التّوقع:** لقد رأينا في مبحث سابق أنّ دخول "**قد**" على الفعل الماضي تجعله قريبا من الحاضر، ولكنّها من جهة أخرى يمكن أن تجعل الفعل الماضي دلا على الحاضر؛ وذلك إذا جاءت في سياق التوقّع، ويُفصّل المرادي القولَ في معاني "**قد**" حين يقول: "والحاصل أنّها تفيد مع الماضي أحد ثلاثة معان: التوقّع، والتقريب[2]، والتّحقيق"[3] فالتحقيق يدلّ على تأكيد حدوث الفعل الماضي في الزّمن الماضي المطلق كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ المُؤمِنُونَ﴾(المؤمنون، الأية:01) ومعنى التّقريب سبق ورأيناه في مبحث ماض، وما يهمّنا هنا هو معنى التّوقع، وهو انتظار وترقب حدوث الشيء في المستقبل، إذ يمكن التعبير عن هذا المعنى في الحاضر باستخدام الفعل الماضي الذي دخلت عليه "قد" ومن أمثلة ذلك مثلا: جنديّ في مكان الحراسة يترقّب وصول العدوّ، لينبّه زملاءه للاستعداد للمعركة، فهو بمجرد أن يرى العدوّ، حتى يطلق العنان لحنجرته صائحا: **قد وصلَ** العدوُّ، يعني أنّ العدوّ وصل الآن فالذي صرف الفعل الماضي "**وصل**" إلى الزّمن الحاضر المطلق، هو قرينتان، وهما: الأداة "**قد**" وسياق التوقّع، ويلخّص الدكتور "محمد عبد الرحمان الريحاني" هذه المعاني الثلاثة التي تفيدها "قد" عند دخولها على الفعل الماضي كما يلي:

– قد+ فَعَلَ (في التّوقّع) = الماضي المتوقّع أو الحال التام.

– قد + فَعَلَ (في سياق التّقريب) = الماضي القريب من الحال.

---

[1]– تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص245.

[2]– التقريب: هو معنى رأيناه عند حديثنا عن جهة القرب في الفعل الماضي.

[3]– الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الدّاني في حروف المعاني، تح: فخر الدّين قباوة ومحمد نديـــم فاضل ط3. بيروت: 1983م، منشورات دار الآفاق الجديدة، ص 269.

– قد + فَعَلَ (في سياق التحقيق) = الماضي المحقّق. [1]

وقد أشار سيبويه إلى أنّ "قد" تفيد معنى التوقّع؛ إذ يقول:" و(لمّا يفعلْ) و(قد فعلَ) إنّما هما لقوم ينتظرون شيئا"[2] فالمقصود بقوله "ينتظرون شيئا" هو معنى التوقّع، ومن ذلك – مثلا– قول المؤذن: "قد قامت الصلاة" فالفعل "قامت" ماض يدلّ على الزّمن الحاضر؛ لأنّ الصلاة قامت في نفس الوقت الذي أقامها فيها المؤذن، فهذه العبارة "جواب لمن كان ينتظر وقت الصلاة، ويتوقّع اقترابه."[3]

ويمكن أن نمثّل هنا للفعل الماضي الدّال على الزّمن الحاضر بقول نزار قبّاني:

كُنتُ أعرفُ أنّها سوفَ تُقتلْ

وكانت تعرفُ أنّني سوف أُقتَلْ

و**قد تحقّقت** النُّبُوءَتَانْ[4]

فنزار هنا يتحدّث عن زوجته "بلقيس" التي قُتلت في انفجار قنبلة سنة 1981م وهو في السّطرين الأولين يقول أنه كان يتوقّع قتلها، كما كانت هي تتوقع قتله، ليقول بعد ذلك:" و**قد تحقّقت** النُّبُوءَتَانْ" فالفعل الماضي "تحقّقتْ" يدلّ عل الحاضر؛ لأنّه سُبق بالأداة "**قد**" وفي نفس الوقت جاء في سياق التّوقّع، فكأنّي بنزار يقول عندما قُتلت زوجته: «ها قد تحقّقت نبوءةُ قتلها الآن، كما تحقّقتُ أيضا نبوءةُ قتلي» وزوجته «بلقيس» قُتلت حقيقة في الانفجار، أمّا قتله هو، فقد كان قتلا معنويا بسبب فقده لزوجته التي عاش معها أجمل أيّام عمره كما كان يقول دائما.

-إذا جاء الفعل الماضي في سياق الإعلان عن أمر والإقرار به: ويمكن أن نستشهد لذلك بقوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿قالَ **آمَنتُ** أنّهُ لا إلهَ إلاّ الذي آمَنَتْ به بنُو إسرَائيلَ وَأنا من المُسلمِينَ﴾ (يونس:90) فالفعل الماضي "**آمنتُ**" يدلّ هنا على الحاضر باعتبار أنّ

---

[1]– محمد عبد الرحمن الريحاني، اتّجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية، دط. مصر: دس، منشورات قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ص43.

[2]– سيبويه، الكتاب، ص115.

[3]– كمال رشيد، الزمن النحوي في اللغة العربية، ص107.

[4]– غالية محمّد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص22.

فرعون قال هذا الفعل في سياق الإقرار، والاعتراف حين أدركه الغرق[1] فهو قبل الغرق لم يكن مؤمنا، وأصبح كذلك حين أدركه الغرق؛أي أنّ زمن إيمانه بالله تطابق مع زمن نطقه وإقراره بهذا الإيمان، ونعني هنا الزّمن الحاضر.

-**إذا اقترن الفعل الماضي بظرف يدلّ على الحال:** مثل "الآن" نحو قولنا: "دخلتُ الآن" فالفعل الماضي «دخل» يدلّ على الزّمن الحاضر، والقرينة التي صرفته إلى هذه الدّلالة هي ظرف الزّمن «الآن» الذي يدلّ على الآنية؛ يقول ابن يعيش: "الآن ظرف من ظروف الزّمن معناه الزّمن الحاضر، وهو الذي يقع فيه كلام المتكلّم الفاصل بين ما مضى وما هو آتٍ."[2] ومن أمثلة ذلك أيضا كلمة "توّا" نحو قولنا مثلا: "دخلتُ للتوّ إلى البيت" بمعنى: دخلتُ الآن إلى البيت، ونمثّل للفعل الماضي المقترن بظرف زمن يدلّ على الحال بقول نزار قباني:

وأنا أُحبّكِ

غير أنّي قد **نسيتُ** الآن

ترتيبَ الكلامْ[3]

فالفعل الماضي "**نسيتُ**" يدلّ هنا على الزّمن الحاضر المطلق؛ لأنه اقترن بظرف زمان يدلّ على الحال وهو "الآن".

-**إذا ورد في سياق التّعجب:** والتعجب هو انفعال يحدث في النّفس عندما نجد أنفسنا أمام شيء عجيب أو غريب أو خارق للعادة، وما إلى ذلك، وله صيغتان قياسيتان هما (ما أفعل) و(أفعل به)، ومن ذلك قولك: "ما **أجملَ** فصل الربيع"، فالفعل الماضي "**أجملَ**" يدلّ هنا على الزّمن الحاضر، لأنّه ورد في سياق التعجّب، و"التعجّب تعبير عن انفعال حاضر"[4] وهو هنا غير مقيّد بجهة معيّنة فدلالته الزّمنية هي الزّمن **الحال المطلق.**

---

[1]- ينظر: محمد رجب محمد الوزير، "الدّلالة الزّمنية لصيغة الماضي في العربية"، مجلة علوم اللغة، دار غريب، مصر: 1998م، مجلد:01، العدد:02، ص143 وما بعدها.

[2]- ابن يعيش، شرح المفصل، ج4، ص103.

[3]- غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص 339.

[4]- تمام حسان، الخلاصة النّحوية، ط1. مصر:1420هـ/2000م، منشورات عالم الكتب، ص61.

ويجد الإشارة هنا إلى أنّ هناك من النّحاة من يرى أنّ فعلا التعجبّ لا يختصان بزمن معيّن، وفي هذا يقول الدّكتور عبده الرّجحي في حديثه عن فعلي التّعجّب: "مع أنّهما فعلان ماضيان فإنّهما – في الأرجح– خاليان من الدّلالة على الزّمن إلاّ إذا كانت هناك قرينة تدلّ على ذلك"[1]، ولكن مع ذلك فنحن نميل إلى ما ذهب إليه الدكتور تمام حسان في كون فعلي التّعجب يدلان على الزّمن الحاضر؛ لأنّ التعجب شعور يحس بالإنسان في الحال، ويعبر عنه بصيغ من الصيغ المختلفة له، سواء كانت قياسية أو سماعية.

وهناك حالات أخرى يدلّ فيها الفعل الماضي على الزّمن الحاضر، وذلك في ظلّ السّياق الذي يرد فيه؛ ولكن نكتفي بهذه الحالات تفاديا للإطالة، خاصة أذا علمنا أنّ هناك الكثير من الحالات قد اختلف النّحاة حول دلالتها على الزّمن الحاضر من عدمه وبالتالي سنغضّ الطرف عن الحديث عنها في هذا المبحث.

[1]– عبده الراجحي، التّطبيق النحوي، ط2. مصر: 1420هـ/2000م، منشورات دار المعرفة الجامعية ص303.

4) دلالة الفعل الماضي على الزّمن الحال المقيد: لقد أشرنا في الفصل التمهيدي من هذه الرسالة أنّ زمن الحال قد دار حوله الكثير من الخلاف بين النحاة؛ بين مُقرّ بوجوده، وهو مذهب جمهور النّحاة، وبين منكر لوجوده أصلا، ومن هؤلاء الزّجاجي في كتابه «الإيضاح في علل النّحو» حيث يذهب إلى نفي وجود الزّمن الحاضر مطلقا[1] لأنّه يصعب القبض عليه؛ فالفعل إمّا يكون واقعا، فبالتالي مضى وانقضى في الزّمن الماضي، وإمّا يكون لم يقع بعد، فبالتالي سيكون زمنه المستقبل. ومن هنا يصعب الحديث عن تنوّع الجهات في الزّمن الحاضر، فلا يمكن مثلا أن نتحدث عن جهة القرب والبعد في الزّمن الحاضر، لأنّ الحاضر عبارة عن نقطة زمنية لا تملك امتدادا كبيرا في السيرورة الزّمنية مثلما نجده في الزّمنين الماضي والمستقبل، وبالتالي يعاني الزّمن الحاضر فقرًا في تنوع الجهة مقارنة بالزمنين الماضي والمستقبل، وهذا موجود في كل اللغات، ولا يتعلّق فقط باللغة العربية، فلو تأمّلنا مثلا في اللغة الإنكليزية باعتبارها اللغة الأولى في العالم الآن، نجد أنّ زمن الحاضر أو الحال يتنوّع من حيث الجهة إلى الحاضر البسيط (Simple Present) والحاضر والمستمر (Continuous Present) والحاضر التام (Present Perfect) والحاضر التام المستمر (Present Continuous Perfect)[2] وهذه الجهات يُعَبَّرُ عنها في اللغة الإنكليزية عادة باستخدام صيغة المضارع أي الحاضر، وهي جهات يمكن التعبير عنها في اللغة العربية بكل سهولة باستخدام الفعل المضارع[3] وأزعم أنّ اللغة العربية تتفوّق على الإنكليزية في هذا الجانب باعتبار أنّها تتيح لنا إمكانية التّعبير عن الجهات السّابقة في الزّمن الحاضر ليس فقط باستعمال الفعل المضارع، بل باستخدام صيغة الماضي ويمكن أن نضرب أمثلة على ذلك كما يلي:

* **جهة التّمام في الزّمن الحاضر:** ونقصد بالتّمام أنّ الفعل الماضي حدث وتمّ في الزّمن الحاضر، وهناك حالات كثير يدلّ فيها الفعل الماضي على جهة التّمام في الزّمن الحاضر؛ ومن ذلك ما يلي:

---

[1]– ينظر الفصل التمهيدي من هذه الرسالة.

[2]– ينظر: محمد رمضان البعّ وحسن أحمد النبيه، "أبنية الزمن ودلالاتها في اللغتين العربية والإنكليزية"، مجلة جامعة الأقصى (سلسلة العلوم الإنسانية)، فلسطين: 2011م، المجلد:15، العدد:01، ص184 وما بعدها.

[3]– سيأتي الحديث عن ذلك في الفصل الثاني من هذه الرسالة إن شاء الله.

– **إذا ورد الفعل الماضي في سياق الإنشاء الإيقاعي:** والمقصود بالإنشاء الإيقاعي هنا أنّ الكلام قد خرج من الأسلوب الخبري الذي يحتمل الصدق والكذب، إلى الأسلوب الإنشائي الذي لا يحتمل ذلك؛ ومن أمثل ذلك ما نجده في مجالس البيع والشّراء، كقول البائع: "**بعتُكَ** هذه السّلعة" أو نحو قول المشتري: "**اشتريتُ** منك هذه السّلعة" فالفعلان الماضيان «بعتُ» و«اشتريتُ» يدلاّن هنا على الزّمن الحاضر لأنّ عملية البيع والشّراء تمت في نفس الوقت الذي نطق به كلّ من البائع والمشتري بهذين الفعلين، فالمقصود هنا ليس الإخبار بحصول البيع والشراء، وإنّما إيقاع عملية البيع والشراء[1]، يقول ابن مالك: " وينصرف الماضي إلى الحال بالإنشاء... الإنشاء في اللغة مصدر أنشأ فلانٌ يفعل كذا، أي ابتدأ، ثمّ عُبّر به عن إيقاع معنى بلفظ يقارنه في الوجود كإيقاع التزويج بزوّجتُ، والتطليق بطلّقتُ، والبيع والشراء ببعتُ واشتريتُ. فهذه الأفعال وأمثالها ماضية اللفظ حاضر المعنى، لأنّها قُصد بها الإنشاء أي إيقاع معانيها حال النطق بها."[2] ونضيف على ذلك أنّ جهة الفعل في الفعل الماضي الذي يأتي في سياق الإنشاء الإيقاعي هي التّمام؛ أيّ أنّ الفعل حدث وتمّ في الحاضر فعندما نقول: "بعتُكَ" يعني ذلك أنّ الفعل الماضي «باع» يدلّ من حيث الزّمن الحاضر، ومن حيث الجهةُ على التّمام؛ لأنّه بمجرد النطق بفعل البيع أو الشّراء يكون الأمر واقعا، وذلك برضا الطرفين طبعا، ونمثّل هنا بقول نزار قبانيّ مخاطبا الحريّة:

تزوَّجتُكِ أيّتها الحرّية[3]

فنزار هنا يبرم عقد زواجه مع الحريّة باستخدام الفعل الماضي "تزوّجتُ" الذي يدلّ هنا على الزّمن الحاضر؛ لأنّه جاء في سياق الإنشاء الإيقاعي، وجهة الفعل هنا هي التّمام، لأنّ الزواج يتّم بمجرد إيقاعه بصيغة العقد، وبالتالي تكون دلالة الفعل الماضي «تزوجتُ»

[1]– ينظر: البشير جلول، "التّحويل الزمني للفعل الماضي في العربية"، مجلة المخبر؛أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر ببسكرة، الجزائر: 2011م، العدد6.

[2]– ابن مالك الطائي، شرح التسهيل، تح: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، ط1. مصر: 1990م دار هجر للطباعة والنشر، ج1، ص29–30.

[3]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص313.

في هذا المثال هو **الحاضر التّام**، ويُطلق النّحاة على الأفعال الماضية التي تأتي في سياق الإنشاء الإيقاعي "صيغ العقود"[1] أو "ألفاظ العقود".

– **إذا وردت صيغة الماضي في سياق الرسائل وإرسالها**[2]: كقولنا مثلا في متن الرسالة: "كتبْتُ لكَ هذه الرّسالة" فالمقصود أنّي أكتب لك الآن، أو "بعثتُ لكَ هذه الرّسالة" فالمقصود أنّي أبعثُ لك هذه الرّسالة الآن، فالزّمن النّحوي أو السّياقي للفعل الماضي في هذين المثالين وما شابههما هو الزّمن الحاضر، والجهة هي التّمام، لأنّ حدث الكتابة ينتهي بمجرد الانتهاء من كتابة الرسالة في الزّمن الحاضر. ويشترطُ في الفعل أن يسند لضمير المتكلم، وأن لا يقع في سياق السّرد والأخبار عن حدث مضي لأنّه في هذه الحالة سيبقى الفعل الماضي محتفظا بدلالته الماضوية، كقول نزار قباني في إحدى قصائده:

كتَبْتِ لي يا غاليهْ

كتبتِ تسألينَ عن إسبانيهْ

عن طارقِ

يفتحُ باسم الله دنيا ثانيهْ[3]

فنزار يخبرنا هنا عن حبيبته التي كتبت إليه تسأله عن إسبانية، وبالتالي الفعل "كتبتِ" لا يدلّ هنا على الزّمن الحاضر؛ لأنّ نزار بصدد السّرد والإخبار، وليس في سياق كتابة رسالة وإرسالها، كما أنّ الفعل هنا أُسند إلى ضمير المخاطبة المؤنثة، وليس إلى المتكلم، وعليه يبقى الفعل محتفظا بزمنه الماضي، ولا يتحوّل إلى الحاضر.

– **إذا وردت صيغة الماضي في سياق القسم:** كقولك مثلا: "**أقسمتُ** عليك أن تفعل كذا" بمعنى أُقسمُ الآن في الوقت الحاضر، و"**حلفتُ** أن تفعل كذا" بمعنى: أحلفُ الآن في

[1]– ينظر: هاني البطّاط، "مقولة الزمن؛القرينة والدلالة"، مجلو جامعة الخليل للبحوث، فلسطين: 2009 مجلد:4، ع1، ص191–192.

[2]– ينظر: الدّلالة الزّمنية لصيغة الماضي في العربية، محمد رجب محمد الوزير، ص145.

[3]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص255.

الوقت الحاضر[1] والجهة التي يفيدها الفعل الماضي في سياق القسم هي جهة التّمام فحدث القسم ينتهي بمجرد الانتهاء من التلفظ بالقسم، ونمثل لذلك بقول نزار:

قَسَمًا بعينَيكِ اللتين إليهما[2]

تأوي ملايينُ الكواكبْ

سأقولُ يا قَمَرِي عن العربِ العجائبْ[3]

فكلمة "**قسمًا**" في السّطر الأول هي مصدر يعربه النّحاة في مثل هذه الحالات مفعولا مطلقا لفعل ماض محذوف تقديره "أَقْسَمْتُ" أي أنّ تقدير الكلام هو "أقسمتُ قسمًا..." ولكنّ المتأمّل في الزّمن النّحوي المستمد من السياق للفعل الماضي "أقسمتُ" يجد أنّه يدلّ هنا على الزّمن الحاضر؛ لأنّه جاء في سياق القسم وجهته هي التّمام، لأنّ حدث القسم ينتهي بمجرد التلفّظ به، وبالتالي تكون الدلالة الزّمنية للفعل هنا هي **الحاضر التّام.**

ويشترط في الفعل الماضي المستخدم للقسم نفس الشرطين المذكورين في الفعل الماضي المستخدم في كتابة الرسائل وبعثها؛ أي أن يُسند لضمير المتكلم، وأن لا يأتي في سياق السّرد والإخبار، لأنه في هذه الحالة ستكون الدلالة الزّمنية للفعل هي الماضي وليس الحاضر، ونضرب لذلك مثلا بقول نزار في قصيدته المشهورة "تونس الخضراء":

هل دولةُ الحبِّ التي أسستُـــها سقطتْ عليَّ وسُدّتِ الأبوابُ

تبكي الكؤوسُ، فبعد ثغرِ حبيبتي **حَلَفَتْ** بأن لا تُسْكَرَ الأعنابُ[4]

فالفعل الماضي «حلفتْ» في البيت الثاني لا يدلّ على الحاضر، لانتفاء الشرطين الماضيين؛ إذ أنّه أُسند لضمير الغائب،[5] وجاء في سياق السّرد والإخبار، وبالتالي يبقى من حيث الزّمن، محتفظا بزمنه الصّرفي، أي الزّمن الماضي.

---

[1]– ينظر: المرجع نفسه، ص146.

[2]– نشير هنا إلى أنّ هذه العبارة شركية؛ لأنّه لا يجوز القسم بغير اسم الله، ومن يقرأ شعر نزار قباني يجد الكثير من الكفر والشرك والإباحية، على غرار ما نجده لدى الكثير من شعراء الحداثة.

[3]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص379.

[4]– نزار قباني، الأعمال الكاملة، ج3، ص633.

[5]– أُسند الفعل "حلفتْ" هنا لضمير المؤنث الغائب "هي" الذي يعود على الأعناب.

***جهة الاستمرار في الزّمن الحاضر:** هناك الكثير من الأفعال الماضية التي يمكن أن تدلّ على جهة الاستمرار في الزّمن الحاضر في ظل السياق الذي ترد فيه نحو قولك: "**امتهنتُ** هذه المهنة منذ صغري وإلى حدّ الآن أُواضِبُ على ممارستها" فالفعل الماضي «امتهنتُ» في هذه الجملة يدلّ على جهة الاستمرار في الحاضر، والقرينة التي جعلته يدلّ على ذلك هي قرينة السياق. وهناك مجموعة أخرى من الأفعال الماضية تؤدي هذه الدلالة في ذاتها دون اعتماد على السياق، ونعني هنا بعض أخــوات "كان" مثل: "مازال، مابــرح وما فتئ" فتقول مثلا: "**مازالَ** الجوُّ صافيًا" فالفعل الماضي "مازال" في هذه الجملة يدلّ أنّ الحدث مازال مستمرا في الزّمن الحاضر، ونعني بالحدث هنا صفاء الجوّ، ويمكن أن نمثل لهذه الدلالة الزّمنية بقول نزار قباني في قصيدته المشهورة "اعتذار إلى أبي تمام":

أبا تمّامٍ ... إنّ النّارَ تأكلُنَا

و**مازلنا** نُجادلُ بعضَنا بعضًا

عن المصروفِ والممنوعِ من الصّرفِ

وجيشُ الغاصبِ المُحتَلِّ مَمنُوعٌ منَ الصَّرفِ[1]

فنزار قباني يرثي هنا حال الأمة العربية التي تتعرض للغزو والاغتصاب، ولكن العرب، للأسف الشديد، يتنازعون ويتقاتلون من أجل سفاسف الأمور، والأشياء التافهة وقد استخدم نزار هنا الفعل الماضي الناقص «مازال» الذي يدل هنا على الزّمن **الحاضر المستمر**؛ لأنه يتحدث عن واقع الأمة الرّاهن.

***جهة البدء في الزّمن الحاضر:** هناك طائفة من الأفعال الماضية في اللغة العربية تفيد هذه الدّلالة، وهي ما يسمّيه النّحاة "**أفعال الشروع**" وهي مجموعة من الأفعال التي تدلّ على معنى الشّروع في العمل، وهي كثيرة جدا، منها:أنشأ، عَلِق طــفقَ، أخذ، بدأ، ابتدأ، جعل قام انبرى...إلخ، وهي أفعال ناقصة لا تكتفي بمرفوعها بل تحتاج إلى خبر يتمّم معناها، وتكون دائما ملازمة لصيغة الماضي، نحو قولنا: "**أخذَ** المدعوون يتوافدون على

[1]– نزار قباني، الأعمال الكاملة، ج3، ص351.

الحفلة" فالمقصود هنا أنّ المدعوين بدأوا يتوافدون إلى الحفلة في الزّمن الحاضر، لهذا يقول النّحاة إنّ خبرها يكون فعلا مضارعا متجردا من «أن» يقول الشيخ مصطفى الغلاييني: "وإنّما لم يجز اقترانها بأن، لأنّ المقصود من هذه الأفعال وقوع الخبر في الحال، و«أن» للاستقبال، فيحصل التناقض باقتران خبرها بها"[1] فخلاصة القول أنّ أفعال الشروع تدلّ على حدث اِبْتُدِأَ به في الزّمن الحاضر، وبالتالي يكون زمن الفعل «أخذ» في الجملة السابقة هو **الحاضر الابتدائي**؛ أي أنّ الحضور بدؤوا يتوافدون الآن إلى الحفلة.

***جهة التّحوّل في الزّمن الحاضر:** ونضرب لها مثالا بقول نزار قباني في قصيدته "من قتل مدرّس التاريخ":

في سالف الزّمانِ ...كنّا

أُمراء الشّعرِ والبيانِ والبديعِ والخطابهْ

و**أَصْبَحَتْ** مِهْنَتُنَا الآن

بأن نفترسَ الكتابهْ

أوّل قصر من قصور العلم والثقافهْ

أسّسهُ الخليفةُ المأمونْ

وجاءَ حكّامٌ إلى بلادِنا من بَعده

تخصَّصُوا في مهنةِ القَتْل

وفي هندسةِ السّجونْ[2]

فنزار هنا يعقد مقارنة بين الماضي المجيد لهذه الأمّة، حين كان العرب أرباب الفصاحة والأدب والبيان، وكانت اللغة العربية لغة العلم والحضارة، وبين الحاضر المرير الذي فقدنا فيه حتى أهمّ صفة كانت تميّز العرب، وهي الفصاحة والبيان، حيث أصبح المثقفون العرب مضطهدين، وأصبحت اللغة العربية آخر اهتمامات الأمة العربية، إذ لا

[1]– مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ص390.

[2]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص 356.

يطيب لنا الحديثُ إلاّ إذا استخدمنا لغة المستدمر السّابق؛ كالإنكليزية والفرنسية وغيرهما. والفعل المضارع «أصبح» في هذه الأسطر الشعرية يدلّ على الزّمن الحاضر، لأنّه اقترن بظرف زمان دال على الحاضر، وهو كلمة «الآن»، وهو من حيث الجهة يدلّ على التّحوّل؛ أي الانتقال من حالة إلى أخرى، وبالتالي تكون دلالته الزّمنية هي الزّمن **الحال المتحوّل**.

5) دلالة الفعل الماضي على الزّمن المستقبل المطلق: قد يتحوّل الفعل الماضي في اللغة العربية من الدّلالة على الزّمن الماضي إلى الزّمن المستقبل، وذلك حسب القرائن المختلفة، والسّياق الذي يرد فيه، وهذا الأمر كثير في اللغة العربية، يقول "عبد القادر حامد" في هذا الخصوص: "إنّ هذه اللغة الحافلة بالعجائب والأسرار، تفوق اللغات الحيّة في استعمال الماضي لأغراض أخرى، وفي مقدّمة هذه الأغراض أنّ الماضي يُستعمل لما سيقع في المستقبل؛ أي أنّه يحلّ محل المضارع إذا دلّ السياق على ذلك "[1] ويذهب فندريس(Vendrayes) إلى القول بأنّه "يمكننا كلمّا شئنا، أن نستخدم الصيغة المسمّاة بصيغة الماضي، للتعبير عن المستقبل."[2] ونضرب هنا مثالا عن حالة من الحالات التي يدلّ فيها الفعل الماضي على الزمن المستقبل المطلق، أي الذي لم يتقيّد بجهة معينة، وهو قوله تعالى على لسان عيسى –عليه السلام– :﴿ وَأَوصَاني بالصّلاةِ والزّكاةِ ما **دُمتُ** حيًّا﴾(مريم:31) فالفعل الماضي «دُمتُ» في هذه الآية تحوّلت دلالته الزّمنية إلي المستقبل المطلق؛ لأنّه سُبق بـــ"ما" المصدرية الظرفية، فتقدير الكلام هنا "أي مدّة دوامي حيّا"[3]، في هذه الحياة، سواء طال العمرُ بي أو قصر، فـــ "ما" المصدرية الظرفية[4] تجعل الفعل الماضي بعدها يدل على الزّمن المستقبل المطلق، لأنه غير مقيّد بجهة معيّنة، ويستدّل النّحاة أيضا لهذه الدلالة ببيت مشهور لامرئ القيس، قاله عند موته، وهو يرى بجانبه قبرا لإحدى بنات الملوك دُفنت في سفح جبل يقال له «عسيب» فأنشد يقول:

أَجَارَتَنَا إنَّ الخُطوبَ تنوبُ وإنِّي مُقيمٌ **مَا أقامَ** عسيبُ[5]♥

---

[1]– عبد القادر حامد، "معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم"، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة: 1958م، ج10، ص70.

[2]– جوزيف فندريس، اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، دط. القاهرة: 1950م، مكتبة الأنجلو المصرية، ص137.

[3]– كمال رشيد، الزّمن النّحوي ص138.

[4]– ينظر: ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دط. بيروت: 1996م، المكتبة العصرية، ج1، ص305. وينظر أيضا: رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي تقديم وتحشية وفهرسة: إميل بديع يعقوب، ط1. بيروت: 1998م، ج4، ص08 وما بعدها.

[5]– امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، شرحه واعتنى به عبد الرّحمن المصطاوي، ط2. بيروت: 1425هـــ/2004م، دار المعرفة للطباعة والنشر، ص83.

♥ هناك رواية أخرى لهذا البيت، وهي:

أجارتَنا إنّ المزارَ قريبٌ *** وإنّي مقيمٌ ما أقامَ عسيبُ

فالفعل الماضي «أقام» في هذا البيت يدلّ على الزّمن المستقبل المطلق، أي أنّ "امرؤ القيس" سيقيم في هذا المكان مدّة إقامة جبل "عسيب". ومن ذلك قول نزار قباني في قصيدته "المُدخّنة الجميلة":

يسرقُ فوق الثّغر غيبوبةً

ما **دام** بعد الليلِ إبحارُ[1]

فالفعل الماضي «دام» يدلّ على المستقبل المطلق؛ أيّ أنّ فعل السّرقة سيبقى مادام هناك إبحار في البحار والمحيطات.

ويكثر مجيء الفعل الماضي دالا على الزّمن المستقبل في القرآن الكريم عندما يتحدّث الله تعالى عن الأشياء التي ستقع في المستقبل، بصيغة الماضي؛ نحو قوله تعالى:﴿**ونَادَى** أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الجَنَّةِ﴾(آل عمران: 50) فالله –عز وجل– في هذه الآية يتحدّث عن أحداث ستحدث يوم القيامة، وقد استخدم لذلك الفعل الماضي «نادى» والدّلالة الزّمنية لهذا الفعل هي الزّمن المستقبل المطلق، لأنّ فعل النّداء لم يحدث بعد وإنّما يكون ذلك يوم القيامة عندما يشاء الله تعالى ذلك، فالله –عزّ وجلّ– قد "جعل المتوقّع الذي لا بدّ من وقوعه، بمنزلة الواقع"[2] وأمثال هذا كثير في القرآن الكريم، يقول الزمخشري تعليقا على هذه الظاهرة: " وجيء به على لفظ الماضي♠ على عادة ربّ العزّة سبحانه في أخباره، لأنّها في تحقّقها وتيقّنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدّلالة على علوّ شأن المُخْبِرِ ما لا يخفى."[3]

ويأتي الفعل الماضي دالا أيضا على الزّمن المستقبل المطلق إذا ورد بعد أدوات الشرط المختلفة؛ كقول نزار قباني:

= ينظر: ديوان امرئ القيس، تح: حنا الفاخوري: ط1. بيروت: 1989م، ص356.

[1]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص89.

[2]– جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: عبد الحميد هنداوي، ط02. مصر: 2004م، منشورات مؤسسة المختار، ج01، ص85.

♠ الزمخشري يتحدث هنا عن قوله تعالى : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينا﴾ وهي أية استخدم فيها الله تعالى صيغة الماضي "فتحنا" ليخبرَ نَبيّه عن حدث سيكون في المستقبل، وهو فتح مكة.

[3]– جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عبد الرّزاق المهدي، دط. بيروت: دس، دار إحياء التراث العربي، ج4، ص334.

هل على كلّ رئيسٍ حاكمٍ في أمريكا؟

إنْ **أرادَ** الفوزَ في حُلمِ الرئاسهْ

قَتْلُنَا نحنُ العربْ[1]

فالفعل الماضي«أراد» في السّطر الثاني دلالته الزّمنية هي المستقبل المطلق؛ لأنه جاء في سياق الشرط، فمعنى الكلام: أنّ كلّ رئيس يريدُ الوصولَ إلى سدّة الحكم مستقبلا في الولايات المتحدة الأمريكية فعليه، لتحقيق ذلك، قتلُ العرب، والقرينة التي صرفت الفعل "أراد" عن دلالته الزّمنية الأصلية إلى الزّمن المستقبل هي أداة الشّرط «إنْ»[2] وفي هذا المعنى يقول صاحب «النّحو الوافي»: "جميع أدوات الشرط الجازمة تجعل زمن الماضي الواقع فعلَ شرطٍ أو جوابَ شرطٍ، مستقبلا خالصا"[3]، وهو نفس الرأي الذي ذهب إليه الدكتور عبده الراجحي؛ إذ يرى أنّ جملة الشرط تدلّ "على زمنٍ مستقبلٍ؛ إذ إنّ الشرط ينبغي أن يكون عاما في المستقبل، ولا معنى لذلك في الماضي الذي يكتسب تحديده من حدوثه قبل وقت التكلم"[4] .

ويدلّ الفعل الماضي أيضا على الزّمن المستقبل عندما يرد في الأساليب الإنشائية الطلبية كدعاء والتّمني؛ لأنّهما يدلان على طلب حصول أمر في الزّمن المستقبل فالتّمني – مثلا– "هو أن يطلب الإنسانُ أمرا لا يُرجى أو يُترقّبُ حصولُهُ، إمّا لكونه مستحيلا أو بعيد المنال"[5] وبالتالي يكون زمنه مستقبلا، كقول نزار قباني:

أأقولُ أُحبّكِ يا قمري

آهٍ لو **كان** بإمكاني

فأنا لا أملكُ في الدّنيا

---

[1]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص329.

[2]– ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ص155. وينظر أيضا: أبو العبّاس محمد بن يزيد المبرّد، المقتضب تح: محمد عبد الخالق عصيمة، ط03. مصر:1417هـ/1994م، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ج2 ص48–49.

[3]– عباس حسن، النّحو الوافي، ج1، ص54.

[4]– عبده الراجحي، التطبيق النّحوي، ط2. مصر: 1420هـ/2000م، منشورات دار المعرفة الجامعية ص219.

[5]– محمد بن صالح العثيمين، شرح البلاغة، ط1. المملكة العربية السعودية: 1434هـ، منشورات مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ص131.

إلاّ عينيكِ وأحزاني[1]

فالفعل الماضي «كان» يدلّ هنا على الزّمن المستقبل؛ المطلق لأنّه جاء في سياق التّمني، والقرينة التي تبيّن ذلك هي الأداة "لو" التي تفيد التمني، والزّمن المستقبل هنا مطلق، لأنّ الشاعر يتمنى أمرًا مستحيل الحدوث أو صعب المنال، ويظهر ذلك من قوله: "آهٍ لو كان بإمكاني" فهو لا يستطيع أن يقول لحبيبته «أحبّكِ» لأنّه مثلما يظهر من سياق القصيدة بعيدُ عن حبيبته، ولا يستطيع الوصول إليها لوجود حاجز يحول بينه وبين حدوث اللقاء بينهما.

وهناك الكثير من الحالات التي يدلّ فيها الفعل الماضي على الزّمن المستقبل والتي فصّل النّحاة فيها القول[2]، ولكن لا يسع المقام للإشارة إليها جميعا هنا؛ باعتبار أنّنا نريد الاقتصار على إيراد مثال أو مثالين لكل مبحث، تفاديا لتضخّم الرّسالة وهو ما سبق الإشارة إليه في الفصل التمهيدي من هذه الرسالة.

[1]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص243.

[2]– ينظر: جلال الدين السّيوطي، همع الهوامع، ج1، ص9، وكمال رشيد، الزّمن النّحوي في اللغة العربية، ص60 وما بعدها، والبشير جلول، التّحويل الزّمني للفعل الماضي في العربية.

6) دلالة الفعل الماضي على الزّمن المستقبل المقيد: رأَيْنَا في المبحث الماضي بعضا من الحالات التي يدلّ فيها الفعل الماضي على الزّمن المستقبل المطلق؛ أي غير المقيد بجهة معينة، وسنُحاول في هذا المبحث أن نذكر بعض الحالات التي يدلّ فيها الفعل الماضي على الزّمن المستقبل المقيّد بجهة من الجهات المختلفة، سواء في شعر نزار قباني، باعتباره مدوّنة للرّسالة، أو في غيره من الكلام إذا لم يسعفنا الجهد في إيجاد الأمثلة الشّعرية المناسبة للحالة المدروسة، إذ يبقى الهدف الأسمى لهذه الرسالة – مثلما بيّنا في المقدّمة– هو بيان ثراء منظومة الزّمن في اللغة العربية.

***جهة الاستمرار في الزّمن المستقبل:** هناك حالات يدلّ فيها الفعل الماضي على الزّمن المستقبل[1] وجهة الاستمرار، ومن ذلك، على سبيل المثال، الماضي المستخدم في أسلوب الدعاء، نحو قولك: "**غفر** الله لك" و"**رحمك** الله" وغيرها من صيغ الدعاء المعروفة، فالفعلان الماضيان «**غفرَ**» و«**رحمَ**» يدلاّن هنا على الزّمن المستقبل وجهتهما هي الاستمرار؛ لأنّ الذي يدعو لك بالمغفرة والرّحمة يقصد أن تكون هذه المغفرة والرّحمة مستمرة معك حتى الموت، فالمسلم يبقى دائما في حياته مفتقرا إلى رحمة الله ومغفرته، وبالتالي تكون الدّلالة الزّمنية لهذين الفعلين هي **المستقبل المستمر**.

يقول ابن جنيّ: "وتقول: أعزّكَ اللهُ، وأطالَ بقاءكَ، فتأتي بلفظ الماضي ومعناه الاستقبال"[2] ويقول في موضع آخر أيضا في سياق حديثه عن أسلوب الدعاء: "لفظ الدّعاء ومجيئه على صورة الماضي الواقع؛ نحو: أيّدكَ الله، وحرسكَ الله، إنّما كان ذلك تحقيقا له وتفاؤلا بوقوعه، أنّ هذا ثابت بإذن الله، وواقع غير ذي شكّ. وعلى ذلك يقول السّامع للدّعاء إذا كان مريدا لمعناه: وقع إن شاء الله، ووجب لا محالة أن يقع."[3] ويعلق العقاد حول هذا المعنى بقوله: "ومن آية القصد في اللغة ألاّ يحتاج الفعل هنا إلى النقل من صيغة الماضي إلى الحاضر؛ لأنّ المعنى بالبداهة معلق بالاستقبال، وفي بقائه على صيغة الماضي ما يُشعر بقوة الأمل في الاستجابة، كأنّ ما يُرجى أن يكون قد كان وأصبح من المحقّق المستجاب، ولا شكّ

[1]– ينظر: سيبويه، الكتاب، ج1، ص142.

[2]– ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النّجار، ط1. لبنان: 2006م، منشورات عالم الكتب، ج3 ص855.

[3]– المصدر نفسه، ج3، ص856.

أنّ هذا المعنى مقصود؛ لأنّه لم يأتي عن عجز في اللغة، ولا يمتنع على قائل أن ينقله إلى صيغة المضارع إذا شاء."[1]

ومن أمثلة ذلك في شعر نزار قباني، قوله:

أين أبي وعيناهُ؟

وأين حريرُ نظرتهِ، وأين عبيرُ قهوتهِ

سَقَى الرحمنُ مثواهُ[2]

فنزار يتذكر هنا والده المتوفى، ويحنّ إلى نظراته وعطفه، ويدعو الله أن يسقي قبره بالرحمة، والفعل الماضي «**سقى**» يدلّ هنا على الزّمن المستقبل؛ لأنّه ورد في سياق الدّعاء، ويدلّ ،من حيث الجهة، على الاستمرار؛ لأنّ الميّت محتاج إلى عفو ربّه ورحمته باستمرار، وبناء على ذلك تكون الدلالة الزّمنية لهذا الفعل هي **المستقبل المستمرّ**.

***جهة التّكرار في الزّمن المستقبل:** قد يدلّ الفعل الماضي في اللغة العربية على الزّمن المستقبل الذي يفيد جهة التّكرار، وذلك في بمساعدة السّياق والقرائن المختلفة المصاحبة للفعل، نحو قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا **نَضِجَتْ** جُلُودُهُم **بَدَّلنَاهُم** جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا العَذَابَ ﴾ (النساء:56) فالله –عزّ وجلّ– يُخبرنا في هذه الآية عن العذاب الأليم الذي سيتعرّض له الكفار يوم القيامة، والفعلان الماضيان «**نضجتْ**» و«**بدّلنا**» يدلان على الزّمن المستقبل، لأنّ الآية جاءت في سياق الحديث عن أمور سوف تحدث في الآخرة وهما من حيث الجهة يدلان على التّكرار؛ لأنّهما سُبقا بكلمة «كلمّا»، أي أنّ جلود الكفار ستنضج مرات كثيرة في نار جهنّم، والعياذ بالله، وفي كل مرة يَحْدُثُ النّضجُ، سيُبدّل الله لهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب، ومن هنا تكون الدّلالة الزّمنية لهذين الفعلين الماضيين هي الزّمن **المستقبل المتكرّر**.

ونضرب مثالا آخر لهذه الجهة من شعر نزار قباني، وهو قوله في إحدى قصائده:

إذا **أتى** الشتاء

و**حرّكتْ** رياحُهُ ستائري

[1]– عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة، ص47.

[2]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص159.

أحسّ يا صديقتي

بحاجة إلى البكاء

على ذراعيك

فنزار هنا يصف حالة الحزن التي تنتابه حين يأتي فصل الشّتاء بأمطاره ورعوده ورياحه، وقرّه، ما يلهبُ في نفسه نوعا من المشاعر الكئيبة التي تجعله يحسّ برغبة في البكاء على ذراعي حبيبته، والفعلان الماضيان «**أتى**» و«**حرّكتْ**» يدلان هنا على الزّمن المستقبل باعتبارهما وردا في سياق الشّرط، لكونهما سُبقا بأداة الشّرط «إذا» كما أنّهما يدلان من حيث الجهة على التّكرار؛ لأنّ هذين الفعلين يتكرّران في المستقبل كلّما حلّ فصل الشّتاء، وبالتالي تكون الدّلالة الزّمنية لهذين الفعلين هي الزّمن **المستقبل المتكرّر**.

***جهة القرب في الزّمن المستقبل:** والسّياق هو الكفيل بإبراز هذه الدلالة نحو قول الأب لابنه: "ألا **راجعتَ** دروسَك بعد الظهر حتى تنال علامة جيّدة في الامتحان" فالفعل الماضي «**راجعتَ**» في هذا المثال يدلّ على الزّمن المستقبل؛ لأنّه جاء في سياق العرض والتحضيض[1]، وجهته هي القرب، لأنّ الأب حدّد وقت المراجعة (بعد الظهر) وبالتالي تكون الدلالة الزّمنية لهذا الفعل هي **المستقبل القريب**.

***جهة البعد في الزّمن المستقبل:** والسّياق أيضا هو الكفيل بإبراز جهة القرب في الزّمن المستقبل؛ نحو قول الجدّ لحفيده الصغير: "إذا **كبرتَ** و**صرتَ** شيخا هرمًا مثلي **فهمتَ** معنى كلامي يا بنيّ" فالأفعال الثلاثة الماضية (كبرتَ، صرتَ، فهمتَ) تدلّ في هذا المثال على الزّمن المستقبل؛ باعتبارها وردت في أسلوب الشرط، وأداة الشرط هنا هي «إذا»، ومن حيث الجهة، نجد أنّها تدلّ على البعد، بدلالة السياق؛ فهذه الأفعال تتحقّق عندما يكبر الحفيد ويصير شيخا هرما مثل جده، فبالتالي زمن تحقّقها مازال بعيدا في المستقبل، ومن هنا تكون الدلالة الزّمنية لهذه الأفعال هي **المستقبل البعيد**.

***جهة التّحوّل في الزّمن المستقبل:** جهة التّحول – مثلما أشرنا إلى ذلك سابقا– تعني حدوث تغيّر في الحدث، وانتقاله من حالة إلى أخرى في نقطة زمنية معيّنة، وما يهمّنا هنا هو الزّمن المستقبل، فالفعل الماضي قد يدلّ على هذه الجهة في سياقات معيّنة؛ نحو قولنا:

[1]– ينظر : ابن يعيش، شرح المفصل، ج8، ص144.

"أحلمُ أن أعيش في مجتمع فاضل، **أزهرت** فيه القيم الإنسانية النبيلة، و**صارت** الأخلاق هي المعيار الرئيس للحكم على الأشخاص، و**تحوّلَ** اهتمامُ النّاس إلى الجوهر بدل المظهر" فالأفعال الماضية الثلاثة **(أزهرت، صارت، تحوّل)** تدل هنا على الزّمن المستقبل؛ لأنّها جاءت في سياق الحلم الذي لا يكون إلاّ في المستقبل، وهي من حيث الجهة تدلّ على حالة تحوّل وتغيّر تطرأ على الأحداث؛ فالقيم الإنسانية تزهر بعد أن كانت ذابلة والأخلاق تصير معيارا يحتكم إليه بعد أن كانت مرذولة، واهتمام النّاس يتحوّل إلى الجوهر بعد أن كان مصروفا إلى المظهر، وبالتالي تكون الدلالة الزّمنية لهذه الأفعال هي الزّمن **المستقبل المتحوّل.**

* * *

الفصل الثاني

الفعل المضارع ودلالته الزّمنية في اللغة العربية

الفعل المضارع ودلالته الزّمنية في اللغة العربية: الفعل المضارع هو أحد الأفعال الثلاثة التي تشكلّ منظومة الفعل في اللغة العربية، حسب التقسيم الثلاثي للفعل من حيث الزّمن، وهو تقسيم قديم منذ سيبويه، ويختلف الفعل المضارع عن الفعلين الماضي والأمر في كونه يأتي معربا، بينما يأتي غيره من الأفعال مبنيّا، وقد علّ النّحاة سبب مجيئه معربا لمشابهته الأسماء[1]، كما أنّه يدلّ من حيث الزّمنُ على الحاضر والمستقبل معا، وبالتالي هو أكثر اتساعا من الناحية الزّمنية بالمقارنة مع الفعلين الماضي والأمر، كل هذا جعل من الفعل المضارع يتبوّأ مكانة هامّة في منظومة النّحو العربي، ولعلّ هذا ما دفع بالدكتور أحمد عبد الستار الجواري إلى القول: "الظاهر أنّ الفعل المضارع ليس صيغة تقابلُ صيغة الماضي أو الأمر، وإنّما مكانه بين الأفعال كمكان ما يسمّى الــ Infinitive –المصدر– في اللغات الأوروبية، لأنّ فيه الدلالة بالقوّة على معاني الأفعال جميعا"[2] وسنحاول في هذا الفصل أن نترصّد مختلف الدّلالات الزّمنية التي يمكن التعبير عنها بصيغة الفعل المضارع، سواء كانت تلك الدلالة مطلقة؛ أي منفتحة على الزمن بشكل عام، أو مقيّدة بجهة زمنية معيّنة في ظل السياق الذي ترد فيه باعتبار أنّ "نظام العربية يمتلك وسائل شتّى تقوم على توليد الأزمنة من خلال السياق النّحوي"[3] وهو ما رأيناه في الفصل السابق عند حديثنا عن مختلف الدلالات الزّمنية والجهيّة للفعل الماضي، وهذا كلّه بغية الكشف عن الثراء الذي تتمتع به اللغة العربية في مجال التعبير عن الزّمن باستخدام صيغة المضارع، وفيما يلي بيان ذلك.

1)دلالة الفعل المضارع على الزّمن الحال المطلق: اختلف النّحاة في الدلالة الأصلية للفعل المضارع، أهي الحاضر أم المستقبل أم كلاهما معا؟ وقد فصلّ السيوطيّ القول في هذه المسألة في كتابه «همع الهوامع»؛ حيث ذكر خمسة آراء مختلفة في هذه المسألة[4] ولا نريد أن نتعرض هنا إلى ذكر كلّ هذه الآراء؛ باعتبار "أنّ قسما من النّحاة ألمح إلى ارتباط دلالة صيغة «يفعل» بالحاضر أكثر من ارتباطها بالمستقبل"[5] ومنهم ابن جنيّ الذي يقول في كلامه

---

[1]– ينظر: ابن السّراج، الأصول في النّحو، تح: عبد الحسين الفتلي، ط2. بيروت:1417هـ/1996م منشورات مؤسسة الرسالة،ج2، ص146.

[2]– أحمد عبد الستار الجواري، نحو الفعل، دط. بغداد: 1974م، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ص34.

[3]– هاني البطّاط، "مقولة الزّمن؛ القرينة والدّلالة"، ص190.

[4]– ينظر: جلال الدين السوطي، همع الهوامع، تح: أحمد عزّو، ط2. بيروت:1432هـ/2011م، منشورات دار إحياء التراث العربي، ج1، ص24–25.

[5]– مالك يوسف المطلبي، الزّمن واللغة، ص275.

عن صيغة المضارع: "وهذا اللفظ قد يصلحُ أيضا للمستقبل إلاّ أنّ الحال أولى به من الاستقبال"[1]، وجلال الدّين السّيوطيّ نفسُه الذي ذكر اختلاف النّحاة في الدّلالة الزّمنية للفعل المضارع، يتبنى القول القائل بأنّ الأصل في المضارع أن يكون للزّمن الحال، حيث يرى أنّ المضارع يدلّ على الحال "إذا كان مجرّدا، لأنّه لمّا كان لكلّ من الماضي والمستقبل[2] صيغة تخصّه، ولم يــكن للحال صيغة تخصّه جُعلت دلالته على الحال راجحة، عند تجرّده من القرائن، جبرا لما فاته من الاختصاص بصيغته."[3] ونحن بدورنا سنتبنّى هذا الرّأي الذي يُرجّح كفّة الزّمن الحال على الزّمن المستقبل في الفعل المضارع وذلك عند تجرّده من القرائن المختلفة داخل السياق، فدلالة المضارع على الحال هنا متعلقة أكثر بالزّمن الصّرفي للصيغة أكثر من تعلّقها بالزّمن النّحوي.

والحالات التي يدلّ فيها الفعل المضارع على زمن الحال المطلق أكثر من أن تُحصى؛ إذ هي الأصل في المضارع، ونضرب مثالا على ذلك بقول نزار قباني:

بعدَ تَاريخٍ مِنَ النّرجِسيّة

لا ضفاف لهُ

وتاريخ من التّعدّديهْ

والشّهرَيَارِيّهْ

.....

أشعرُ برغبةٍ في تجميلِ صُورتي لديك[4]

فنزار هنا يخاطب حبيبته التي مارس معها في الماضي كلّ أنواع الظّلم والاضطهاد والحرمان؛ من تكبر وتجبّر وحب للنفس (النّرجسيّة) وخيانة لها مع أخريات (التعدّدية) وقتل معنوّي لها بسبب تصرّفاته الطائشة (الشهرياريّة)، فها هو اليوم يشعرُ بصحوة الضّمير،

[1]– ابن جنيّ، اللّمع في العربية، تح: حامد المؤمن، ط2. بيروت: 1985م، منشورات عالم الكتب، ص69.

[2]– يقصد بصيغة المستقبل هنا فعل الأمر، وسيأتي الحديث عنه في الفصل الثالث إن شاء الله.

[3]– جلال الدين السيوطي، همع الهوامع، ج1، ص25.

[4]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص233.

وتأنيب النّفس أمامها، ويُعبّر لها عن أسفه ورغبته في فتح صفحة جديدة معها، والفعل المضارع «**أشعرُ**» يدلّ هنا على الزّمن الحاضر المطلق؛ لأنّه لم يتقيّد بقرينة تصرفه إلى زمن آخر غير الحاضر، أو تقيّده بجهة معيّنة من الجهات المختلفة، فالشاعر يشعر بالذنب، والرغبة في إصلاح نفسه، في اللحظة ذاتها التي تحدّث فيها، فبالتالي يبقى الفعل المضارع هنا دالا على الزّمن **الحاضر المطلق**، أو البسيط كما يسمّيه الدكتور تمام حسّان.

ويمكن أن يأتي الفعل المضارع أيضا محتفظا بدلالته على الحاضر المطلق في حالة النّفي؛ أي عندما يُسبق بأدوات النّفي المختلفة، ومن ذلك قول نزار قباني:

يا سيّدتي

إنّي رجل لا **يستوعبُ** هذا العصرَ الأمريكيّ

وهذا الذّوق الأمريكيّ

وهذا الحبَّ الأمريكيّ

وهذا الضربَ الأمريكيّ على الأعصابْ

يا سيّدتي

لستُ **أريدُ** العودة عند نهاية هذا القرن

لعصر الغَابْ[1]

فالشاعر نزار قبّاني في هذه الأسطر يشكو ويعبّر عن مللّه من الحياة في هذا العصر الذي طغت فيه قيمُ الحضارة الغربية –خاصة الأمريكية– على مختلف مناحي الحياة؛ حيث أصبح كل شيء مرتبطا بالمادة، ما جعل الرّوح فقيرةً تشعر بالتّعاسة والملل، فحتّى الحبّ، الذي يُعتبر من أنبل المشاعر الإنسانيّة، تحوّل إلى مجرّد أشكال وصور جامدة وخالية من أيّ دَفْقٍ عاطفيّ، فأضحى نهرا متجمّدا أصابه الصقيع لا مكان للحياة فيه، فنزار هنا يتحدّث عن وضعه الرّاهن في هذا العصر، والفعل المضارع «**يستوعبُ**» المنفيّ بـــ «لا» يدلّ هنا على الزّمن الحاضر المطلق، لأنّه لم يتقيّد بجهة معيّنة، كذلك الفعل المضارع "**أريدُ**" يدلّ على

[1]– غالية محمد حسن، نزار قبّاني وأروع قصائده، ص235.

الزّمن الحاضر؛ لأنّه جاء منفيّا بـــ«ليس» التي يقول عنها جمهور النّحاة أنّها تدلّ على نفي الزّمن الحاضر أي الحال[1]، يقول صاحب كتاب "جامع الدروس العربية": "ومعنى « ليس» النّفي في الحال، فهي مختصّة بنفي الحال، إلاّ إذا قُيّدت بما يفيدُ المضيَّ أو الاستقبال، فتكون لما قيّدت به."[2] والفعل «**أريدُ**» جاء هنا غير مقيّد بأيّ جهة، وبالتالي تكون دلالته الزمنيّة هي **الحاضر المطلق.**

ومن القرائن اللفظية التي تجعل الفعل المضارع دالا على زمن الحال، دون خلاف، اتّصاله بلام التّوكيد، لأنّ الأصل في التّوكيد أن يكون لأمر حصل في الماضي أو يحصل الآن في الزّمن الحاضر، لهذا نصّ النّحاة على أنّ لام التّوكيد تجعل المضارع دالا على الحال، يقول الشيخ مصطفى الغلاييني في معرض حديث عن حروف الاستقبال التي تدخل على الفعل المضارع فتخلصه للزّمن المستقبل: " كما أنّ لام التّأكيد تُخلصهُ للحال، نحو: إنّ سعيدا **ليكتبُ**"[3]، فالفعل المضارع «**يكتبُ**» في هذا المثال يدلّ على الزّمن الحاضر، لاتصاله بلام التوكيد، وهو هنا لم يتقيّد بجهة زمنية معيّنة؛ فلا ندري –مثلا– إذا كان سيستمر في الكتابة أم سيتوقف بعد قليل أو غير ذلك من الجهات، وبالتالي تكون دلالته الزّمنية هي **الحال المطلق.**

[1]– ينظر: السّيوطي، همع الهوامع، ج1، ص25.

[2]– مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ص379.

[3]– مصطفى الغلاييني، جامع الدّروس العربية، ص626.

2)دلالة الفعل المضارع على الزّمن الحال المقيد: رأينا في الفصل السّابق، عند دراستنا لمختلف الدّلالات الزّمنية التي يمكن التّعـــبير عنها باستخدام الفعل الماضي، أنّ زمن الحال يتميّز بنوع من الفَقــر في الجهة، وهذا الأمر – مثلما أشرنا إلى ذلك آنفا– ليس مقصورا فقط على اللغة العربية، بل هو ظاهرة شائعة في كلّ اللغات البــشرية وذلك لكون زمن الحال لا يملك مساحة وجودية كبيرة في الواقع مثلما نجده في الماضي والمستقبل، وإنّما يتحقّق فقط في اللحظـــة التي يقــع فيها الحــدث بالنسبة للمتكلم، فأنا –مثلا– أكتب هذا البحث، أعيش الزّمن الحاضر كلمّا كتبت كلمة من الكلمات، وعند شــروعي في كتابة كلمة جديدة تكون الكلمة السابقة التي كتبتها قد دخلت في الزّمن الماضي؛ لأنّ حدث كتابتِها قد مضى وانقضى بالنسبة لي، ومن هنا يصعب القبض على زمن الحال، وهذا ما دفع ببعض النّحاة إلى إنكار وجود الزّمن الحال[1] مثلما رأيناه عند الزّجاجيّ.

وقد حاول بعض الدارسين المعاصرين الفصل بين النظرة الفلسفية والنظرة اللغوية إلى الزّمن، ومنهم الدكتور مالك يوسف المطلبي، الذي يرى أنّ السّبب الذي أدّى ببعض النّحاة إلى إنكار زمن الحال، والنقاش الذي دار حول حقيقة وجود هذا الزّمن هو التأثّر بالنّظرة الفلسفية العقلية عند الفلاسفة والمتكلّمين، ومن هنا يرى ضرورة النظر إلى الزّمن الحاضر وفق نظرة لغوية محضة بعيدة عن منطق الفلاسفة والحكماء[2] ويستدلّ في ذلك بطريقة تعاطي كلّ من "ابن يعيش" و"الرضيّ" مع زمن الحال؛ إذ يقول هذا الأخير في حديثه عن زمن الحال: "ومن ثمّ نقول إنّ «يُصلّي» في قولك «زيد يصلّي» حال مع أنّ بعض صلاته ماض وبعضها باقٍ في المستقبل، فجعلوا الصّلاة الواقعة في الآنات الكثيرة المتتالية واقعةً في الحال."[3] ويعلّق الدّكتور يوسف المطلبي على هذا الكلام بقوله: "ويعني ذلك أنّ صيغة الفعل المضارع إذا دلّت على الزّمن الحاضر لا يُنظر إليها في اللغة إلاّ بكونها شكلا يعبّرُ عن وقوع حدث في زمن حاضر من غير نظر إلى أنّها تنطوي على أزمنة أخرى، وتلك ملاحظة فريدة تكشف عن مطابقة بين[4] النظر اللغوي الحديث، حيث ينطلقان من النظر إلى اللغة بكونها نظاما مستقلا بذاته، وذلك أساس من أهمّ أسس المنهج الوصفي في علم

---

[1]– ينظر الفصل التمهيدي من هذه الرسالة.

[2]– ينظر: مالك يوسف المطلبي، الزّمن واللغة، ص279 وما بعدها.

[3]– رضي الدين الاستراباضي، شرح كافية ابن الحاجب، د ط. بيروت: د س، دار الكتب العلميّة، ج2 ص226.

[4]– العبارة فيها نوع من الضبابية، ولعلّ الأصح أن يقول: " وتلك ملاحظة فريدة تكشف عن مطابقة مع النّظر اللغوي الحديث" أيّ أنّ كلام رضي الدين الاستراباضي يتطابق مع ما توصّلت إليه الدّراسات اللسانية الحديثة.

اللغة"[1] فهو يؤكّد هنا على أنّ دراسة الزّمن في اللغة ينبغي أن ينطلق من اللغة نفسها، بعيد عن الفلسفة والمنطق اللذين كثيرا ما يبتعدان عن روح اللغة وجوهرها.

وسنحاول أن نذكر هنا أمثلة لبعض الجهات التي يمكن التّعــبير عنها باستخدام الفعل المضارع في الزّمن الحاضر، وهي تقريبا الجهات نفسها التي رأيناها عند حديثنا عن الفعل الماضي، وهي كما يلي:

***جهة التّمام في الزّمن الحال:** وهي تعني أنّ الفعل المضارع قد حدث وتمّ في الزّمن الحاضر، وليس له امتدادٌ إلى المستقبل، والحالات التي يدّل فيها الفعل المضارع على جهة التّمام في الزّمن الحاضر هي تقريبا نفسها الحالات التي رأيناها في الفعل الماضي، وإنّما تتغيّر فقط صيغة الفعل من الماضي إلى المضارع؛ نحو قولك في أسلوب القسم: "**أُقسمُ** بالله العظيم لن أفعل كذا وكذا" فالفعل المضارع «**أقسمُ**» دلّ هنا على الزّمن الحاضر؛ لأنّ القسم وقع في نفس الوقت الذي تمّ التّلفظ به، كما أنّه دلّ على جهة التّمام، لأنّه بمجرّد الانتهاء من التلفظ بلفظ القسم، يكون حدث القسم قد تمّ وانتهى.

ونضرب مثالا آخر على جهة التّمام عندما يأتي الفعل المضارع في سياق كتابة الرسائل أو الخطابات أو ما شابه ذلك، ومن ذلك قول نزار قباني في قصيدته التي وجّهها للأطفال العرب في كلّ مكان، يحاول أن يستنهض فيهم الهمم، ويزرع فيهم النّخوة والشهامة، ويذّكرهم بمجازر الصهاينة، حتى يعيدوا لهذه الأمّة مجدها التّليد، الذي ضيّعه الكبار بعرض رخيص من الدّنيا، حيث يقول:

أكتبُ للصغارْ

للعربِ الصّغار حيثُ يوجدون

لهم على اختلافِ اللونِ والأعمار والعيونْ

أكتبُ للذين سوف يولدونْ

.....

أكتبُ باختصارْ

[1]– مالك يوسف المطلبي، الزمن واللغة، ص 282.

قصّةَ إرهابيّةٍ مجنّدهْ

يدعُونها راشيلْ[1]

فالفعل المضارع «**أكتبُ**» الذي تكرّر في ثنايا هذه المقطوعة يدلّ على الزّمن الحاضر؛ لأنّه جاء في سياق كتابة هذه القصيدة الموجّهة للصّغار، والتي تحكي عن فضائع الصّهاينة، وهو يدلّ على جهة التمّام، لأنّ حدث الكتابة ينتهي بمجرد الانتهاء من كتابة القصيدة في الزّمن الحاضر، وبالتالي تكون دلالة الفعل المضارع هنا هي الزّمن **الحاضر التّام.**

وقد يدلّ الفعل المضارع أيضا على الزّمن الحاضر التّام من خلال السّياق العام للأحداث، نحو قول الأمّ لابنها عند استيقاضه من النّوم، بعد أن حاولت إيقاضه عدّة مرات دون جدوى، "**تستيقظُ** أخيرا أيّها الكسول" فالفعل المضارع "**تستيقظُ**" يدلّ هنا على الزّمن الحاضر؛ لأنّ الأمّ قالته عند استيــقاظ ابنها، كما أنّه يدلّ على جهة التّمام لأنّ فعل الاستيقاظ حدث وتمّ في الزّمن الحاضر، فبالتالي تكون الدّلالة الزّمنية للفعل هنا هي **الحاضر التّام** أيضا.

***جهة الاستمرار في الزّمن الحال:** جهة الاستمرار في زمن الحال هي عكس جهة التّمام؛ أي أنّ الفعل المضارع يحدث في الحال ومرشحٌ للاستمرار في المستقبل ويلعب السّياق الدور الرئيس في تحقيق هذه الدلالة الزّمنية، نحو قول نزار قباني على لسان امرأة في قصيدة عنوانها "أنا محرومة":

لا أمّه لانتْ ولا أمّي

وحبّهُ **يَنَامُ** في عظمي[2]

فهذه المرأة تتأسّف على عدم رضا والدتِها ووالدةِ حبيبها بحبّهما، وهو ما حال دون زواجهما، رغم الحبّ الكبير الذي يجمع بينهما، والفعل المضارع «**ينامُ**» يدلّ هنا على زمن الحال؛ لأنّها تتحدّث عن حالها الرّاهن، وما تكنّه من حبّ وعشــق لحبيبها وهو حبّ مرشّح ليستمرّ طويلا في الزّمن المستقبل؛ لأنّها وصفته بأنّه ينــام في عظمها، أي أنّه حبٌّ كبيرٌ

[1]– نزار قباني، الأعمال الكاملة، ج3، ص27–28.

[2]– نزار قباني، الأعمال الكاملة، ج1، ص34.

تغلغل في أعماق العظام، وبالتالي تكون جهة الفعل هنا هي الاستمرار، فالدلالة الزّمنية للفعل «**ينامُ**» هي **الحاضر المستمر**.

وتؤدّي بعض أخوات «**كان**» أيضا هذه الدّلالة الزّمنية عندما تأتي في صيغة المضارع، ومن ذلك قول نزار في قصيدته "قارئة الفنجان":

وتظلّ وحيدا كالأصداف

وتظلُّ حزينا كالصفصاف[1]

فقارئةُ الفنجان تخبرُ نزار قباني في هذه القصيدة أنّ حالة الحزن والوحدة ستلازمه مدى حياته، والفعل الناقص «**تظلّ**» الذي جاء هنا بصيغة المضارع، يدلّ على زمن الحال لتجرّده من القرائن التي تصرفه إلى زمن آخر، وهو يدلّ على جهة الاستمرار؛ لأنّ الفعل الناقص "**تظلّ**" يدلّ على استمرار اتصاف اسمه بخبره، فبالتالي تكون دلالته الزّمنية هنا هي **الحاضر المستمر**.

وهناك أخوات أخرى لـــ «كان» تدل على زمن الحاضر المستمر عندما تأتي في صيغة المضارع، وهي (ما يزال، ما ينفكُّ، ما يبرحُ، ما يفتأ) لأنّها تدلّ على "ملازمة المسند للمسند إليه"[2] أي استمرار اتّصاف اسمها بخبرها، نحو قولك: "**ما يزالُ** الثلجُ يغطّي قممَ الجبال" بمعنى أنّ قممَ الجبال مُغطّاة الآن بالثلج، وهذه التغطية مستمرة في المستقبل إلى حين ذوبان الثلوج بحلول فصل الصيف.

***جهة البدء في الزّمن الحال:** جهة البدء يسمّيها بعض الدّارسين المعاصرين بجهة الشروع[3]، وهي تعني هنا أنّ حدثا ما بدأ في زمن الحال، وعادة ما يتمّ الاعتماد على مجموعة من الأفعال الخاصة للتعبير عن جهة البدء في مختلف الأزمنة، وهذه الأفعال هي ما يسمّيه النّحاة «أفعال الشّروع» وهي كثيرة؛ مثل: (أنشأ، علِقَ، طفِقَ، بدأ ابتدأ، جعلَ، قامَ، أخذ، انبرى، هبَّ ...الخ) والتي سبق أن تحدّثنا عنها في الفصل السابق من هذا البحث،

[1]– نزار قباني، الأعمال الكاملة، ج1، ص651.

[2]– مصطفى الغلاييني، جامع الدّروس العربية، ص379.

[3]– ينظر: تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها (مبحث الزمن والجهة) وينظر أيضا: مالك يوسف المطلبي، الزمن واللغة، ص283 وما بعدها.

وأفعال الشّروع هي أدوات مساعدة تدخل على الفعل المضارع فتشكّل معه تركيبا يدلّ على الزّمن الحاضر البدئي أو الشروعي، ويمكن أنّ نمثّل لهذا التّركيب بالشّكل التالي:

فعل الشّروع + يفعل = زمن الحال البدئي أو الشروعي.

ومن ذلك قولك:

"جعلَ الولدُ **يلعبُ** بالكرةَ."

فالفعل المضارع «**يلعبُ**» يدلّ هنا على الزّمن الحاضر، لأنّه لم يقترن بقرينة تصرفه إلى غيره من الأزمنة، وهو من حيث الجهة يدلّ على البدء والشروع؛ لأنّه سُبق بفعل الشّروع «**جعل**» وبالتالي تكون دلالته الزّمنية هي **الحال البدئي** أو **الشروعي**.

ويطلق الدّكتور تمّام حسّان على هذا التّركيب تسمية «الماضي الشّروعي»[1] وهو في ذلك ينظر إلى الزّمن الصّرفي لفعل الشّروع الذي يدّل هنا على الماضي، ولكنّ من يعود إلى كلام النّحاة عن أفعال الشروع، يجد أنّها تدلّ على الزّمن الحال، رغم كونها جاءت بصيغة الماضي، لهذا اشترطوا في خبرها أن لا يقترن بـــ "أن" التي تدلّ على الزّمن المستقبل، يقول الشيخ مصطفى الغلاييني: "وإنّما لم يجز اقترانُها بأن، لأنّ المقصود من هذه الأفعال وقوع الخبر في الحال، و«أن» تفيد الاستقبال، فيحصل التناقض باقتران خبرها بها"[2]، وهذا الرّأي هو ما تبنّاه الدكتور مالك يوسف المطلبى عند حديثه عن المركّب الناتج من فعل الشروع وصيغة المضارع؛ إذ يرى "أنّ زمن المركب الشّروعي هو الحاضر، وأنّ جهة زمن حدثه هو أنّ الحدث قد بُدئ به الآن"[3] ويَرُدُّ على الدكتور تمام حسان الذي أطلق على هذا المركّب تسمية «الماضي الشروعي» بقوله: "ومن هنا فإنّ ما اقترحه الدكتور تمّام حسّان من تسمية هذا المركب «الماضي الشروعي» يستند إلى شكل مورفيم الشّروع، وليس إلى دلالته، والصّحيح أن نطلق على هذا المركّب: «الحاضر الشّروعي»"[4].

---

[1]– ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص245.

[2]– مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ص390.

[3]– مالك يوسف المطلبي، الزّمن واللغة، ص283.

[4]– المرجع نفسه، ص283.

وقد يكون الدكتور تمام حسان محقّا في إطلاقة تسمية «الماضي الشروعي» على هذا المركبّ؛ وذلك عنـــدما يأتي في سيـــاق الحكاية، كقوله تعالى حكاية عن أبينا آدم –عليه السّلام– وأُمّنَا حواء: ﴿وَ**طَفِقَا يَخْصِفَانِ** عَلَيْهِمَا من وَرَقِ الجَنَّةِ﴾ (الأعراف: 22) و"معنى طفقا: أخذا في الفعل ... ومعنى يخصفان: يجعلان ورقةً على ورقةٍ، ومنه قيل للخصّاف الذي يَرْقَعُ النّعلَ: هو يخصفُ"[1]، والفعل المضارع «**يخصفُ**» في هذه الآية يدلّ على الزّمن الماضي؛ لأنه جاء في سياق الحكاية[2]، ومن حيث الجهة يدلّ على البدء والشروع، لأنّه سُبق بفعل الشروع «طفق».

***جهة التّكرار في الزّمن الحال:** ويفهم ذلك عادة من السياق العام للكلام ونضرب مثالا على ذلك بقول نزار قباني:

أَمْريكَا **تُجَرّبُ** السّوْطَ فينا وَ**تَشُدُّ** الكَبِيرَ من أُذنيْه

و**تبيعُ** الأعرابَ أفْلامَ فِيدِيُو و**تبيعُ** الكولا إلى سبيويْه[3]

فنزار يتحدث عن الذلّ والهوان اللذين أصابا هذه الأمّة، ما فتح المجال لأعدائها ليعيثوا فيها خرابا وفسادا؛ فها هي أمريكا تُمارس علينا بطشها وطُغيانها أمام مرأى ومسمع من كلّ العالم، ولا أحد يجرأُ على مناقشتها أو التّنديد بجرائمها، وهي بالمقابل من ذلك تُصدّر لنا منتوجاتها الثقافية المختلفة التي تعمل على تنويم الشعوب، وتَبْييضِ صورتها أمام العالم، خاصة ما تعلّق منها بمجال الإعلام السّمعي البصري والفن والسّينما الهوليودية، وغيرها من القنوات الثقافية الأخرى، التي تخدّر بها الشعوب وتجعلهم يُسبّحون بحمد أمريكا.

والأفعال المضارعة الثلاثة في هذين البيتين (تجرّبُ، تشدُّ، تبيعُ) تدلّ هنا على الزّمن الحاضر؛ لأنّها لم تقترن بقرينة تصرفها إلى زمن آخر، فنزار قباني يتحدّث عن الجرائم والانتهاكات التي تمارسها علينا أمريكا في الزّمن الحاضر، وهي – أي هذه الأفعال الثلاثة– تدلّ من حيث الجهة على التّكرار؛ فأمريكا تجرّب السّوط في أماكن مختلفة من الأمة العربية الإسلامية، مثلما نلاحظه الآن في العراق وليبيا وسوريا واليمن وغيرها من البلدان العربية،

---

[1]– أبو إسحاق إبراهيم بن السَّريّ الزَّجَّاج، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، ط1. بيروت: 1407هـ/1988م، منشورات عالم الكتب، ج2، ص327.

[2]– ينظر: محمد رجب محمد الوزير، "الدّلالة الزمنية لصيغة الماضي في العربية"، ص109–110.

[3]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص365.

وهي تشدّ كلّ من حاول أن يقف في وجهـــها من أذنيه وليس ما فعلته مع الرئيس العراقي الراحل «زدّام حسين» عنّا ببعيد، حين نفّذت عليه حكم الإعدام يوم عيد الأضحى، وكأنه أضحية من أضاحي العيد، وهي مع كلّ هذه الفضائع تبيع لنا منتوجاتها المختلفة من ألبسة وأطعمة وأشربة وآلات وأثاث وغيرها من المنتوجات. وبالتالي تكون الدلالة الزّمنية لهذه الأفعال هي الزّمن **الحاضر المتكرّر** أو **الحاضر المتجدّد**، كما يسمّيه الدكتور تمام حسّان[1].

***جهة التّحوّل في الزّمن الحال:** التّحوّل – مثلما رأيناه في الفصل السّابق– هو حدوث تحوّل وتغيّر في الحدث؛ إذ ينتقل من حال إلى أخرى، وجهة التحوّل في الزّمن الحال تكون بحدوث تحوّل في الحدث في الزّمن الحاضر، وعادة ما يُفهم ذلك من سياق الكلام؛ نحو قولك:

"أنا الآن **أحسّ** بسعادة غامرة بعد أن كنت منذ قليل في قمّة الغضب."

فالفعل المضارع «**أحسّ**» يدلّ على الزّمن الحاضر؛ لأنّه سبق بظرف الزّمن «الآن» الذي يدلّ على الزّمن الحاضر، وهو من حيث الجهة يدلّ على التّحوّل، ويُفهم ذلك من سياق الكلام، فالمتكلّم كان قبل قليل في قمّة الغضب، أي في الزّمن الماضي القريب وهو الآن في قمّة السعادة، أي في الزّمن الحاضر، فحالته الشعورية تحوّلت من الغضب إلى السّـــعادة والفرح، وبالتـــّالي تكون الدّلالـــة الزّمنية للفعـــل «**أحسّ**» في هذا المثال هي **الحاضر المتحوّل**.

وتلعبُ بعض أخوات «كان» دورا كبيرا في اللّغة العربية في تعيين جهة التّحوّل مثل: يصبح ويمسى ويضحى ويصير...إلخ؛ لأنّها تدلّ على حصول تحوّل وتغيّر في اسمها في وقت معيـــّن، ومن ذلك قـــول نزار قباني في قصيدته «من يوميات رائد فضاء»:

هنا تتأكّدُ حرّيتي

.....

هنا **تُصبحينَ** خُلاصةَ شِعري

[1]– ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص246.

هنا **تُصبحينَ** جميع النّساءْ[1]

فنزار قبّاني يخاطب حبيبته، ويقول لها: إنّك في هذه اللّحظة تستولين على كياني، وتحتالين كلّ مشاعري وآمالي، فَأُصبْحُ لا أرى في الكون اِمرأة سواك، والفعل المضارع «**تُصبحين**» يدلّ على الزّمن الحاضر، لخلوّه من القرائن التي تصرفه لزمن آخر، وهو من حيث الجهة يدلّ على التّحوّل؛ لأنّ حبيبته تتحوّل في اللحظة التي يُخاطبُها فيها إلى خلاصة شِعرِهِ، وتصبح كلُّ نساء العالم ملخّصةً فيها، ومن هنا تكون الدلالة الزّمنية للفعل المضارع «**تصبحُ**» في هذه الأسطر الشعرية هي الزّمن **الحاضر المتحوّل**.

[1]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص229.

3)دلالة الفعل المضارع على الزّمن المستقبل المطلق: سبق وتحدّثنا عن الخلاف الذي دار بين النّحاة حول الدّلالة الزّمنية الأصليّة للفعل المضارع، وأشرنا إلى أنّنا في هذا البحث قد اعتمدنا على الرّأي القائل بأنّ الدّلالة الأصليّة للمضارع هي زمن الحاضر، وأنّه لا ينصرف إلى زمن المستقبل إلاّ في ظلّ السّياق، أو باتّصاله بالقرائن المختلفة التي تصرفه إلى زمن المستقبل، وهناك الكثير من القرائن التي تصرف الفعل المضارع للدّلالة على الزّمن المستقبل، وهي قرائن توسّع النّحاة في الحديث عنها وأشبعوها بحثا وتفصيلا، وسنحاول أن نذكر هنا بعضا منها، من باب الاستئناس وسنذكر لكلّ حالة من الحالات، التي سنعرض لها، مثالا يَرِدُ فيها الفعل المضارع دالا على الزّمن المستقبل المطلق، سواء كان ذلك من شعر نزار قباني، أو من غيره من الكلام، وذلك كما يلي:

– **إذا ورد في أسلوب الشرط:** وذلك بأن يُسبق الفعل المضارع بأداة من أدوات الشرط سواء كانت عاملة أم لا، وذلك لكون الشرط يتحقّق عادة في المستقبل، إذ يذهب الرضيّ إلى أنّ الفعل المضارع يدلّ على الزّمن المستقبل "بكلّ أداة شرط وإن لم تعمل إلاّ «لو» فإنّها موضوعة للشرط في الماضي، ويجب كون الجزاء مستقبلا، لأنّه لازم الشرط الذي هو مستقبل، ولازم الشيء واقع في زمانه"[1]، ونمثّل للفعل المضارع في سياق الشرط بقول نزار قباني وهو يتحدّث عن الدكتاتورية التي يمارسها بعض الحكام العرب على شعوبهم، فكلّما ذهب حاكم جائر إلاّ وأخذ مكانه حاكم آخر أكثر جور منه؛ إذ يقول:

وهذا الوطنُ القابعُ بين الماء...وبين الماءِ

حزينٌ كالسّيف المكسورْ

فإذا ودَّعنَا كافُورا

يَأْتِينَا أكثرُ من كافورْ[2]

فالفعل المضارع «**يأتي**» الذي جاء هنا في جملة جواب الشرط، يدّل على الزّمن المستقبل، وهو غير مقيّد بجهة معيّنة، فبالتالي يدلّ على **المستقبل المطلق.**

[1] – رضي الدّين الاستراباضي، شرح كافية ابن الحاجب، ج4، ص25.

[2] – غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص274.

-**إذا اتصلت به نوني التوكيد ولام القسم:** فهذه الحروف الثّلاثة تجعل الفعل المضارع دالا على زمن المستقبل، يقول الرضيّ: "ويتلخّص المضارع للاستقبال بنوني التأكيد ولام القسم، إذ الثلاثة توكيد، وهو إنّما يليق بما لم يحصل"[1]، ومن ذلك قولك:

"والله **لتنجحنَّ** في المسابقة بإذن الله."

فالفعل المضارع «**تنجح**» يدلّ هنا على الزّمن المستقبل؛ لأنّه اتّصل بلام القسم ونون التوكيد الثقيلة، وهما حرفان يفيدان توكيد حصول الفعل في المستقبل والفعل «**ينجح**» هنا غير مقيّد بجهة معيّنة، فنحن لا ندري متى تجري هذه المسابقة ولا الطريقة التي سيتمّ بها هذا النّجاح، وبالتالي يكون زمن الفعل هنا هو **المستقبل المطلق.**

- **إذا ورد في أسلوب إنشائي طلبي:** فالأصل في الطّلب أن يكون في المستقبل والأسلوب الإنشائي الطلبي هو "ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب"[2] وله عدّة صيغ كالاستفهام والأمر والدّعاء والنّهي والعرض والتّحضيض والتّمني والتّرجي، وغيرها من الأنواع الأخرى التي تستدعي مطلوبا في الزّمن المستقبل.

يقول نزار قباني في قصيدته الرّائعة "القدس":

يا قدسُ يا مدينةَ الأحزانْ

يا دمعةً كبيرةً تجولُ في الأجفانْ

مَنْ **يُوقفُ** العُدوانْ

عليك يا لؤلؤةَ الأديانْ ؟

من **يغسلُ** الدّماءَ عن حجارةِ الجدرانْ ؟

من **يُنقذُ** الإنجيلْ ؟

من **يُنقذُ** القرآنْ ؟[3]

---

[1]- رضي الدّين الاستراباضي، شرح كافية ابن الحاجب، ج4، ص24-25.

[2]- ابن عثيمين، شرح البلاغة، ص80.

[3]- نزار قباني، الأعمال الكاملة، ج3، ص163.

فنزار هنا حزين، يخاطب القدس، ويتساءل في حسرة مَنْ يستطيع أن يُخلّصها ممّا أصابها من خراب ودمار؟ ومن يستطيع أن يعيد لها بسمتها التي غابت عن الوجود منذ أن حلّ فيها الطّاعون الصّهيونيّ؟ والأفعال المضارعة (يُوقفُ يغسلُ، يُنقذُ) تدلّ هنا على الزّمن المستقبل، لأنّها وردت في أسلوب إنشائيّ طلبيّ هو الاستفهام، وهذه الأفعال غير مقيّدة بجهة معيّنة في المستقبل، فنزار يسأل فقط من يستطيع إنقاذ القدس مستقبلا، بأيّ طريقة من الطرق، وبالتالي تكون الدّلالة الزّمنية لهذه الأفعال هي **المستقبل المطلق**.

ونضرب مثالا آخر عن الأسلوب الإنشائي الطلبي، وهذه المرّة مع أسلوب النهيّ في قول نزار قباني:

لا **تسأليني** يا صديقةُ ما أرَى

فاللّيلُ أعمى

والصّباحُ بعيدُ

طَعَنُوا العُرُوبَةَ في الظَّلام بِخِنْجَرٍ

فَإذَا هُم بينَ اليَهُودِ يَهُودُ[1]

فنزار هنا يتأسّف عن الواقع المرير الذي آلت إليه أوضاع الأمة العربية ويهجو العرب الذين خانوا هذه الأمّة، وباعوا ذممهم لليهود، إذ وصف هؤلاء وأمثالَهم بأنّهم يهود مثل أسيادهم اليهود، بل هم أفجر وأشنع وأخبث، لأنّهم خانوا أمّتهم، وباعوا شرفهم بحظ يسير من الدّنيا، بينما اليهود – رغم خبثهم وفضاعتهم– يعملون لصالح أمّتهم، فشتان بين هؤلاء وهؤلاء.

والفعل المضارع «**تسأل**» يدلّ هنا على الزّمن المستقبل؛ لأنّه ورد في سياق النّهي، إذ سُبق بأداة النّهي "لا"، والنّهي له صيغة واحدة، و"هي المضارع مع لا الناهية فقط، فلا يكون نهيا إلاّ إذا كان بهذه الصيغة"[2]، والفعل «**تسأل**» لم يتقيد هنا أيضا بجهة معينة، أي هو خال من الجهة، لأنّ نزار يطلب من صديقته ألا تسأله عن واقع الأمّة

[1]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص335.

[2]– ابن عثمين، شرح البلاغة، ص 93.

العربية بأيّ شكل من الأشكال، وبالتالي تكون الدلالة الزّمنية لهذا الفعل هي **المستقبل المطلق.**

– **إذا سُبق بـــ «لا» النافية:** يرى جمهور النّحاة أنّ الفعل المضارع المسبوق بـــ "لا" النّافية يدلّ على زمن المستقبل، يقول ابن هشام في حديثه عن «لا» النافية: "ويتلخّص المضارع بها للاستقبال عند الأكثرين"[1] ونمثّل لذلك بقول نزار:

وهي تدري أنّني من دونها

لا **أقطعُ** الشارعَ وحدي

لا ولا **أدخلُ** في المعطف وحدي

لا ولا **أعرفُ** أن أرجعَ للفندق وحدي[2]

فنزار هنا يتحدّث عن حبيبته التي أحبّها إلى درجة أنّه لا يستطيع أن يفعل أبسط الأشياء من دونها، حتى لبس معطفه، والأفعال المضارعة الثلاثة (أقطعُ أدخلُ، أعرفُ) التي سُبقت بـــ "لا" النّافية تدلّ هنا على الزّمن المستقبل، فنزار لا يستطيع أن يقوم بهذه الأفعال مستقبلا ما لم تكن حبيبته معه، أو بالأحرى ما لم تساعده في ذلك، وهي أفعال غير مقيّدة بجهة معيّنة، وبالتالي تكون دلالتها الزّمنية هي **المستقبل المطلق،** وهو ما أشار إليه الدكتور تمام حسان في كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها"، إذ أطلق على التركيب المتكوّن من "لا" النافية والفعل المضارع المستقبل البسيط[3]، أي الخالي من الجهة، ويمكن أن نوضحه كما يلي:

"لا" النافية + فعل مضارع = زمن المستقبل المطلق أو البسيط.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ هناك من النّحاة من خالف قول الجمهور ورفض أن يكون الفعل المضارع الذي دخلت عليه «لا» النافية دالا على زمن المستقبل، ومنهم ابن مالك الذي يرى أنّ الفعل "المضارع صالح له[4] وللحال ولو نُفي بـــ «لا» خلافا لمن

[1]– ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص239.

[2]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص189.

[3]– ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص248.

[4]– يعود الهاء هنا على الزّمن المستقبل.

خصّها بالمستقبل"[1]، ويشرح لنا ابن هشام سبب مخالفة ابن مالك لجمهور النّحاة في «لا» النّافية، فيقول: "وخالفهم ابن مالك؛ لصحّة قولك: «جاء زيدٌ لا يتكلّم» بالاتفاق، مع الاتّفاق على أنّ الجملة الحالية لا تصدرُ بدليل استقبال"[2]

ويذهب الدكتور إبراهيم مصطفى إلى أنّ النّفي بـــ «لا» أشمل وأوسع، ولا يقتصر فقط على زمن المستقبل، إذ يقول: "والنافية للمضارع هي أكثر أنواع «لا» استعمالا، ونصف ما ورد في القرآن الكريم من هذا النّوع، ويُلاحظ في نفي المضارع أنّك تقول: لم يتكلمْ، فالنفي للماضي، وما يتكلّم، فالنفي للحال، ولن يتكلّم فهو للمستقبل، فإذا قلت: لا يتكلم، كان النفي أوسع وأشمل ففي معنى لا معنى الشمول والعموم."[3]

ونحن نأخذ بالرّأي الوسط في هذه المسألة؛ فنقول إنّ الأصل في الفعل المضارع أن يدلّ على زمن المستقبل إذا دخلت عليه «لا» النّافية، وذلك سيرا على قول الجمهور من النّحاة، ويستثنى من ذلك حالة وجود قرينة تصرفه عن ذلك كمجيئه في سياق الحكاية، أو مجيئه في جملة الحال نحو قولك:«جاء زيدٌ لا **يتكلّم**» وذلك اعتبارا لصحّة ما ذهب إليه ابن مالك في جملة الحال.

-**إذا اقترن بظرف زمان للمستقبل:** ففي هذه الحالة أيضا يدلّ الفعل المضارع على الزّمن المستقبل، يقول جلال الدّين السّيوطيّ: "ويتعيّنُ في الاستقبال وذلك إذا اقترن بظرف مستقبل سواء كان معمولا له أو مضافا إليه، نحو: أزورك إذا تزورني، فالفعلان مستقبلان لعمل الأول في «إذا» وإضافة «إذا» إلى الثاني"[4] والفعل المضارع «**تزورُ**» في هذا المثال، الذي قدّمه السّيوطيّ، لا يدلّ على جهة معيّنة في المستقبل، كالقرب والبعد – مثلا- وإنّما يدلّ فقط على أنّ فعل الزّيارة يكون في المستقبل، لهذا يعربُ النّحاة «إذا» في مثل هذه الحالة "ظرفا لما يُستقبل من الزّمان"[5] أي الزّمن المستقبل المطلق الخالي من

---

[1]- ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في النّحو، شرح: العلامة الدّماميني، ط1، مكة: 1319هـــ منشورات المطبعة الأميرية، ص3.

[2]- ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص239.

[3]- إبراهيم مصطفى، إحياء النّحو، ط2. القاهرة: 1413هـــ/ 1992م، لجنة التأليف والترجمة والنشر ص135.

[4]- جلال الّدين السيوطي، همع الهوامع، ج1، ص26.

[5]- عبده الراجحي، التطبيق النّحوي، ص341.

الجهة، وبالتالي تكون الدلالة الزّمنية للفعل «**تزورُ**» في المثال السابق هي **المستقبل المطلق.**

– **إذا تضمّن وعدا:** ويدلّ الفعل المضارع أيضا على الزّمن المستقبل إذا تضمن وعدا؛ وذلك أنّ الأصل في الوعد أن يتحقّق في المُستقبل، ومن ذلك قول نزار قباني في قصيدته "الطّيران فوق سطح العالم":

قرّرتُ نهائيًا أن **أتفرّغَ** لك

فليس هُنَاكَ قضيّةٌ

تستحقُّ أن يموتَ الإنسانُ من أجلِها

إلاّ حبّكِ[1]

فنزار قباني يخاطب هنا حبيبته على طريقة الرّومانسيين، ويَعِدُهَا أن يخصّص كلّ حياته لها مستقبلا، لأنّه –حسبه– لا يوجد هناك شيء، أو قضيّة تستحقّ التضحية من أجلها إلاّ حبيبته، والفعل المضارع «**أتفرغ**» يدلّ هنا على الزّمن المستقبل لأنه جاء في سياق الوعد، وهو لم يتقيّد بجهة معينة، وبالتالي تكون دلالته الزّمنية هي **المستقبل المطلق.**

–**إذا سُبق بحرف من حروف الاستقبال:** وحروف الاستقبال هي مجموعة من الحروف التي تدخل على الفعل المضارع فتجعله دلا على الزّمن المستقبل، و"هي: السّين وسوف، ونواصب المضارع، ولام الأمر، ولا الناهية، وإن وإذما"[2] وبعض هذه الحروف يجعل الفعل المضارع مقيّدا بجهة معيّنة في الزّمن المستقبل مثل السين وسوف، وهو ما سنراه –إن شاء الله– في المبحث اللاحق من هذا البحث، وبعضها الآخر يجعل المضارع دالا فقط على المستقبل المطلق، ولا يقيّده بجهة مهيّنة وسنضرب مثالا عن هذا النّوع الأخير، بقول نزار قباني في قصيدته المشهورة "منشورات فدائية على جدران إسرائيل" والتي كتبها بعد نكسة 1967م، حيث يقول:

[1]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص76.

[2]– مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ص626.

لن **تَجعلُوا** من شَعبنا

شَعْبَ هُنُودٍ حُمْرْ

فنَحْنُ بَاقُونَ هُنَا[1]

يخاطب نزار في هذه الأسطر الصّهاينة المغتصبين، الذين استولوا على فلسطين، وارتكبوا فيها أبشع الجرائم، وذلك تحت رعاية غربية فاضحة، خاصة من جانب الولايات المتّحدة الأمريكية، ويؤكّد نزار هنا للصّهاينة أنّهم لن يستطيعوا أبدا أن يفعلوا مع الفلسطينيين ما فعله الأمريكيون مع الهنود الحُمر من إفناء وإبادة؛ ونذكر هنا ما سرده الباحث السّوري مُنير العكش، والذي يعيش في الولايات المتحدة الأمريكية، إذ ذكر في كتابه "أمريكا والإبادات الجماعية" الذي اعتمد فيه على المراجع الأمريكية نفسها، أنّ حوالي "112 مليون♥ هندي أحمر، كانوا يسكنون وطنهم، قبل تسميّته بأمريكا، منذ غزو كولومبوس عام 1492م، لم يبق منهم في إحصاء عام 1900م، سوى رُبع مليون إنسان. لقد شنّ الغزاة الأمريكيون ضدّ الأصلانيين من أصحاب الأرض 93 حربا جرثومية شاملة، أتت على حياة 400 شعب من الشعوب الهندية الحمراء. هذه هي الإبادة الجماعية الأعظم والأطول في تاريخ الإنسانية"[2] أي أنّ الأمريكيين قتلوا أكثر من 110 ملايين من الهنود الحمر وهو ما يسعى الصّهاينة إلى تكراره مع الفلسطنيين. ونزار قباني يتحدّث هنا بلسان كل فلسطيني ويؤكد أنّ الفلسطنيين سيواصلون كفاحهم، وأنّ كلّ المخططات الصّهيو-أمريكية ستنكسر على صخرة الصّمود الفلسطيني، والعربي الإسلامي بشكل عام، والفعل المضارع «**تجعلوا**» يدلّ هنا على الزّمن المستقبل؛ لأنّه سُبق بـــ «لن» و"هوحرف ناصبٌ يفيد النّفي والاستقبال"[3] والفعل لم يتقيّد بجهة معيّنة، فهو نفي مطلق يشمل كل الزّمن المستقبل؛ أي أنّ الصهاينة لن يفلحوا في تحقيق

---

[1]– نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج3، ص167.

♥– في هذه العبارة خطأ لغوي هكذا ورد في المرجع، والأصح أن نقول: «112 ميلونا هنديا أحمرا » لأنّ تمييز العدد 12 يكون منصوبا وليس مجرورا، وبالتالي تكون الصّفات الواردة بعد كلمة "مليونا" منصوبة أيضا؛ باعتبار أنّ الصفة تتبع الموصوف.

[2]– عز الدّين المناصرة، الهويات والتّعدّدية الثقافية، ط1. الأردن: 1425هـــ/2004م، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ص16.

[3]– عباس صادق، موسوعة القواعد والإعراب، ط1. الأردن: 2002م، دار أسامة للنشر والتوزيع، ص08.

مشروعهم الاحتلالي في أيّ لحظة من لحظات الزّمن المستقبل، وبالتالي تكون الدلالة الزّمنية للفعل المضارع هنا هي **المستقبل المطلق**. هذا مع ضرورة الإشارة إلى أنّ النفي بـــ «لن» في اللغة العربية يتميّز بنوع من الاستمرارية؛ أيّ أنّ نفي الفعل يبقى مستمرا في المستقبل، ويظهر ذلك أكثر عندما تقترن الجملة بكلمة «أبدا» نحو قولك:

"لن **أتركَ** أبدا وطني."

فالفعل المضارع «**أترك**» يفيد هنا الزّمن **المستقبل المستمر**.

هذه بعض من الحالات التي يدلّ فيها الفعل المضارع على الزّمن المستقبل، وهناك حالات أخرى ذكرها النّحاة في مصنفاتهم[1]، وفصّلوا فيها القول وسنذكر بعضها في المبحث الموالي من هذا الفصل، لدى حديثنا عن بعض الحالات التي يدلّ فيها الفعل المضارع على الزمن المستقبل المقيد بجهة من الجهات المختلفة.

[1]– ينظر، ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في النّحو، ص3.

4) دلالة الفعل المضارع على الزّمن المستقبل المقيد: يأتي الفعل المضارع دالا على الزّمن المستقبل في سياقات كثيرة، وتدخل عليه الكثير من القرائن التي تجعله مقيّدا بجهة معيّنة في الزّمن المستقبل، وسنحاول في هذا المبحث أن نضرب أمثلة عن تلك الجهات كما يلي:

***جهة التّمام في الزّمن المستقبل:** وجهة التّمام هي عكس جهة الاستمرار وهي هنا تعني أنّ حدثا يحدثُ وينتهي في نقطة زمنية معيّنة من الزّمن المستقبل، ولا تكون له استمرارية في الزّمن، نحو قولك:

"**يعودُ** المغتربُ إلى أهله بعد أيام."

فالفعل المضارع «**يعودُ**» يدلّ هنا على زمن المستقبل بدلالة السّياق؛ وهو من حيث الجهة يدلّ على التّمام؛ لأنّ فعل العودة يتمُّ وينتهي بمجرد وصول المغترب إلى أهله. ونضرب مثالا آخر عن هذه الجهة بشعر نزار قباني، وهو قوله في إحدى قصائده:

لا سادةُ الحجازِ يعرفُونَنَا

ولا رعاعُ البادِيَةْ

ولا أبو الطيّب يستضيفُنا

ولا أبو العتاهيهْ

إذا ضَحِكْنَا لِعَلِيٍّ مرّةً

يَقْتُلُنَا مُعَاوِيَهْ[1]

فنزار يتحدث هنا الظلم والجور الذي تمارسها بعض الحكومات العربية في حقّ شعوبها، فهو يرى أنّ المواطن العربي لا مفر له في وطنه، فهو إذا نجا من الحاكم زَيْدٍ يقتله الحاكم عَمْرُو، والفعل المضارع «**يقتلُ**» يدلّ على الزّمن المستقبل؛ لأنّه ورد في سياق الشرط، وهو من حيث الجهة يدلّ على التّمام، لأنّ فعل القتل يحدث وينتهي في نقطة زمنية

[1]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص347.

معيّنة من الزّمن المستقبل، وبالتالي تكون الدلالة الزّمنية العامة لهذا الفعل هي **المستقبل التّام.**

***جهة الاستمرار في الزّمن المستقبل:** ويطلقُ عليها أيضا جهة اللاتمام، وقد رأينا سابقا أنّ بعض أخوات «كان» تدلّ على جهة الاستمرار في الأزمنة المختلفة، مثل «**ظلّ**» و«**مازال**» وغيرهما، وقد يأتي الفعل المضارع مسبوقا بـ «ظلّ» المتصلة بالسين ليدلّ على جهة الاستمرار في الزّمن المستقبل، وهو ما أشار إليه الدّكتور تمام حسان في كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها"، حيث ذكر تركيبين يُستخدمان في اللغة العربية للدلالة على جهة الاستمرار في المستقبل وهما: **سيظلُّ يفعل** و**سوف يظلّ يفعل**[1].

ونضرب مثالا على ذلك بقول نزار قباني:

سأظلُّ **أحترفُ** المحبّةَ

مثل كلّ الأنبيَاءْ

وأظلّ **أحترف** الطفولةَ، والبراءةَ

والنّقاءْ[2]

فنزار قباني يعبّر هنا عن إنسانيّته، ويؤكّدُ أنّه سيستمر في المستقبل في تبّني مختلف القيم النبيلة التي تُعلي من شأن الإنسان، وهذا بالرغم من كلّ الظلم والأحقاد التي تسود في عالمنا المعاصر، والفعل المضارع «**أحترفُ**» يدلّ من حيث الزّمن على المستقبل، مثلما هو واضح في السّياق، ومن حيث الجهة يدلّ على الاستمرار؛ لأنّه سُبق بالفعل الناقص «ظلّ» المتّصل بسين التّنفيس، وبالتالي تكون دلالتُه الزّمنية في هذه الأسطر الشّعرية هي **المستقبل المستمر**، وهي نفس الدلالة الزّمنية التي نجدها في قول نزار مخاطبا زوجته بلقيس التي قُتلت في انفجار وقع في مبنى السفارة العراقية في بيروت سنة 1981م، إذ يقول:

نامي بحفظ الله أيّتها الجميلة

.....

[1]– ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص245–246.

[2]– نزار قباني، الأعمال الشّعرية الكاملة، ج3، ص11.

ستظلُّ أجيالٌ من الأطفال

تسألُ عن ضفائركِ الطّويلهْ

وتظلّ أجيالٌ من العشّاق

تقرأُ عنكِ أيّتها المعلمةُ الأصيلهْ[1]

فالفعلان المضارعان «**تسألُ**» و«**تقرأُ**» يدلان هنا أيضا على **المستقبل المستمر**؛ لأنهما سُبقا بالفعال الناقص «تظلّ» الذي يفيد الاستمرارية في الحدث، أي أنّ الأجيال القادمة ستظلّ تسألُ وتقرأ عن بلقيس زوجة نزار قباني.

وقد تُفهم جهة الاستمرار في المستقبل من خلال السّياق العام للكلام، أو من خلال قرينة لفظية تدلّ على استمرار حدوث الفعل في المستقبل، ونضربُ مثالا على ذلك بقول نزار قباني في قصيدته المشهورة "قارئة الفنجان":

مَقْدُورُكَ أن **تَمْشِيَ** أبدا

في الحُبِّ على حدِّ الخِنجرْ

.....

مَقْدُورُكَ أن **تمضيَ** أبدا

في بَحْرِ الحُبِّ بغير قُلوعْ[2]

فنزار هنا يتحدث على لسان قارئة الفنجان؛ أي المشعوذة التي تستخدمُ السّحر لمعرفة الغيب، الذي لا يعلمه إلاّ الله تعالى، وقد طلب منها نزار أن تنظر في الفنجان المقلوب، الذي يستخدمه السّحرة، لتخبره بما يخبّئه له المستقبل، فلمّا نظرت في الفنجان أخبرته أنّه سيتعذّب كثيرا في الحبّ، وسيعاني فيه الويلات، وأنّه في الأخير لن يظفر بما يريده، ولن يحقّق ما يصبُو إليه مع الطّرف الآخر؛ فنزار قباني كان في شعره "يبحث عن المرأة المستحيلة التي تملأ خواء روحه، وتسعد قلبه، وتُفعم كيانه بالحبّ والبهجة والأمل، كان نزار قلبا عاشقا

[1]– نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج4، ص75–76.

[2]– نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج1، ص651.

يبحث عن تلك العاطفة الدّافئة التي حلم بها طويلا، وبحث عنها في وجوه كلّ النساء اللائي عرفهن في مختلف البقاع والأصقاع ولكنّه لم يجدها، وكأنّه كان يلهث وراء سراب خادع أضناه ثمّ حطّمه في النّهاية"[1] .

والفعلان المضارعان «**تمشي**» و«**تمضي**» في هذه المقطوعة يدلاّن على الزّمن المستقبل؛ لأنهما وردا في سياق التّنبّؤ بأمور ستحصل في المستقبل، كما أنّهما سُبقا بأداة النّصب «أن» التي تجعل من الفعل المضارع يفيد الاستقبال[2]، وهما من حيث الجهة يفيدان الاستمرار لأنهما اقترنا بظرف الزّمان «أبدا» الذي يفيد أبديّة الحدث؛ أي أنّ فعل المشي والمُضي في الحبّ سيستمرّان مع الشاعر حتى آخر حياته، وبالتالي تكون الدّلالة الزّمنية لهذين الفعلين هي **المستقبل المستمر** أيضا.

***جهة القرب في الزّمن المستقبل:** يمكن التّعبير عن جهة القرب في المستقبل باستخدام الكثير من التّعابير؛ نحو قولك:

"بعد لحظات **يصلُ** القطارُ."

فالفعل المضارع «**يصلُ**» يدلّ هنا على المستقبل القريب، لأنّه سُبق بعبارة «بعد لحظات» التي تدلّ على قرب وقوع الفعل في الزّمن المستقبل. وتحتوي اللغة العربية أيضا على مجموعة من الأفعال أطلق عليها النّحاةُ «أفعال المقاربة» وهي "أفعال ناسخة مثل «كان» تدخل على الجملة الاسمية فترفع الاسم ويسمّى اسمها، وتنصب الخبر ويسمّى خبرها... وأشهرها: كاد وأوشك وكرب"[3] وهي كلّها "تدلّ على قرب وقوع الخبر"[4] ويأتي خبرها عادة فعلا مضارعا مقترنا بـــ «أن» ما يجعله مختصا بالزّمن المستقبل نحو قولك:

"يكادُ القطارُ أن **يَصِلَ**."

---

[1]– محمد رضوان، أروع ما كتب نزار قباني شهريار هذا العصر، دط. القاهرة: 2011م، دار الكتاب العربي، ص10–11.

[2]– ينظر: مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ص626.

[3]– عبده الراجحي، التّطبيق النّحوي، ص136.

[4]– مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، 388.

فالفعل المضارع «**يصل**» يدلّ هنا على الزمن المستقبل، مثلما يظهر ذلك من سياق الجملة، وهو من حيث الجهة يدلّ على القرب؛ لأنّه سُبق بفعل المقاربة "يكاد" وبالتالي تكون دلالته الزّمنية هي **المستقبل القريب**.

وتستخدم اللغة العربية أدوات أخرى للتعبير عن جهة القرب في الزّمن المستقبل لعلّ أشهرها: السّين، وهو "حرف تنفيس يفيد المستقبل القريب"[1]ويشترط دخوله على الفعل المضارع، ونضرب مثالا على ذلك بقول نزار قباني في قصيدته "القدس":

يا قدسُ يا مدينتي

يا قُدسُ يا حبيبتي

غدا غدا **سيُزهرُ** الليمُونْ

و**تفرحُ** السنابلُ الخضراءُ والغُصونْ

و**تضحكُ** العُيونْ

.....

و**يرجعُ** الأطفالُ يلعبونْ

و**يلتقي** الآباءُ والبنونْ

على رُبَاكِ الزَّاهِرَهْ

يا بلدي...يا بلدَ السّلامِ والزَّيْتُونْ[2]

فنزار هنا متفائل بعودة الأرض الفلسطينية إلى أهلها، وبزوال هذه الغيمة الصهيونية التي طال بقاؤها في السماء الفلسطينية، وقد أمطرت فلسطين بكلّ صنوف الشرّ والحقد والهمجية، ولكن نزار يأملُ أن ينتهي كلُّ ذلك في القريب العاجل، وقد استخدم للتعبير عن هذا القرب الفعل المضارع «**يُزهر**» الذي اتصلت به سين التنفيس التي تفيد المستقبل القريب، وهي نفس الدلالة الزّمنية التي تفيدها الأفعال المضارعة التي جاءت بعد الفعل «يُزهرُ»

[1]– عباس صادق، موسوعة القواعد والإعراب، ص97.

[2]–نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج3، ص164.

لأنّـــها جاءت معطوفة عليه، فمجموع هذه الأفعال (تزهر، تفرحُ، تضحكُ، يرجع، يلتقي) دلالتها الزّمنية هي **المستقبل القريب**.

***جهة البُعد في الزّمن المستقبل:** نستطيع التّعبير عن هذه الجهة باستخدام تعابير وأساليب كثيرة في اللغة العربية نحو قولك:

"بعد قرون من الآن **تنفدُ** كلّ احتياطات العالم من البترول."

فالفعل المضارع «**تنفدُ**» يدلّ هنا على المستقبل البعيد؛ لأنّ حصولة يكون بعد قرون من الآن مثلما تشير إليه الجملة، أو نحو قولك:

"عندما **تكبرُ** تفهمُ ما أقوله لك الآن."

فالفعلان المضارعان «**تكبرُ**» و«**تفهمُ**» يفيدان هنا المستقبل البعيد بدلالة السّياق؛ لأنّ المُتحدّثَ هنا يخاطبُ طفلا صغيرا لا يعي ما يُقالُ له، ولن يفهم ذلك حتى يصبح رجلا كبيرا يعي حقيقة الأمور، فهذان الفعلان لن يتمّ تحقُّقُهُما في الواقع إلاّ بعد سنوات من الآن، ومنه تكون دلالتهما الزّمنية هي **المستقبل البعيد**.

وهناك أداة بارزة في اللغة العربية تدخل على الفعل المضارع فتجعله دالا على المستقبل البعيد؛ وهي «سوف» وهي حرف يفيد "التأخير والتنفيس والأناة"[1] ويذهب جلال الدين السيوطيّ إلى أنّ كثرة حروف «سوف» بالمقارنة مع السّين تجعل منها أوسع من حيث الزّمن، وهو مذهب البصريين[2]، أي أنّ السّين تتكوّن من حرف واحد فبالتالي تدلّ على المستقبل القريب – مثلما رأينا في المبحث السّابق– أمّا «سوف» فتتكون من ثلاثة حروف، وبالتالي تدلّ على المستقبل البعيد، ونضرب مثالا على ذلك بقول نزار قباني:

سوفَ **يمُوتُ** الأعورُ الدّجّالْ

سوفَ **يمُوتُ** الأعورُ الدّجّالْ

ونحنُ باقُون هنا

[1]– ابن فارس، الصّاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تح: أحمد حسن بسج، ط1. بيروت: 1418هـــ/1997م، منشورات دار الكتب العلمية، ص111.

[2]– ينظر: جلال الدين السيوطيّ، همع الهوامع، ج2، ص402.

حدائقًا وعِطْرَ بُرْتُقَالْ[1]

فنزار يخاطب الصّهاينة هنا، ويطلب منهم أن لا يفرحوا بالنّصر الذي حققوه سنة 1967م، لأنّه سيأتي يومٌ – وإن طال الزّمن– ويموت فيه الأعور الدّجال، وهو يقصد به الصّهاينة، فهم منهزمون لا محالة، أمّا الفلسطينيون الذين تريدون إبادتهم عن بكرة أبيهم – أيها الصهاينة– فسيبقون هنا في هذه الأرض التي لا يملكون أرضا سواها. والفعل المضارع «**يموتُ**» الذي تكرّر هنا مرتين يدلّ على **المستقبل البعيد**؛ لأنّه سُبق بـــ «سوف» فالحقُّ لا بدّ أن ينتصر، ولو بعد حين.

وتجدرُ الإشارة هنا إلى أنّ دلالة السّين على المستقبل القريب، ودلالة «سوف» على المستقبل البعيد ليست دلالة مطّردة في اللغة العربية؛ ففي الكثير من الأحيان يُستعمل هذان الحرفان على وجه التّرادف، فيدلّ الفعل المضارع بعدهما على المستقبل القريب والبعيد، ولا نستطيع التمييز بين جهة القرب والبعد إلاّ بالاعتماد غلى السياق العام للكلام، ونضرب مثالا على ذلك بقول نزار قباني في قصيدته "دعوة اصطفاف للخامس من حزيران" والتي كتبها في الخامس من حزيران سنة 1972م، أي بعد خمس سنوات من نكسة حزيران 1967م:

نحنُ ندعُوكَ لتصطافَ لدينا

مثل كُلّ السَّائِحِينْ

و**سنُعطيكَ** جناحًا ملكيًّا

لك جهّزناهُ من خمس سنينْ

سوف **تَسْتَمْتِعُ** باللّيْلِ وأضْوَاءِ النّيُونْ

سوف **تلقى** في بلادي ما يسرُّكْ

سوف **نُنْسِيكَ** فلسطينْ

و**سنُلغِي** سُورَةَ الرّحمَنِ والفَتْح

و**سنُعطيكَ** جوازًا عَرَبَيّا

[1]– نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج3، ص186.

شُطبَتْ منه إشاراتُ الرُّجُوعْ[1]

فنزار يستهزء ويسخر من العرب الذين مرّت عليهم خمس سنوات على هزيمتهم ضد إسرائيل، ولكنّهم لم يقوموا بأيّ شي لردّ الاعتبار لأنفســـهم، واسترجاع كرامتهم لهذا نجده يدعو حزيران[2] للاصطياف في الشواطئ العربية، والتّمتّع بجمالية مناظرها فالعرب سيُرحبون به، لأنّهم لم يعودوا يفكرون في الانتقام للشرف العربيّ المستباح، بل أصبح همُّهم الأكبر هو التمتّع بالحياة وملذّاتها.

والمتأمّلُ في هذه المقطوعة الشعرية يجد أنّ نزار قباني قد استعمل **السين** و"**سوف**" على سبيل الترادف؛ فهما لا تفيدان جهة القرب والبعد في المستقبل، بل هما تجعلان فقط الأفعال المضارعة التي جاءت بعدها تفيد زمن المستقبل، فحزيران مُرَحَّبٌ به في الأراضي العربية وقتما شاء، سواء المستقبل القريب، أو البعيد.

***جهة التّحوّل في الزّمن المستقبل:** وهي تعني هنا أنّ تغيّرا سيطرأ على الحدث في نقطة زمنية معيّنة من الزّمن المستقبل، وسبق وأن أشرنا إلى أنّ اللغة العربية تملك الكثير من الأفعال التي تعبّر عن هذه جهة التّحوّل في مختلف الأزمنة؛ كبعض أخوات «كان» وأشهرها «صار» التي تفيد معنى التّحوّل والصيرورة[3]، "وقد تكون «كان وأمسى وأصبح وأضحى وظلّ وبات» بمعنى «صار» إن كان هناك قرينة تدلّ على أنّه ليس المرادُ اتّصافَ المسنَد إليه بالمسند في وقت مخصوص، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَكَانَ منَ المُغْرَقِينَ**﴾ (هود:43) أي: صار. وقوله تعالى: ﴿**فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾ (آل عمران: 103) أي: صِرْتُمْ. وقوله تعالى: ﴿**فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ**﴾ (الشعراء:04)، أي: صارتْ. وقوله: ﴿**ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا**﴾ (النّحل: 58)، أي: صار."[4] وهذه الأفعال الناقصة جاءت في هذه الآيات بصيغة الماضي، ولكن ما يهمّنا هو خروجها عن دلالتها الأصلية، وأخذها لمعنى «صار».

وهناك أيضا طائفة أخرى من الأفعال تُفيد جهة التّحوّل؛ وهي الأفعال التي تدلّ على الألوان المختلفة، نحو قولك:

---

[1]– نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج3، ص210–211–212.

[2]– حزيران هو شهر جوان وهي تسمية سريانية، ويقصد به الشاعر هنا جوان 1967م، الذي عرف هزيمة الجيوش العربية ضد إسرائيل، لهذا يُعتبر حزيران رمزا للهزيمة والانكسار في الأمة العربية.

[3]– ينظر: مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ص379.

[4]– المرجع نفسه، ص379.

"**سيخضرُّ** العشبُ في الرّبيع، ثمّ **يصفرُّ** في الصيف."

فالفعلان المضارعان «**يخضرُّ**» و«**يصفرُّ**» يدلاّن من حيث الزّمن على المستقبل، لأنّهما سُبقا بسين التنفيس، وهما من حيث الجهة يدلان على التّحوّل؛ أيّ أنّ العشب سيعرف تحوّلا وتغيّــرا من لون إلى آخر في الزّمن المستقبل وذلك حسب فصول السنة المختلفة، ومن هنا تكون الدّلالة الزّمنية لهذين الفعلين هي **المستقبل المتحوّل**.

ونضرب مثالا لهذه الجهة في شعر نزار قباني، وهو قوله في قصيدته "قولي أُحبُّكَ":

قولي أحبُّك كي تزيدَ وسامَتي

فبغير حُبِّكِ لن أكون جَميلا

قُولي أُحبُّكَ كي **تَصِيرَ** أَصَابِعِي

ذَهَبًا و**تُصبحَ** جَبْهَتِي قِنْدِيلا

قُولي أُحبُّكَ كي يتمّ تَحوُّلي

فأصيرَ قمحًا، أو **أصيرَ** نَخْيلا[1]

فنزار يطلب من حبيبته هنا أن تصرّح له بحبّها له، لأنّها إن فعلت ذلك سيطرأ تحوّل كبير في حياته، مثلما تشير إلى ذلك هذه المقطوعة، والأفعال المضارعة النّاقصة (تصيرُ، تُصبح، أصيرُ) تدلّ هنا على الزّمن المستقبل؛ لأنّها سُبقت بـــ «كي» التي تجعل المضارع دالا على المستقبل[2]، وهي من حيث الجهة تدلّ على التّحوّل؛ أي أنّ نزار قباني ستتحولّ أصابعُه إلى ذهب، وجبهته إلى قنديل، ويصبح هو نفسه قمحا ونخيلا إن حدث وصرحت له حبيبته بحبّها له، وهي كلّها معان شعرية مجازية، وبناء على ذلك تكون الدّلالة الزّمنية لهذه الأفعال هي **المستقبل المتحوّل**.

[1]– غالية محمد حسن، نزار قباني، وأروع قصائده، ص203.

[2]– ينظر: مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ص626.

***جهة التّكرار في الزّمن المستقبل:** وهي تعني هنا أنّ الفعل المضارع سيتكرّر حدوثه مرات عديدة في الزّمن المستقبل، ويُفهم ذلك عادة من خلال السيّاق، والقرائن المختلفة التي تحيطُ بالفعل، فتجعله يدلّ على هذه الجهة، نحو قولك:

" في عطلة الصيف المقبلة **سأذهب** في كلّ نهاية أسبوع إلى الشاطئ."

فالفعل المضارع «**أذهبُ**» يدلّ في هذا المثال على الزّمن المستقبل؛ لأنّ فعل الذهاب سيحدث في العطلة المقبلة، كما أنّه سُبق بسين التنفيس التي تجعل الفعل المضارع دالا على المستقبل، ومن حيث الجهة يدلّ الفعل هنا على التّكرار، لأنّ فعل الذهاب سيتكرّر في كلّ نهاية أسبوع من العطلة وبالتالي تكون الدّلالة الزّمنية للفعل «أذهب» هي **المستقبل المتكرّر**.

ومن أمثلة هذه الجهة في شعر نزار قباني قوله:

مَقْدُورُكَ أن تَمْضِي أَبَدًا

في بحر الحُبّ بغير قُلوعْ♥

و**تُحبَّ** ملايين المرات

وترجعَ كالمَلكِ المَخْلُوعْ[1]

فنزار يتحدّثُ على لسان قارئة الفنجان، التي تستخدمُ السّحر لتتنبّأ له بمستقبله وتخبرُه أنّه سيخوض الكثير من تجارب الحُبّ، ولكنّه في الأخير سيكون مصيره النكسة وسَيَبوءُ بالخيبة مثل الملك الذي خُلع من مُلكه، والفعل المضارع «**تُحبُّ**» يدلّ هنا على الزّمن المستقبل؛ لأنّه جاء في سياق التنبّأ، وجهته هي التّكرار، ويدلّ على ذلك عبارة «ملايين المرات»، أي أنّ تجربة الحبّ ستتكرر في حياة الشاعر كثيرا، وبناء على ذلك تكون الدلالة الزّمنية لهذا الفعل هي **المستقبل المتكرّر**.

***جهة البدء في الزّمن المستقبل:** وتعني هنا أنّ حدثا ما سيتمّ البدءُ فيه في نقطة زمنية معيّنة من الزّمن المستقبل، وهناك طائفة من الأفعال في اللغة العربية تفيد هذا المعنى مثل: يبدأ، يبتدئ، ينطلقُ، يشرعُ...الخ[1]، نحو قولك:

♥ القُلوعُ: جمع قُلْع، وهو الشّراع.

[1]– نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج3، ص651.

"**تشرعُ** البلديةُ في الأيّام المقبلة في توزيع الإعانات على الفقراء والمحتاجين."

فالفعل المضارع «**تشرعُ**» يدلّ هنا على الزّمن المستقبل؛ لأنّ حصوله سيكون في الأيام المقبلة، وهو من حيث الجهة يدلّ على البدء والشروع، فتكون دلالته الزّمنية الزمنيّة هي **المستقبل البدئي** أو **الشّروعي** كما يسميه الدكتور تمام حسان.

ومن أمثلة هذه الجهة في شعر نزار قباني، قوله:

عندما **تَبْدَأُ** البَنَادِقُ بِالْعَزْفِ تمُوتُ القَصَائدُ العَصْمَاءُ[2]

فنزار هنا يُعاتبُ الأمّة العربيّة التي نسيتْ هزيمة حزيران، واكتفت بمجرّد التّنديد بالخُطب والأشعار، التي لم تُعدْ للأمّة مجدَها، لأنّ الحرب تُكسبُ بالاستعداد والسّلاح، وليس بالخطب الرّنانة، والقصائد الطّافحة بالخيال.

والفعل المضارع «**تبدأُ**» يدلّ في هذا البيت على الزّمن المستقبل؛ لأنّه سُبق بـــ "عندما" التي جعلته للمستقبل، وهو من حيث الجهة يدلّ على البدء والشروع؛ أي أنّه في النقطة الزمنية التي يبدأُ فيها عزفُ البنادق، يحصل موت القصائد العصماء، فدلالته الزّمنية أيضا هي **المستقبل البدئي** أو **الشّروعي**.

5) **دلالة الفعل المضارع على الزّمن الماضي المطلق:** رأينا سابقا[3] كيف أنّ النّحاة قد اختلفوا حول الدّلالة الزّمنية الأصلية للفعل المضارع، أهي الحال؟ أم المستقبل؟ أم كلاهما معا؟ وهذا الخلاف قائم حول زمنه الصّرفي؛ أي قبل دخول الفعل المضارع في السّياق، لأنّ دخوله في السّياقات المختلفة يجعله يكتسب دلالة زمنية جديدة تُضاف إلى الزمنين الحاضر والمستقبل، ونعني بها هنا الزّمن الماضي؛ فالفعل المضارع يرد في سياقات كثيرة دالا على الزّمن الماضي من خلال القرائن المصاحبة له في الكلام، وقد تحدّث النّحاة عن مختلف الحالات التي يؤدّي فيها المضارع هذه الدّلالة، وهي حالات بعضُها متَّفَق عليها، وبعضُها

---

[1]– هذه الأفعال ليست ما يسمّيه النّحاة أفعال شروع، لأنّها جاءت مضارعة، والأصل في أفعال الشروع أنها لا تتصرف، وإنّما تأتي فقط بصيغة الماضي، وهذا بالرغم أنّ هذه الأفعال التي ذكرناها هنا بصيغة المضارع تفيد نفس المعنى الذي تفيده أفعال الشروع، ولكن لا يمكن اعتبارها كذلك لافتقارها إلى الشروط التي ذكرها النحاة في أفعال الشروع.

[2]– نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج3، ص402.

[3]– يُنظر المبحث الأوّل من هذا الفصل.

الآخر مختلَف فيها، أو انفرد بها نحويٌّ أو مجموعة قليلة من النّحاة، وسنحاول أن نذكر هنا بعضا من تلك الحالات المتفق عليها، وسندعّم كلّ حالة بمثال من شعر نزار قباني، أو غيره من الكلام الذي يعبّر عن تلك الحالة، وسنعمل على أن تكون الدّلالة الزّمنية للفعل المضارع في هذه الأمثلة غير مقترنة بجهة من الجهات المختلفة، وإنّما مطلقة من معنى الجهة، حتى تعبّر عن المقصود من عنوان هذا المبحث، وذلك كما يلي:

– **إذا ورد بعد الفعل الناقص «كان»:** يتحوّل زمن الفعل المضارع إلى الماضي عندما يُسبق بـــ "كان" التي تدلّ على أنّ الحدث قد حصل في الماضي ومن ذلك قول نزار قباني:

وكانَ وَالدي الرّحيمْ

مُزارعا شيْخًا **يُحبُّ** الشّمسَ والتُّرابْ

واللهَ، والزّيتُونَ، والكُرومْ

كانَ **يُحبُّ** بيتَهُ

وزوجهُ

والشَّجرَ المُثقلَ بالنّجومْ[1]

فنزار يحكي هنا عن والده، وتعلّقه الكبير بأرضه ودينه وعائلته والفعل المضارع «**يُحبُّ**» يدلّ هنا على الزّمن الماضي؛ لأنّه سُبق بالفعل النّاقص «كان» وهو لم يتقيّد بجهة معيّنة واضحة[2] فهنا، فتكون دلالته الزّمنية هي **الماضي المطلق**.

ونلاحظ في الفعل المضارع بعد «كان» أنّه يأتي على حالتين؛ إمّا أن يُشكّل رفقة فاعـــله جملة فعلية تكون خبرا لـــ «كان»"[3]، نحو قولك: "كان الموظف **يجتهدُ** في عمله" وإمّا أن يأتي المضارع بعد خبر «كان»، فتُعرب الجملة التي يكوّنها مع فاعله حسب موقعها في الكلام، نحو قولك: "كان المديرُ صارمًا في عمله، **يراقبُ** سير العمل بدقّة".

[1]– نزار قباني، الأعمال الشّعرية الكاملة، ج3، ص36.

[2]– وهذا مع ضرورة الإشارة إلى أنّ جهة البعد محتملة في هذا المثال.

[3]– يُنظر: جلال الدين السّيوطيّ، همع الهوامع، ج1، ص27.

-**إذا ورد بعض «إذ» الظرفية:** فالمعروف عن «إذ» أنّها "ظرف لما مضى من الزّمان في أكثر استعمالاتها"[1]، وبالتالي يدلّ الفعل المضارع بعدها على الزّمن الماضي نحو قوله تعالى: ﴿وإذْ **يَرْفَعُ** إبْرَهيمَ القَوَاعِدَ منَ البَيْتِ وإسْمَاعيلُ﴾ (البقرة: 127)، فالفعل المضارع «**يرفعُ**» يدلُّ هنا على الزّمن الماضي؛ لأنّ "زمن البناء سابق نزول الآية، إذ لو وُضع الماضي مكان المضارع لكان المعنى صحيحا وما تغيّر"[2]، والفعل «**يرفع**» لم يرتبط هنا بجهة معيّنة في الزّمن الماضي، ومنه تكون دلالته الزّمنية هي **الماضي المطلق**.

-**إذا دخلت عليه «لو» الشرطية:** فالمعروف عن «لو» الشرطية أنّها تفيد الشّرط في الزّمن الماضي، "وإذا وقع بعدها فعلٌ مضارعٌ حوّلتهُ ماضيا، نحو قوله تعالى: ﴿ لَوْ **يُطِيعُكُمْ** في كثيرٍ من الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾"[3] (الحجرات: 07)، فالفعل المضارع «**يطيعُ**» يدلّ هنا على الزّمن الماضي؛ "أي لو أطاعكُم في جميع ما تختارونه لأدّى ذلك إلى عَنتِكم وحَرَجِكُم"[4].

- **إذا ورد في أسلوب الالتفات:** وهو مبحث من المباحث البلاغية، وهو يعني "الانتقال في السّياق من صيغة إلى صيغة مختلفة، كالانتقال من الماضي إلى المضارع نحو قوله تعالى: ﴿إنَّ الذينَ كَفَرُوا و**يَصُدُّونَ** عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: صَدُّوا، ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا **تَقْتُلُونَ**﴾ أي: قتلتُم"[5]، ففي هاتين الآيتين عطف الله تعالى الفعلين المضارعين «يصدّون» و«تقتلون» على الفعلين الماضيين «كفروا» و«كذّبتم» على التوالي، وقد نصّ النّحاةُ على ضرورة اتّحاد الفعلين المتعاطفين في الزّمن؛ يقول ابن عصفور: "ولا يجوز عطف فعل على فعل إلاّ بشرط اتّفاقهما في الزّمان، والأحسن أن يتّفقا مع ذلك في الصيغة، وقد لا يتّفقان فيهما نحو قولك: إن قام زيدٌ ويخرج يقم بكرٌ"[6]، فالفعلان المتعاطفان إن حدثا واختلفا في الزّمن الصّرفي، يشترطُ فيهما أن يتفقا في الزّمن النّحوي السّياقي، على نحو ما رأيناه في الآيات السّابقة.

---

[1]- علي توفيق الحمد، يوسف جميل الزّغبي، المعجم الوافي في أدوات النّحو العربيّ، ط2. الأردن: 1414هـ/1993م، منشورات دار الأمل، ص33.

[2]- المرجع نفسه، ص34.

[3]- علي توفيق الحمد، يوسف جميل الزّغبي، المُعجم الوافي في أدوات النّحو العربيّ، ص290.

[4]- أحمد شاكر، عمدة التّفسير عن الحافظ ابن كثير، ج3، ص355.

[5]- كمال رشيد، الزّمن النّحوي في اللغة العربية، ص64.

[6]- ابن عصفور الإشبيلي، المقرّب، تح: أحمد عبد الستار، ط1. العراق: 1971م، دار إحياء التراث الإسلامي، ج1، ص236.

وقد يسأل سائل عن الغرض من استخدام الالتفات في الكلام، فيُجيبنا جلال الدين السّيوطي في كتابه «البرهان في علوم القرآن» بقوله: "والفائدة في الفعل الماضي إذا أُخبر به عن المستقبل، الذي لم يوجد أنّه أبلغ وأعــظم موقعًا لتنزيله منزلة الواقع والفائدة في المستقبل إذا أُخبر به عن الماضي لتبيين به هيئة الفعل باستحضار صورته ليكون السّامع كأنّه شاهد."[1]

-**إذا ورد في سياق سرد الأحداث في الماضي:** وسرد الأحداث يكون عادة في الماضي وبالتالي يكون الفــعل المضارع في أسلوب السّرد دالا على الزّمن الماضي ومن ذلك قول نزار قباني في قصيدته الرائعة "غرناطة":

سارتْ معي والشعرُ **يلهثُ** خلْفَهَا كسنابلٍ تُركتْ بغير حصادِ

يتألّقُ القُــرْطُ الطّــويلُ بأُذْنِها مثلَ الشُّموعِ بليلةِ الميلادِ

ومَشَيْتُ مثلَ الطّفلِ خَلْفَ دَلِيلَتِي ووراءِيَ التَّاريخُ كَوْمُ رَمَادِ[2]

فنزار تصوّر هنا، بخياله الشّعري الطّافح، أنّه ذهب إلى قصر غرناطة بالأندلس، والتقى هناك بفتاة اسبانية، فَاصْطَحَبَتْهُ في جولة سياحية لتُعرّفَهُ بقصر الحمراء، فأخذ نزار في وصف هذه الفتاة، وجولته السّياحية معها، وهو في قمّة الحزن؛ لأنّ هذا القصر بناه أجداد الشاعر من المسلمين الأوائل، ولكنّ هذه الفتاة الاسبانية تجهل ذلك، وتظنّ أنه من تراث أجدادها الإسبان.

والفعلان المضارعان «**يلهثُ**» و«**يتألّقُ**» يدلاّن هنا على الزّمن الماضي؛ لأنّهما وردا في سياق سرد أحداث حدثت في الماضي، بدليل قول نزار في البيت الأول: "سارت معي ..." وهما لم يتقّيدا هنا بجهة معيّنة، وبالتالي تكون دلالتهما الزّمنية هي **الماضي المطلق**.

-**إذا دخلت عليه «قد»:** فالأصل في «قد» أنّها تفيد "التقليل، وذلك مع الفعل المضارع"[3] لأنّ الفعل المضارع لم يتحّقق بعد، ولكنها تفيد التّوكيد والتّحقيق إذا دخلت على

[1]- كمال رشيد، الزّمن النّحوي في اللغة العربية، ص65.

[2]- نزار قباني، الأعمال الشّعرية الكاملة، ج3، ص 572.

[3]- عباس صادق، موسوعة القواعد والإعراب، ص99.

الفعل المضارع في القرآن الكريم، نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ **نَرَى** تقلّبَ وَجْهِكَ في السّماء﴾ (البقرة: 144)، فالفعل المضارع «**نرى**» يكون هنا في منزلة الماضى المتحقّق؛ لأنّ الشّك لا يجوز في حقّ الله تعالى، فهو علاّم الغيوب، "فحيثما وردت «قد» في القرآن الكريم، فهي بمعنى الماضي المتحقّق"[1]، وقد ذكر السّيوطي[2] أنّ الفعل المضارع بعد «قد» يمكن أن يدلّ على الزّمن الماضي حتى في الكلام البشري، أي خارج القرآن الكريم.

وهناك حالات أخرى اختلف النّحاة حولها، أعرضنا عن ذكرها هنا، كما هناك حالات أخرى يدلّ فيها الفعل المضارع على الزمن الماضي، ولكن يكون مقيّدا بجهة من الجهات، لهذا أرجأنا ذكرها إلى المبحث الموالي من هذا الفصل.

[1]– كمال رشيد، الزّمن النّحوي في اللغة العربية، ص63.

[2]– ينظر: جلال الدّين السيوطي، همع الهوامع، ج1، ص27.

6)دلالة الفعل المضارع على الزّمن الماضي المقيّد: ذكرنا في المبحث الماضي بعض الحالات التي تتحوّل فيه دلالة الفعل المضارع إلى الزّمن الماضي، وحرصنا أن يكون المضارع، في الأمثلة التي قدمنها، غير مقيّد بجهة من الجهات، وسنحاول في هذا المبحث أن نشير بعض من الجهات التي تقيّد الفعل المضارع في الزّمن الماضي، وذلك على النّحو التالي:

***جهة التّمام في الزّمن الماضي:** ونعني بها أنّ الفعل المضارع قد حدث وانتهى في نقطة زمنية معيّنة من الزّمن الماضي، ومن ذلك قول نزار قباني في قصيدته "علّمني حُبّكِ":

وحَلِمْتُ بأَنِّي **أَخْطِفُهَا** مثل الفُرْسانْ

وحَلِمْتُ بأَنِّي **أُهْديهَا** أَطْواقَ اللُّؤْلُؤ

والمَرْجانْ[1]

فنزار هنا يتحدّث عن أحلامه الوردية مع حبيبته، والفعلان المضارعان «**أخطُفُ**» و«**أُهْدي**» يدلان هنا على الزّمن الماضي؛ لأنهما جاءا في سياق سرد الأحداث؛ فنزار يروي لنا هنا أشياء رآها في حُلمه، وروايةُ الحلم نوع من السّرد، وهو حكاية عن حال ماضية[2]، وهذا الفعلان يدلان على جهة التّمام؛ لأنّ فعل الخطف، وفعل الإهداء، حدثا وتمّا في المنام، ومن هنا تكون الدّلالة الزّمنية لهذين الفعلين هي **الماضي التّام.**

***جهة الاستمرار في الزّمن الماضي:** وهي عكس جهة التّمام؛ لهذا يسمّيها بعض الدارسين «جهة اللاتمام»، وتعنى أنّ الفعل المضارع بقي مستمرا في الزّمن الماضي، وتملك اللغة العربية عدة أدوات تجعل الفعل المضارع يدلّ على جهة الاستمرار في الزّمن الماضي، ومن ذلك «لم» و«لمّا» فــ «لم» "حرف نفي وجزم وقلب، وهي من علامات الفعل المضارع، تختصّ بالدخول عليه فتنفيه وتجزمه وتقلب دلالته من الحاضر إلى الماضي"[3]

[1]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص202.

[2]– عصام نور الدين، الفعل في نحو ابن هشام، ط1. بيروت: 1428هـ/2007م، دار الكتب العلمية ص161.

[3]– علي توفيق الحمد ويوسف جميل الزغبي، المعجم الوافي في أدوات النّحو العربي، ص285.

وكذلك «لمّا» تشترك معها في نفس العمل والدّلالة "ولابدّ في منفيّ «لمّا» أن يكون متّصلا بالحال"[1]؛ إذ يستمرُّ النّفي بها إلى زمن الحال نحو قولنا:

"ســـافر ولمّا **يَـــعُدْ**".

أي أنّ المسافر لم يعد إلى حدّ الآن، و"المنفيّ بـــ «لمّا» متوقّع حدوثُهُ غالبا فالمسافر، في المثال السابق، متوقّع عودتُهُ، "أمّا نفي «لم» فقد يكون مستمرّا ... وقد ينقطع"[2]، فمن أمثلة النّفي المستمر قولك:

"لم **يسبقْ** في حياتي أن زورتُ تركيا."

فنفي الزّيارة مازال مستمرا هنا، ومن أمثلة النّفي المنقطع قولك:

"لم أتحصّل على البكالوريا بعدُ في تلك الفترة."

فالنّفي هنا منقطع؛ لأنّ سياق الكلام يوحي أنّ المتكلّم قد تحصل على البكالوريا بعد ذلك، ولهذا نجد أنّ الدكتور تمام حسان قد أشار[3] إلى أنّ صيغة «لم يفعل» قد تدلّ على الماضي المستمر، وقد تدلّ على الماضي البسيط.

ونضرب مثالا لجهة الاستمرار باعتماد «لم» في شعر نزار قباني، وهو قوله:

الاسمُ جميلة بُوحيردْ

اسمٌ مكتوبٌ باللّهبْ

.....

امرأةٌ من قسنْطينهْ

لم **تَعْرِفْ** شَفَتَاهَا الزّينهْ

لم **تدخُلْ** حُجرتَها الأحلامْ

---

[1]– علي بن خليل البصراوي، شرح قواعد البُصروية في النّحو، تح: عزّام عمر الشجراوي، ط1. عمان: 1421هـ/2000م، مؤسسة الرسالة، ص143.

[2]– علي توفيق الحمد ويوسف جميل الزغبي، المعجم الوافي في أدوات النّحو العربي، ص 287.

[3]– ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص247.

لم **تلعبْ** أبدا كالأطفالْ[1]

فنزار قباني يتحدث هنا عن المناضلة الجزائرية «جميلة بوحيرد» التي دوّخت بصمودها فرنسا، ويصفُ مرحلة شبابها التي لم تكن تهتمّ فيها بما تهتمّ به الشابات اللواتي في مثل سنّها، وهذا على غرار جميع المناضلات الجزائريات اللواتي قدمن حياتهن فداء لاستقلال الجزائر. والأفعال المضارعة (تعرف، تدخل، تلعب) تدلّ هنا على الزّمن الماضي؛ لأنّها جاءت في سياق السّرد، كما أنّها سُبقت بـــ «لم» التي قلبتها إلى الماضي، والنّفي في هذه الأفعال يفيد جهة الاستمرار، لأنّ جميلة بوحيرد استمرّت طول شبابها تناضل وتقاوم من أجل استقلال الجزائر، ولم تهتم بالزّينة واللعب، وبالتالي تكون الدّلالة الزّمنية لهذه الأفعال الثلاثة هي **الماضي المستمر**.

وهناك طرق أخرى للتعبير جهة الاستمرار في الزّمن الماضي باستعمال الفعل المضارع، ومن أشهرها أن يأتي المضارع مسبوقا بـــالفعل الناقص "ظلّ"[2] نحو قولك: "ظلّت المرأةُ **تنتظرُ** عودة زوجها المغترب بقية حياتها، ولكن دون جدوى، حتى وافتها المنية."

فالفعل المضارع «**تنتظرُ**» يدلّ هنا على الزّمن الماضي؛ لأنّه ورد في سياق سرد أحداث ماضية، وهو من حيث الجهةُ، يدلّ على الاستمرار، لأنّه سُبق بـــ «**ظلّ**» التي جعلت الفعل المضارع يدلّ على هذه الجهة، وبناء على ذلك تكون الدّلالة الزّمنية للفعل «**تنتظر**» في هذا المثال، هي الزّمن **الماضي المستمر**.

***جهة القُرب في الزّمن الماضي:** وهي تعني هنا أنّ الفعل المضارع يدلّ على حدث وقع في وقت قريب من الزّمن الحاضر، وهناك أساليب وقرائن كثيرة للتعبير عن هذه الجهة باستعمال المضارع، نحو قولك:

"انْتَظَرَ في المَطَارِ كثيرًا، ولم **يُغَادِرْهُ** إلاّ منذ قليل".

فالفعل المضارع «**يغادرُ**» يدلّ هنا على الماضي؛ لأنّه سُبق بـــ «لم» التي قلبت زمنه إلى الماضي، ومن حيث الجهة يدلّ على القرب؛ أي أنّ فعل المغادرة وقع في الماضي

[1]– نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج1، ص450.

[2]– ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص245.

القريب من الحاضر، والقرينة التي تدلّ على ذلك هي عبـــارة "منذ قليل" وبالتالي تكون الدّلالة الزّمنية للفعل «تُغادر» في المثال السّابق، هي الزّمن **الماضي القريب**.

***جهة البُعد في الزّمن الماضي:** وهي عكس جهة القرب؛ إذ تعني أنّ الفعل المضارع يدلّ على حدث وقع في الزّمن الماضي البعيد، وهناك أيضا الكثير من القرائن التي تساعد في التعبير عن هذه الجهة باستخدام الفعل المضارع، كأن يأتي الفعل المضارع بعد أو قبل العبارات التالية: (في قديم الزّمن- قديما- في زمن بعيد- في عصور خلت- في فجر التاريخ....الخ) نحو قولك:

"في القديم كان الناس **يعيشون** في الكهوف والمغارات".

فالفعل المضارع «**يعيشون**» يدلّ هنا على الزّمن الماضي؛ لأنّه سُبق بالفعل الناقص «كان»، وهو من حيث الجهة يدلّ على البُعد والقرينة الدّالة على ذلك هي عبارة "في القديم"، وبالتّالي تكون الدّلالة الزّمنية للفعل المضارع هنا هي **الزّمن الماضي** البعيد.

وقد لا تردُ في الجملة إحدى العبارات الدالة على الماضي البعيد، ولكن يُفهمُ ذلك من سياق الكلام، كسرد الأحداث التاريخية؛ نحو قول نزار قباني:

كتبْتِ لي يا غاليهْ

كتبْتِ تسالين عن إسبانيهْ

عن طارقٍ

يفتحُ باسم الله دنيا ثانيهْ

عن عقبة بن نافعٍ

يزرعُ شتَلَ نخلْهْ

في قلب كلّ رابيهْ

سألتِ عن أميَّةٍ

سألتِ عن أميرها مُعاويهْ

عن السّرايا الزّاهيّهْ

تحملُ من دمشقَ في ركابها

حضارةً

وعافيّهْ[1]

فنزار قباني يحنّ هنا إلى الماضي الجميل، ويتذكّر أيام المسلمين في الأندلس حين فتحوا هذه الأرض، ونقلوا إليها العقيدة الصحيحة، وشيّدوا فيها صرحا علميا وحضاريا مازال عبقُه يأتينا إلى اليوم عبر نسمات التاريخ، والأفعال المضارعة الثلاثة الواردة في هذه المقطوعة الشعرية، وهي: (يفتحُ، يزرعُ، تحملُ) تدلّ هنا على الزّمن الماضي، لأنها وردت في سياق سرد الأحداث الماضية، بدليل قوله في بداية القصيدة: "كتبْتِ تسألين عن إسبانية، عن طارق..." فحرف الجر «عن» يدلّ هنا على أنّ الكلام سيكون عن أحداث وقعت في الزّمن الماضي، نحو ما نجده في رواية الأحاديث النبوية من قول المُحدّثين مثلا:

"**عن** عمر بن الخطاب أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم..."

فهذه العنعنة تدلّ أن الحدث ماض، وإذا عُدنا إلى الأفعال الثلاثة التي وردت في مقطوعة نزار قباني نجد أنّ جهتها في الزّمن الماضي هي البُعد؛ لأنّ فتح الأندلس كان قبل زمن بعيد؛ أي في نهاية القرن الأول الهجري، ومن هنا تكون الدّلالة الزّمنية للأفعال المضارعة الثلاثة في هذه الأسطر الشّعرية، هي الزّمن **الماضي البعيد**.

***جهة التكرار في الزّمن الماضي:** وتعني هنا أنّ الفعل المضارع تكرّر حدوثه في أوقات مختلفة من الزّمن الماضي، وتساعد القرائن المختلفة داخل السياق في التعبير عن هذه الجهة، نحو قولك: " كان في كلّ صباح **يمرُّ** عليّ و**يُلقي** التّحيّة."

الفعلان المضارعان «**يمرُّ**» و«**يلقي**» يدلان في هذا المثال على الزّمن الماضي؛ لأنّهما سُبقا بالفعل الناقص «كان»، وفي نفس الوقت يدلان على جهة التّكرار والقرينة التي جعلتهما يفيدان هذه الجهة هي عبارة "في كلّ صباح"، أي أنّ فعل المرور وإلقاء التّحية يتكرّران في كل صباح، ومن هنا تكون الدّلالة الزّمنية لهذين الفعلين المضارعين هي **الماضي المتكرّر**. ونفس المعنى نجده في قولنا:

[1]– نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج3، ص559–560.

"كانت المسارح، كلّما حلّ الصيف، **تفتحُ** أبوابها للجمهور."

فالفعل المضارع «تفتحُ» يدل على الزّمن الماضي؛ لأنه سُبق بـــ «كان» ويدل على جهة التكرار؛ لأنه سُبق بـــ "كلّما" التي تفيد تكرار الفعل، فتكون الدّلالة الزّمنية لهذا الفعل أيضا هي **الماضي المتكرّر**.

ومن أمثلة هذه الجهة في شعر نزار قباني قوله:

علّمَنِي حُبُّكِ

كيفَ أَرَى بَيْرُوتْ

امرأةً **تلبسُ** كلّ مساءْ

أجملَ ما تملكُ من أزياءْ[1]

فنزار قباني يهيم هنا في خياله الشعري، إلى درجة أنه تصوّر بيروتَ أنثى تلبس أجمل الثياب، وتتعطّر بأطيب العطور، والفعل المضارع «**تلبسُ**» يدلّ هنا على الزّمن الماضي؛ لأنه ورد في سياق سرد الأحداث الماضية، فنزار يسردُ لنا الأشياء التي تعلّمها من حبّ حبيبته له، وهذا الفعل يدلّ من حيث الجهة على التكرار؛ والقرينة التي جعلته يدل على ذلك هي عبارة "كلّ مساء"، أي أنّ فعل لبس الثياب كان يتكرّر في كلّ مساء، فمنه تكون الدّلالة الزّمنية للفعل هي **الماضي المتكرّر**.

والجدير بالذكر هنا أن الفعل المضارع يدلّ في بعض الأحيان على جهة التّكرار دون أن ترد في الكلام قرينة لفظية تجعله يدلّ على ذلك؛ لأنّ الأصل في الفعل المضارع، هو التجدّد والحيويّة، لهذا نجد –مثلا– الدكتور تمام حسان يشير إلى أنّ صيغة «كان يفعل» تدلّ على الماضي المتجدّد[2]، أي المتكرّر، رغم أنّ «كان» تجعله يدل فقط على الزّمن الماضي، مثلما أشرنا إليه في المبحث السّابق، ونحن نوافق الدكتور تمام حسان فيما ذهب إليه، ولكن في بعض الحالات فقط، نحو قولك:

"كان **يعمــلُ** بنّاء."

[1]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص202.

[2]– ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص245.

فالفعل يعمل يدلّ هنا على **الماضي المتكرّر**، أو المتجدّد بتعبير تمام حسان، ولكنّ جهة التّــكرار لا تقتــرن دائما بالفعل المضارع المسبوق بــ «كان»؛ فعنــدما تسأل الأمّ –مثلا– ابنها عن أخيه الصغير، فيجيبها بقوله:

"كان **يلعبُ** مع صديقه أحمد، وقد دخل للتوّ إلى غرفته."

فالفعل المضارع «**يلعبُ**» في هذا المثال لا يدلّ بالضرورة على جهة التكرار، رغم كونه مسبوقا بــ "كان"، وإنّما كان مقصود الابن أن يخبر أمّه فقط أنّ أخاه الصّغير كان يلعب مع صديقه، حتى تطمئنّ عليه.

***جهة التّحوّل في الزّمن الماضي:** وهي تعني هنا أنّ الحدث قد عرف تحوّلا من حالة إلى أخرى، في نقطة زمنية معيّنة من الماضي، وذلك باستخدام الفــعل المضارع، وقد سبق الإشارة إلى بعض من الأفعال التي تؤدي هذه الجهة في اللغة العربية، كبعض أخوات «كان» وبعض الأفعال التي تدلّ على اللون، وغيرها من الأفعال الأخرى، نحو قولك:

"كان الحقلُ **يصفرُ** في الصيف، و**تتحوّلُ** سنابلُه إلى سبائكَ من ذَهَبٍ، معلنةً بذلك بدأ موسم الحصادّ."

فالفعلان المضارعان «**يصفرُّ**» و«**تتحوّلُ**» يدلان على الزّمن الماضي لأنّهما سُبقا بــ«كان»، ويدلان من حيث الجهة على التّحوّل، لأنّهما يُبيّنان الحال الجديدة التي طرأت على الحقل، بتحولّه من اللون الأخضر الذي هو علامة على عدم النّضج إلى اللون الأصفر، الذي هو علامة على النّضج، وبالتّالي تكون الدّلالة الزّمنية لهذين الفعلين هي الزّمن **الماضي المتحوّل.**

ونضربُ مثالا آخر عن جهة التّحوّل في الزّمن الماضي، باستخدام الفعل المضارع النّاقص، نحو قولك:

"وتمرّ السّنوات، و**يُصبحُ** هذا الولدُ الصغير لاعبا مشهورا تهتف الجماهيرُ باسمه في كلّ أنحاء الملاعب."

فالفعل المضارع الناقص «**يُصبحُ**» يدلّ في هذا المثال على الزّمن الماضي؛ لأنّه جاء في سياق سرد الأحداث الماضية وهو، من حيث الجهة، يدلّ على التّحوّل؛ أي أنّ

هذا الولد قد تحوّل وتغيّر واقعه من حال إلى أخرى، بفعل الشهرة التي أصبح يتمتّع بها بين كلّ الجماهير، وبالتالي تكون الدّلالة الزّمنية لهذا الفعل هي **الماضي المتحوّل** أيضا.

***جهة البدء في الزّمن الماضي:** وهي تعني هنا أنّ حدثا قد ابتدأ في نقطة زمنية معيّنة من الزّمن الماضي، وهناك طريقتان للتعبير عن هذه الجهة في الزّمن الماضي باستخدام الفعل المضارع؛ وهما:

– إمّا أن يأتي الفعل المضارع مسبوقا بأحد أفعال الشّروع، كـطَفِقَ يَفْعَلُ وأخذ يَفْعَلُ...الخ[1]، نحو قولك:

" شرعت الحكومة –منذ أيام– **تضبطُ** قوائم المترشحين للانتخابات."

فالفعل المضارع «**تضبطُ**» يدلّ هنا على الزّمن الماضي؛ لأنه سُبِق بعبارة "منذ أيام"، ومن حيث الجهة يدلّ على البدء والشروع، لأنّه سُبق بفعل الشّروع «**شرع**» وبالتالي تكون دلالته الزّمنية هي **الماضي البدئي** أو **الشروعي**.

ونشير هنا إلى أنّه لا بدّ في هذه الحالة أن تشتمل الجملة على قرينة تدلّ أن الفعل المضارع قد حدث في الزّمن الماضي، مثل عبارة "منذ أيام" في المثال السّابق؛ لأنّ "المقصود من هذه الأفعال –أي أفعال الشّروع– وقوع الخبر في الحال"[2] مثلما أشرنا إليه سابقا، وبالتالي تحتاج إلى قرينة تصرفُها إلى الزّمن الماضي.

– أن نستخدم فعلا من الأفعال التي فيها معنى البدء والشّروع بصيغة المضارع مثل: يبدأ– يشرع– يبتدأ– ينطلق...الخ، وفي هذه الحالة لا يُسمّى الفعل فعل الشروع؛ لأنّ أفعال الشّروع "كلها ملازمة صيغة الماضي"[3]، مع ضرورة اقتران هذه الأفعال المضارعة بقرينة تصرفها إلى الزّمن الماضي، نحو قولك:

"كان الشيخ –رحمه الله– يصلي الفجر، ثم **يبدأ** في تحفيظ القرآن للطلبة الصّغار."

ونحو قولك:

---

[1]– ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص245.

[2]– مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ص390.

[3]– المرجع نفسه، ص391.

"كان المهرجان **ينطلقُ** في بداية الرّبيع، ويمتدُّ لشهر أو أكثر بقليل."

فالفعلان المضارعان «**يبدأ**» و«**ينطلق**» يدلان في المثالين السّابقين على الزّمن الماضي، لأنّهما سُبقا بـــ "كان"، ويدلان من حيث الجهة، على البدء والشروع؛ أي بدءُ حدثين في الزّمن الماضي، هما تحفيظ القرآن والمهرجان على التّوالي، وبالتّالي تكون دلالتهما الزّمنية هي **الماضي البدئي** أو **الشّروعي**.

* * *

الفصل الثالث

فعل الأمر ودلالته الزّمنية في اللغة العربية

فعل الأمر ودلالته الزّمنية في اللغة العربية: فعل الأمر هو ثالثُ ثلاثةٍ من الأفعال المُشكِّلةِ لمنظومة الفعل في اللغة العربية، وتسميّته بفعل الأمر ليس له علاقة بالزّمن الذي يدلّ عليه، وإنّما هذه التسمية متعلّقة بنوعية الخطاب الذي ينشأُ عن استخدام فعل الأمر؛ "فالأمر هو قول القائل لمن دونه: افعل"[1] ويفصّل ابن يعيش القول في الحالات التي يُستخدم فيها أسلوب الأمر في اللغة العربية بقوله: "اعلم أنّ الأمر معناه طلب الفعل بصيغة مخصوصة، وله ولصيغته أسماء بحسب إضافاته، فإن كان من الأعلى إلى من دونه قيل له أمر، وإن كان من النظير إلى النظير قيل له طلبٌ، وإن كان من الأدنى إلى الأعلى قيل له دعاء♥"[2] ومن هنا نستنتج أنّ تسمية فعل الأمر ليس لها ارتباط بالمعيار الزّمني للفعل، وإنّما هي مرتبطة بنوعية الخطاب القائم بين المُخاطِب والمخاطَب أثناء استخدام هذه الصيغة التي أطلق عليها النّحاة فعــل الأمر ولعل هذا ما أدى إلى خلق نوع من الإشكال في الدلالة الزّمنية لفعل الأمر، بل حتى الماضي والمضارع، وهو ما يؤكده إميل بديع يعقوب في موسوعته، ناقدا المعايير التي اعتمدها النحاة في الاصطلاح على الأفعال، إذ يقول: "سُمي الفعل الماضي ماضيا لدلالته على الزّمن الماضي، فمعيار تسميته معيار زمني، وسمي الفعل المضارع مضارعا لمضارعته (أي مشابهته) اسم الفاعل في الحركات والسكنات، فمعيار تسميته معيار مشابهة وتشبيه، وسمي فعل الأمر أمرا لدلالته على الأمر، فمعيار تسميته معيار دلالي معنوي. وهكذا تعدّدت التسميات وتعدّدت معها معايير التسمية، فكان لكل تسمية معيار خاص بها، وهذا مناف للمنهج العلمي الذي يرتكز على معيار واحد في التصنيف، ولو اتّخذ النّحاة معيارا واحدا في التسمية، لقالوا الفعل الماضي، والفعل الحاضر المستمر وفعل المستقبل."[3] وهو – في رأيي– محق فيما ذهب إليه؛ لأنّ اختلاف معايير التصنيف في

---

[1]– علي بن محمد الجرجاني، التّعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، ط4. بيروت: 1418هـ/1998م، منشورات دار الكتاب العربي، ص53.

♥– نشير هنا إلى أنّ الدّعاء في الشّرع عبادة، والعبادة لا يجوز صرفها إلاّ لله، لأنّ صرفها لغيره شرك وبالتالي لا ينبغي أن نُطلق لفظ الدّعاء على طلب الفعل الذي يكون من الأدنى إلى الأعلى، إذا كان المقصود بالأعلى غير الله، مثلما قد يُفهم من كلام ابن يعيش، يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "الدّعاء لا يكون إلاّ لما يُوجّه إلى الله –عزّ وجلّ– أمّا بالنّسبة لما يُوجّهُ للمخلوق فينبغي أن نسمّيه رجاءً؛ تحاشيا للفظ دعاء، لئلا نقول: هذا دعاء وُجّه لمخلوق، فمثلا إذا قلنا لإنسان أكبــر منّا: «افعل كذا وكذا» فهذا رجاءٌ." (محمد بن صالح العثــيمين، شرح البلاغة، ص89.)

[2]– ابن يعيش، شرح المفصل، ج7، ص58.

[3]– إميل بديع يعقوب، موسوعة علوم اللغة العربية، ج7، ص114.

المسألة الواحدة، يفتح الباب للخلاف وتعدّد الآراء، ويقلل من علمية وموضوعية الدراسة والبحث.

وذهب النّحاة إلى القول بأنّ فعل الأمر في الأصل مأخوذ من الفعل المضارع وذلك بحذف حرف المضارعة في أوّله، يقول ابن يعيش: "وهو الذي على طريقة المضارع للفاعل المخاطب، لا يخالف بصيغته صيغتَه إلاّ أن تنزع الزائدة فتقول في تضعُ ضعْ، وفي تُضارِبُ ضَارِبْ، وفي تُدحرجُ دَحْرِجْ ونحوها ممّا أوله متحرك، فإن سكن زِدْتَ لئلا تبتدئ بالساكن همزةَ وصلٍ، فتقولُ في تضربُ اضربْ، وفي تنطلقْ وتستخرجْ انطلقْ واستخرجْ..."[1] وهذا الرأي نجده عند البصريين والكوفيين، ولكنهم اختلفوا في الإعراب والبناء؛ حيث "ذهب الكوفيون إلى أنّ فعل الأمر ... معرب مجزوم وذهب البصريون إلى أنّه مبني على السكون."[2] ولكلّ فريق رأيه وحجته في ذلك، فقد احتجّ الكوفيون بأن قالوا: "إنّما قلنا إنه معرب مجزوم؛ لأنّ الأصل في الأمر للمُوَاجَهِ في نحو: افعلْ لتفعلْ، كقولهم في الأمر للغائب: ليَفْعلْ، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خيرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾... وقد جاء في الحديث: «ولْتَزُرَّهُ ولو بشَوكةٍ» أي: زُرْهُ، وجاء عنه – صلوات الله عليه – أنه قال في بعض مغازيه: «لِتأْخُذُوا مَصَافَّكُم» أي: خُذُوا، وقال صلوات الله عليه مرة أخرى: لِتقُومُوا إلى مصَافّكم، أي: قوموا."[3] ومن هنا يتبين أن الأصل في الأمر – حسب الكوفيين – يكون باستخدام الفعل المضارع الذي اتّصلت به لام الأمر، نحو: لتخرجْ لتدخلْ، وهي الطريقة نفسها المعتمدة عند استخدام الأمر مع الغائب نحو قولك: ليخرجْ ليدخلْ....إلخ، "إلاّ أنه كثر استعمال الأمر للمُوَاجَه♥ في كلامهم، وجرى على ألسنتهم أكثر من الغائب فاستثقلوا مجيء اللام فيه مع كثرة الاستعمال فحذفوها مع حرف المضارعة طلبا للتخفيف"[4] فتحولت صيغة «لتفعلْ» إلى «افعلْ» وذلك من باب التخفيف على المتكلم، كما أنّ "قرينة المواجهة تُؤشر للمأمور المُخَاطب، وتُغني عن القرينة المقالية المتمثلة في حرف المضارعة الدال على

---

[1]– ابن يعيش، شرح المفصل، ج7، ص58.

[2]– أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، تح: جودة مبروك محمد مبروك، ط1. القاهرة: دس، مكتبة الخانجي للطباعة، ص 414.

[3]– المصدر نفسه، ص414–415.

♥– المقصود بالمُواجَه هنا أي المخُاطَب، وهو اصطلاح مُعْتَمَدٌ في مصنفات النحاة القدماء.

[4]– أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ص415–416.

الخطاب."[1] ومن هنا اعتبر الكوفيون فعل الأمر معربا مجزوما بناء على أصله الذي أُخذ منه وهو الفعل المضارع.

أمّا الفريق الآخر– ونعني به البصريين – "فاحتجوا بأن قالوا: إنّما قلنا إنه مبني على السكون لأنّ الأصل في الأفعال أن تكون مبنية، والأصل في البناء أن يكون على السكون، وإنّما أُعرب ما أُعرب من الأفعال، أو بُني منها على فتحة، لمشابهة ما بالأسماء، ولا مشابهة ما بين فعل الأمر والأسماء، فكان باقيا على أصله في البناء."[2]

واختلف النحاة أيضا في تصنيف فعل الأمر، بين قائل بأن فعل الأمر مستقل بنفسه، ويشكل مع الفعلين الماضي والمضارع منظومة الأفعال في اللغة العربية، وهذا قول البصريين، ورأي آخر يرى أنّ فعل الأمر تابع للفعل مضارع، ولا يستقل بنفسه كفعل، وهذا رأي الكوفيين الذين يقسمون الفعل في اللغة العربية إلى ثلاثة أقسام هي: الماضي والمضارع – ويدخل فيه فعل الأمر – والفعل الدائم؛ ويقصدون به اسم الفاعل وهو مبحث سنتناوله في الفصل الأخير من هذه الرّسالة، إن شاء الله.

وفي ظل هذين القولين نجد آراء أخرى لبعض النّحاة لهم نظرتهم الخاصة بتقسيم الفعل في اللغة العربية، ويمكن أن نلخص أهم تلك الآراء في الجدول التالي[3]:

صاحب الرأي	التسمية	الصيغة
البصريون	الماضي المضارع الأمر	فعلَ يفعلُ افعلْ
الكوفيون	الماضي الحاضر الدائم	فعلَ يفعلُ فاعل
	الماضي	فعلَ

[1]– نعيمة الزهري، الأمر والنهي في اللغة العربية. المغرب: دس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ص46.

[2]– أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ص421.

[3]– ينظر: كمال رشيد، الزّمن النّحوي، ص32 (بتصرف).

الزجاجي	الدائم المستقبل	يفعلُ (الآن) يفعلُ (غدا)
السيوطي	الماضي المضارع الأمر	فعلَ يفعلُ افعلْ
الفراء	الماضي الحاضر الدائم	فعلَ يفعلُ فاعل (العامل)

ومن خلال هذا الجدول نلاحظ أنّ الفعل الماضي هو الفعل الوحيد الذي اتّفق حوله النّحاة، وصيغته هي «فَعَلَ» أمّا صيغة «يفعلُ» فهي تسمى عند البصريين ومعهم السيوطي (المتوفى 911هـــ) بصيغة المضارع، وتسمى عند الكوفيين ومعهم الفراء (المتوفى 207هـــ) بصيغة الحاضر، وتسمى عند الزجاجي (المتوفى 340هـــ) بصيغة الفعل الدائم بشرط اقترانها بقرينة «الآن» وهو ظرف زمان دال على الحاضر، أمّا فعل الأمر – وهو ما يهمّنا هنا– الذي صيغته «افعلْ» فتسمى عند البصريين، ومعهم السيوطيّ، بصيغة الأمر، ولكنّ الكوفيين ومعهم الفرّاء ينكرون فعل الأمر، ويعتبرونه مقتطَعا من الفعل المضارع، وقد استخدموا مكانه صيغة «فاعل» وأطلقوا عليها تسمية الفعل الدائم، وقد اشترط الفراء في هذه الصيغة أن تكون عاملة؛ أي ترفع الفاعل وتنصب المفعول به وما إلى ذلك، أمّا الكوفيون فلم يشترطوا فيها ذلك. وصيغة «فاعل» مثلما هو معروف أنكر البصريون كونَها تنتمي إلى منظومة الفعل في اللغة العربية واعتبروها اسما مشتقا، وأطلقوا عليها تسمية اسم الفاعل. ويبقى أن نعلّق هنا أيضا على صنيع الزّجاجي الذي خالف البصريين والكوفيين، واستخدم صيغة «يفعلُ» مقرونة بظرف الزمان «غدا» وأطلق عليها صيغة المستقبل.

وكما اختلف النّحاة في إعراب فعل الأمر وبنائه، وفي تصنيفه بين منظومة الأفعال في اللغة العربية، فإنّهم اختلفوا أيضا في الدلالة الزّمنية له، ويمكن أن نقسم هذه الآراء إلى أربعة أقسام كما يلي:

***الـــرأي الأول:** يرى أصحاب هذا الرأي أن فعل الأمر دال على الزّمن المستقبل، وممن ذهب إلى هذا الرأي سيبويه الذي اعتبر فعل الأمر لم يقع بعد في الزّمن، يقول في

كتابه: " وأمّا بناء ما لم يقع فإنّه قولك آمرا: اذهبْ واقتلْ واضربْ"[1] وهو ما أكّده السيرافي (المتوفى 368هـــ) في شرحه لكتاب سيبويه حين أكّد أنّ فعل الأمر يدلّ على الاستقبال، لكنه ينقص عن منزلة نظائره من الأفعال المستقبلية[2] والمقصود بالأفعال المستقبلية هنا هي الأفعال المضارعة، وتبني أيضا هذا الرأي الفارسي (المتوفى 377هـــ) حيث يقول: "وممّا يختصّ بالاستقبال من هذه الأمثلة جميع أفعال الأمر."[3] وابن جني (المتوفى 392هـــ) الذي يرى أنّ "جميع أفعال الأمر والنهي تدل على المستقبل"[4]، وابن يعـــيش (المتوفى643هـــ) الذي يقول: "لمّا كان زمن الأمـــر المستقبل، أُخذ من اللفظ الذي يدلّ عليه وهو المضارع"[5] وابن مالك (المتوفى 672) الذي يقول في كلامه عن الدلالة الزّمنية لفعل الأمر: "لمّا كان الأمر مطلوبا به حصول ما لم يحصل كقوله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ ودوام ما حصل كقوله تعالى:﴿يأيُّها النَّبيُّ اتَّقِ الله﴾ لزم كونه مستقبلا، وامتنع اقترانه بما يخرجه عن ذلك."[6] والسّيوطي (المتوفى 911هـــ) حيث يقول: "والأمر مستقبل أبدا؛ لأنّه مطلوب به حصول ما لم يحصل، أو دوام ما حصل"[7] والأشموني (المتوفى 929هـــ) الذي يرى أنّه من "المناسب أن يكون للحال صيغة تخصصه، كما أنّ للماضي صيغة الفعل الماضي وللمستقبل صيغة فعل الأمر"[8] كما هناك طائفة أخرى من النحاة ساروا على هذا الرأي لا يسمح المقام لذكرهم هنا جميعا.

وهناك أيضا طائفة من الدارسين المعاصرين ساروا على هذا الرأي؛ منهم الدكتور عباس حسن الذي يقول عن الزّمن الذي يتحقّق فيه فعل الأمر إنّه "مقصور على المستقبل وحده؛ لأنّ الشيء الذي يطلبه إنسان من آخر لا يحصل ولا يقع إلاّ بعد الطلب وانتهاء

---

[1]– سيبويه، الكتاب، ج1، ص38.

[2]– أبو سعيد السيرافي، شرح كتاب سيبويه، تح: رمضان عبد التواب وآخرون، دط. مصر: 1986م، منشورات الهيئة العامة المصرية للكتاب، ج1، ص87.

[3]– أبو علي الفارسي، المسائل العسكريات، تح: إسماعيل عمايرة، دط. الأردن: 1981م، منشورات الجامعة الأردنية، ص38.

[4]– ابن جني، اللّمع في العربية، ص28.

[5]– ابن يعيش، شرح المفصل، ج7، 114.

[6]–ابن مالك، شرح التسهيل، تـــح: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، ط1. مصر:1410هـــ/1990م منشورات دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ج1، ص17.

[7]– جلال الدين السيوطي، همع الهوامع،ج1، ص23.

[8]–أبو العرفان محمد بن علي الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني، تح: عبد الحميد هنداوي، ط1. بيروت:1425هـــ /2004م، منشورات المكتبة العصرية صيدا، ج1، ص86.

الكلام؛ أي لا يقع إلاّ في المستقبل."[1] والدكتور السيد أحمد الهاشمي الذي يرى أنّ الأمر هو "ما يُطلب به حدوث شيء في الاستقبال نحو: اسمع وهات وتعالَ."[2] وعبد الصبور شاهين الذي يرى أنّ "الأمر يعني الطلب، وهو لا يكون إلاّ في المستقبل."[3] والدكتور أسعد علي الذي الذي يرى أنّ الأمر "يكون أمرا عندما يتّجه معنى الحدث إلى مستقبل يجيء بعد زمن التكلم."[4] وهناك طائفة أخرى أيضا من الدارسين المعاصرين أخذوا بهذا الرأي.

***الــرّأي الثاني:** ذهب أصحاب هذا الرأي إلى أنّ فعل الأمر يدلّ على زمن الحال أو ما يسمى بالحاضر، وقد ذكر الدكتور عصام نور الدين في كتابه «الفعل والزّمن» طائفة من النحاة والدارسين الذين يرون هذا الرأي.[5] ويبدو أنّ هذا الرأي لا يمكن استساغته بسهولة، إذ إذ لا يمكن أن يكون الأمــر دائما دالا على الزّمن الحاضر وهو يأتي في الغالب طلبا لحصول شيء بعد زمن التكلم، أي المستقبل، لهذا نجد الكثير من الدارسين المعاصرين يرفضون فكرة قصر فعل الأمر على زمن الحال فقط، يقول الدكتور إبراهيم أنيس في ردّه على أصحاب هذا الرأي: "بل حتى الأمر الذي لا يكادون يختلفون في تخصيص زمنه بالحال، لا نستطيع أن نتصور اختصاصه بمثل هذا الزّمن إنّما نلمح فيه غالبا المستقبل القريب أو البعيد؛ ففي قوله تعالى يأمر موسى وأخاه: ﴿اذْهَبَا إلى فرعَونَ إنَّهُ طَغَى﴾ لا نستطيع أن نتصور أنّ حدث الذهاب إلى فرعون قد تمّ في زمن التكلم كما يقول النّحاة."[6] ونحن نرى أنه محق فيما ذهب إليه.

***الــرأي الثالــث:** يقوم هذا الرأي على فكرة الجمع بين الرأيين السابقين؛ أي أنّ فعل الأمر يدلّ على الزّمن الحاضر كما يدلّ على الزّمن المستقبل، وذلك حسب السياق الذي يرد فيه، وما يعرض له من قرائن مختلفة في الكلام، وقد تبنى هذا الرأي معظم النحاة

---

[1]– عباس محمود حسن، النّحو الوافي، ج1، ص46.

[2]– أحمد الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية حسب منهج متن الألفية لابن مالك، دط. مصر1434هـ/ 2013م، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ص26.

[3]–عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، دط. بيروت: 1980م، منشورات مؤسسة الرســالة، ص61.

[4]–أسعد علي، أساسيات النحو العربي، ط1. دمشق:1400هـ/1980م، دار السؤال للطباعة والنشر، ص75.

[5]– ينظر: عصام نور الدين، الفعل والزمن، ط1. بيروت: 1984م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، والتوزيع، ص93.

[6]– إبراهيم أنيس، من أسرار العربية، ط6.مصر: 1978م، مكتبة الأنجلو المصرية، ص175.

البصريين، "ويظهر هذا في إعطائهم كلا من المضارع والأمر دلالتين زمانيتين هما الحال والاستقبال، ثم تركوا لكلّ سياق صلاحية أيّ الدلالتين الزمنيتين هي المقصودة."[1]

وقد تبنى هذا الرأي أيضا طائفة من الدارسين المعاصرين من أشهرهم الدكتور تمام حسان الذي يقول: "فالحال أو الاستقبال هما معنى الأمر بالصيغة، والأمر باللام"[2] ويقصد بالأمر بالصيغة صيغَ فعل الأمر المختلفة، نحو: افعلْ، استفعلْ، أفعِلْ...الخ والأمر باللام يقصد به صيغة المضارع المتصل بلام الأمـــر، نحو: لتفعلْ لتستفعلْ...إلخ.

ونحن نرى أنّ هذا الرأي، الذي جمع فيه أصحابه بين دلالتين زمنيتين لفعل الأمر هما الحال والمستقبل، هو الأقرب إلى الصواب، وهو الذي نميل إليه أكثر في هذه الرّسالة.

***الـــرأي الرابع:** وهذا الرأي يقوم على فكرة نفي الدلالة الزّمنية عن فعل الأمر، إذ يرى أصحاب هذا الرأي أنّ فعل الأمر يدلّ على مجرد الطلب، ويأتي الأصوليون على رأس الفريق الذي تبنى هذا الرأي[3]، حيث جعلوا دلالة فعل الأمر تنصبُّ على إفادة الطلب الذي يخرج إلى معان مختلفة كالوجوب والاستحباب والإباحة والإرشاد والتهديد ...إلخ.

وتبنى هذا الرأي الكثير من الدارسين المحدثين، إذ يرى هؤلاء "أنّ صيغة الأمر مفرّغة من الزّمان، إذ أنّها تختصّ بأسلوب الإنشاء"[4] منهم الدكتور مالك يوسف المطلبي الذي الذي يقول بعد حيث طويل عن فعل الأمر: "وهكذا نخلص إلى أنّ صيغة الأمر صيغة فعلية مفرغة من الزّمن."[5] والدكتور إبراهيم السامرائي، الذي تبنّى مذهب الكوفيين برفضهم أن يكون فعل الأمر قسيما للماضي والمضارع في منظومة الفعل العربية، إذ يقول: "ويبدو لنا أنّ الكوفيين على حقّ في إبعاد الأمر أن يكون قسيما للماضي والمستقبل، وذلك أنّ فعل الأمر طلبٌ، وهو حدث كسائر الأفعال، غير أنّ دلالته الزّمنية عير واضحة، ذلك أنّ الحدث في هذا الطلب غير واقع إلاّ بعد زمن التكلم، وربما لم يترتب على هذا الطلب أن يقع حدث من

---

[1]– كمال رشيد، الزمن النحوي، ص28.

[2]– تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص250–251.

[3]– ينظر: بكري عبد الكريم، الزّمن في القرآن الكريم، ط2. الجزائر:1999م، دار الفجر للنشر والتوزيع، ص31 وما بعدها.

[4]– هاني البطاط، "مقولة الزمن الدلالة والقرينة"، مجلة جامعة الخليل للبحوث، ص193.

[5]– مالك يوسف المطلبي، الزمن واللغة، ص123.

الأحداث."[1] وذهب أيضا إلى هذا الرأي الدكتور أحمد عبد الستار الجواري الذي يرى أنّ " صيغة فعل الأمر بالبداهة لا تدلّ على معنى زمني، وإنّما مدلولها طلب وقوع الفعل، فهي إذن لا تشتمل على معنى الفعل بشطريه الحدث والزّمن."[2]

هذا إذن جانب من الخلاف وتعدد الآراء بين النحاة والدارسين حول فعل الأمر قديما وحديثا، وقد تعمدنا إطالة النفس قليلا للحديث عن هذه الخلافات، وذلك لنصل إلى نتيجة مفادها أنّ فعل الأمر هو أفقر الأفعال من ناحية الدلالة الزّمنية، بدليل أنّ بعض الدارسين ينفون دلالته على الزّمن كليّا مثلماّ رأينا آنفا، كما أنّ الجهات الزّمنية التي يعبر عنها هذا الفعل قليلة جدا إذا ما قارناه بالفعلين الماضي والمضارع.

وسنُحاول الآن، أن نتتبّع مختلف الدّلالات الزّمنية التي يمكن تحقيقيها باستخدام فعل الأمر، وذلك بالتركيز على شعر نزار قباني تارة، والاستعانة بشواهد وأمثلة أخرى من خارج شعره تارة أخرى؛ عندما لا نجد في شعره سبيلا إلى إيجاد المثال المناسب للحالة الزّمنية المدروسة.

---

[1]– إبـــراهيم السامرائي، الفـــعل زمانه وأبنيته، ط 2. بيروت: 1403هـــ /1983 م، مؤسســـة الرســـالة، ص 21–22.

[2]– أحمد عبد الستار الجواري، نحو الفعل، ص30.

1)**دلالة فعل الأمر على الزّمن الحال المطلق:** يدل فعل الأمر على الزّمن الحاضر المطلق عندما يأتي عادة مقترنا بظرف من ظروف الزّمن الحاضر مثل: افعل الآن،[1] وذلك دون أن يتقيّد بجهة من الجهات الزّمنية المختلفة، ومن ذلك أيضا قول السّجان للمسجون مخاطبا: **اِمْشِ أَمَامِي الآنَ.** ففعل الأمر «امش» يدلّ هنا على الزّمن الحاضر لأنّه جاء مقترنا بظرف الزّمان «الآن» الذي يدل على الحاضر، وفعل المشي لم يتقيّد هنا بجهة معينة، فمشي السجين قد يستمر طويلا، وقد ينقطع بعد لحظات فالسياق هنا لا يربط الفعل بجهة زمنية معيّنة، وبالتالي يكون فعل الأمر «امش» هنا دلا على الزمن **الحاضر المطلق.**

وقد يدلّ فعل الأمر أيضا على الزّمن الحاضر المطلق دون أن يأتي مقيّدا بظرف من ظروف الزمان التي تدل على الحاضر، وإنّما السياق وحده كفيل بإعطاء الفعل هذه الدلالة الزمنية، ونمثّل لذلك بقول نزار قباني في قصيدته الرائعة غرناطة:

ومشيتُ مثلَ الطفلِ خلفَ دليلتي

ووراءيَ التاريخُ كومُ رمادِ

الزخرفاتُ أكادُ أسمعُ نبضَهَا

والزّركشاتُ على السقوفِ تُنادي

قالتْ: هنا الحمراءُ زَهْوُ جُدودنَا

فاقْرأْ على جُدرانِهَا أمْجادِي[2]

فنزار في هذه القصيدة – مثلما هو معروف – يتخيل نفسَه أنّه التقى بحفيدة له من الأندلس، فاصطحبته في جولة إلى قصر الحمراء بغرناطة، فأخذتْ تُعرّفه بمختلف أجنحة هذا القصر الشامخ، وطلبت منه أن يقرأ على جدران هذا القصر أمجاد قومها من الإسبان، وهي تجهل أن هذا القصر قد شيده أجداد الشاعر من المسلمين، فحزن نزار كثيرا؛ لأنّ هذه الفتاة لا تعرف حقيقة هذا القصر، وارتباطه بالتاريخ الكبير الذي صنعه المسلمون في الأندلس.

[1]– ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص251.

[2]– نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج1، ص568.

وفعل الأمر «اقرأْ» الوارد في السطر الأخير يدل على الزمن الحاضر، لأنّ الفتاة طلبت من الشاعر أن يقرأ تلك الأمجاد في الوقت نفسه الذي تحدّثه فيه، كما أنّ الفعل هنا اتصل بالفاء التي الفورية والتعقيب، أي أنّ فعل القراءة سيتزامن مع الزمن الذي تحدثه فيه الفتاة، فالشاعر سيقلب نظره في الجدران ومتأملا في تلك الأمجاد، وهي تشرح له، وتطلب منه القراءة، لأنها تلعب دور المرشدة أو الدليلة السياحية مثلما أشار إلى ذلك الشاعر في السطر الأول من المقطوعة. وفعل القراءة لم يتقيد هنا بجهة زمنية معينة، فهو يمكن أن يطول كما يمكن أن ينتهي بسرعة، وينتقلان معا لزيارة جناح آخر من القصر، وبالتالي كانت الدلالة الزمنية لفعل الأمر«امش» في هذه القصيدة هو الزمن **الحاضر المطلق**.

ولعلّ قائل يقول إنّ أفعال الأمر في الأمثلة التي قدمناها هنا تدلّ على الزمن المستقبل، لأنها وقعت بعد زمن التلفظ بالفعل، فيجيبنا الدكتور بكري عبد الكريم عن هذه المسألة بقوله: "إنّ فعل الأمر كثيرا ما يأتي مقترنا بالحدث، منظويا في الظرف الزمني الذي وقع فيه الحدث، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾(يس:82) وقوله عزّ وجلّ : ﴿ يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾(الأنبياء:69) وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ (فصلت:11). ومن أمثلتنا على ذلك قولك: رأينا الوالدَ يدفع ابنه إلى الداخل قائلا له «ادخلْ». فليس هناك أوضح من هذه الأمثلة على تحقّق الحدث مع الفعل في زمن واحد، على أنه ليس من شأن اللغة – أية لغة– ولا من طبيعتها أن تتابع الحدث، وقع أم لم يقع."[1] ومن هنا يتبيّن لنا أنّ السياق وحده هو الكفيل بإعطاء الفعل الدلالة الزمنية التي يدلّ عليها.

[1]– بكري عبد الكريم، الزمن في القرآن الكريم، ص76.

2)**دلالة فعل الأمر على الزّمن الحال المقيد:** قد يتقيّد فعل الأمر الدال على الزمن الحاضر بجهة من الجهات الزمنية، رغم أنّ ذلك قليل جدا مقارنة بالفعل الماضي أو المضارع؛ لأنّ الأمر هو طلب القيام بشي، والزمن الحاضر مساحته محدودة جدا♥ وبالتالي يصعب أن يكون هناك تنوع جهيّ لفعل الأمر، وسنحاول هنا أن نذكر بعضا من الجهات التي يتلبس بها عند دلالته على الزمان الحال، وذلك كما يلي:

***جهة التّمام في الزّمن الحال:** ونضرب مثالا على ذلك بقول نزار قباني:

قُولي أحبُّكَ كي يتمَّ تحوُّلي

فأصيرَ قمْحًا أو أصير نخيلا

الآن قُولِيهَا ولا تتردّدي

بعضُ الهوى لا يقبلُ التّأجيلا[1]

فنزار هنا يطلب من حبيبته أن تصرّح له بحبها له؛ لأنّ ذلك يمثّل له الكثير، إلى درجة أنه تصوّر نفسه سيتحوّل إلى قمح ونخيل، إن هي اعترفت له بحبها له علانية وفعل الأمر «قُولي» الوارد في السطر الثالث يدل على الزمن الحال؛ لأنه اقترن بظرف الزمان «الآن» كما أنّ قوله "بعضُ الهوى لا يقبلُ التّأجيل" يدلّ على أنّ الشاعر يريد من محبوبته أن تعترف له بحبها له في الحال، ولا يريد تأجيل الأمر إلى الزمن المستقبل. أمّا من حي الجهة فهو يدلّ على التمام، لأنّ فعل القول ينتهي بمجرد أن تقول له «أُحبّك» ومن هنا تكون الدّلالة الزمنية لفعل الأمر «قُولي» هو **الزمن الحال التام.**

***جهة الاستمرار في الزّمن الحال:** ونعني بها هنا أنّ فعل الأمر حاصل في الزمن الحاضر ومستمر إلى الزمن المستقبل، ونضرب مثالا على ذلك بقوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾(الأحزاب: 01) فالله –عز وجل– يخاطب نبيّه هنا، ويأمره بالتزام التقوى، وينهاه عن طاعة الكفار وأهل النفاق. وفعل الأمر «اِتّــق» في هذه الآية يدلّ على الزمن الحاضر، لأنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– مطالبٌ

♥– نذكّر هنا بأنّ بعض النّحاة ينفون أصلا وجود الزمن الحاضر، ويقسمون الأزمنة في اللغة إلى ماض ومستقبل فقط، وقد فصّلنا القول في هذه المسألة في الفصل التمهيدي من هذه الرسالة.

[1]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص203.

بالتزام التقوى في الوقت الذي كان الله –عز وجلّ– يخاطبه فيه ويأمره بالتقوى، كما أنه مطالبا بالثبات والاستمرار على هذه التقوى في المستقبل، وذلك امتثالا لقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾(الحجر:99) وبالتالي يكون زمن الفعل «اِتــّق» هو الحال، وجهته هي الاستمــرار؛ أي أنّ دلالــته الزّمنية هي زمن **الحال المستمر**.

وقد توسع المفسرون، أثناء تفسيرهم لهذه الآية، في الدلالة الزمنية للفعل «اتّــق» إذ وجدوا "أنّ سياق الآية يبيّن أنّ الأمر بالتقوى للنبي – صلى الله عليه وسلم– إنّما هو على سبيل الاستمرار والاستزادة، وعلى ذلك يكون زمن فعل الأمر «اتّــق» الزمن الذي يسع الماضي والحاضر والمستقبل."[1] فالنبي – صلى الله عليه وسلم– كان متقيا لربه قبل نزول هذه الآية، واستمر على هذه التقوى أثناء نــزول هذه الآية عليه كما سيستمرُّ في تقوى ربه بعد نزول هذه الآية حتى يتوفاه الله –عزّ وجلّ– وهو على ذلك.

ونضرب مثلا لهذه الجهة من شعر نزار قباني، وذلك في قوله:

يا التي اخْتزَنتْ بعينيْهَا بحيرات الجنوبْ

ظَلِّي معي...

حتى يظلّ البحرُ محتفظا بزُرْقَتِهِ

ويبقى الخوخُ محتفظا بنُكهَتِهِ[2]

فنزار في هذه الأسطر الشعرية يترجّى حبيبته أن تظلّ معه، فهي له بمثابة الزرقة للبحر، والنكهة للخوخ، فأيّ شيء يبقى من جمال البحر إن ذهبت زرقتُه؟ وأيّ شيء يبقى من لذّة الخوخ إن ذهبت نُكهتُهُ ؟

وفعل الأمر «ظَلّي» يدلّ على الزمن الحال؛ لأنّ محبوبته موجودة معه، بدليل أنّه يحدّثها، ويطلب منها أنّ تظل معه، أمّا جهه الفعل فهي الاستمرار، لأنّ الشاعر يطلب منها أتظل معه في الحاضر، وأن تستمر على ذلك في المستقبل، وبالتالي تكون الدلالة الزمنية للفعل «ظَلّي» هي الزمن **الحال المستمر**.

[1]– بكري عبد الكريم، الزمن في القرآن الكريم، ص25.

[2]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص35.

ونجد نفس هذه الدلالة الزّمنية تتكرر في قوله مخاطبا حبيبته:

يا التي تَحْتَلُّني شرقا وغربًا

ويمينا وشمالاً

اسْتمرِّي في احْتلالي[1]

فنزار هنا يشبّه حبّ حبيبته له بالاستعمار، ورغم أنّ الاستعمار شيء مذموم، إلاّ أنّ الشاعر يتلذّذ به، ويدعو حبيبته إلى لمواصلة في هذا الاستعمار، وفعل الأمر «استمرّي» يدّل هنا أيضا على الزمن **الحال المستمر**.

***جهة البدء في الزّمن الحال:** وهي تعني أن فعل الأمر قد تمّ البدء والشروع فيه في الزّمن الحال، ونستعمل –عادة – للتعبير عن هذه الجهة أفعال الشروع التي تقبل التصرف في الأمر، لأنها تدلّ على الزمن الحال[2]، نحو قولنا:

– **اِبْدأْ** فورا بمراجعة دروسك.

– **قُمْ** بالأمر حالا.

– **اِشْرعْ** في تنفيذ الأمر الآن.

فأفعال الشروع «اِبْدأْ، قُمْ، اِشْرعْ» التي جاءت هنا على صيغة الأمر تدلّ على زمن الحال؛ لأنّها اقترنت بظروف الزّمان الدالة على الحاضر، وهي «فورا، حالا الآن» وهي من حيث الجهة تدلّ على البدء والشروع؛ أي أنّ هذه الأفعال شُرعَ فيها في الزمن الحاضر، وبالتالي تكون دلالتها الزمنية هي **الحال البدئي** أو**الشروعي**.

***جهة التّحوّل في الزّمن الحال:** والتّحوّل هنا متعلق بالمخَاطب – سواء كان عاقلا أو غير عاقل– وذلك بأن يحصل تحوّل فيه من حالة سابقة إلى حالة جديدة، ويتمّ هذا التّحوّل في الزّمن الحاضر أثناء حصول الخطاب بفعل الأمر، نحو قولك لشخص غاضب: **اضحكْ** الآن ودعك من الغضب.

---

[1]– نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج4، ص175.

[2]– ينظر: مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ص390. ومالك يوسف المطلبي، الــزمن واللغة، ص283.

ففعل الأمر «اضحكْ» يدلّ هنا على الزمن الحال، لأنّه اقترن بظرف الزمان «الآن» وهو من حيث الجهة يدّل على التحوّل، لأنه أفاد طلب التحوّل من حالة الغضب التي كان عليها المخَاطب قبل الخطاب، إلى حالة الضحك –أي ضد حالة الغضب – أثناء توجيه الخطاب، فبالتالي تكون الدلالة الزمنية لهذا الفعل هي الزمن **الحال المتحوِّل.**

ونضرب لهذه الحالة مثالا من شعر نزار في قوله :

إنّي خيّرتُك فاختاري

ما بين الموتِ على صدري

أو فوق دفاتر أشعاري

.....

قُولي انْفَعِلي انْفَجِرِي

لا تَقِفِي مِثْلَ المِسْمَارِ[1]

فنزار هنا يُخيرّ حبيبته بين الحبّ واللاّحب، ويطلب منها أن تتخذ قرارها دون تردد، ولكنها تبقى أمامه صامتة ثابتة لا تتحرك مثل المسمار، فيطلب منها أن تتحوّل منه هذه الحال السلبية (الصّمت وعدم الجواب) إلى حال إيجابية (الإجابة والتفاعل معه) وأفعال الأمر الثلاثة «قولي، انفعلي، انفجري» تدل هنا، حسب سياق الكلام، على الزمن الحاضر؛ لأنّ القول والانفعال والانفجار مطلوب حصوله أثناء محادثة الشاعر مع المحبوبة، وهذه الأفعال تدلّ من حيث الجهة على التحوّل، لأنّ فيها طلب التحوّل والانتقال من حالة إلى أخرى، منه تكون الدلالة الزمنية لهذه الأفعال الثلاثة هي الزمن **الحال المتحوّل.**

[1]– نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج1، ص645–646.

3)دلالة فعل الأمر على الزمن المستقبل المطلق: يدلّ فعل الأمر على الزمن المستقبل المطلق، عندما لا يتقيّد بجهة زمنية معيّنة في الزّمن المستقبل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَـــارَكَ فَأَجِـــرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ﴾ (التوبة:06) فالله –عزّ وجلّ– يخاطب نبيّه – صلى الله عليه وسلم– ويأمره أن يُجيب طلب كلّ مشرك يستجيروه – أي يطلب منه الدخول في جواره– حتى يسمع القرآن الكريم ويطّلع على هدايته، ثم أَعِدْه من حيث أتى آمنًا، وذلك لإقامة الحجة عليه، وهذا بسبب أن الكفار قوم جاهلون بحقائق الإسلام، فربما اختاروه إذا زال الجهل عنهم، فتنتشر دعوة الله في عباده.[1]

وفعل الأمر «أَجِرْهُ» في هذه الآية دال على الزمن المستقبل؛ لأنّه جاء جوابا للشرط، وجواب الشرط مرهونا بتحقّق الشرط في المستقبل – مثلما هو معروف عند النحاة– والفعل هنا لم يقترن بجهة معيّنة في زمن المستقبل، فبالتالي تبقى دلالته عامة؛ أي أنّ استجارة النبي –صلى الله عليه وسلم– لأحد المشركين يمكن أن تتحقّق في المستقبل القريب، كما يمكن أن تتحقّق في المستقبل البعيد، ويمكن أن تتكرر كثيرا، كما يمكن أن لا تتكرّر...إلخ، فدلالة الفعل هنا هي الزمن العام[2]، يقول الزمخشري في حديثه عن فعل الإجارة في هذه الآية: "وهذا الحكم ثابت في كلّ وقت"[3] وبالتالي تكون الدلالة الزمنية لفعل الأمر «أجِرْ» في هذه الآية هو الزمن **المستقبل المطلق.**

ونمثّل لهذا الزّمن من شعر نزار قباني بقوله:

اِبْحَثِي عنْ رجُلٍ غيري

إذا كنتِ تُريدينَ السّلامهْ

كلُّ حُبٍّ حارقٍ

هو – يا سيّدتي– ضد السلامهْ[4]

فنزار في هذه الأسطر الشعرية –على غرار الكثير من قصائده– يوجّه كلامه إلى حبيبته، ويعترف لها بأنّه صعب المراس في الحبّ، لهذا يطلب منها أن تبحث عن رجل آخر

[1]– ينظر: الشيخ أحمد شاكر، عمدة التفسير عن الحافظ بن كثير، ج2، ص149.

[2]– ينظر: بكري عبد الكريم، الزمن في القرآن الكريم، ص137.

[3]– الزمخشري، الكشاف، ج2، ص75.

[4]– نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج4، ص169.

إذا أرادت السّلامة والنّجاة من المعاناة التي قد يُسبّبها لها استمرارها مع الشّاعر، وقد استخدم في خطابه لها فعل الأمر «ابحثي» الذي يدلّ هنا على الزمن المستقبل، مثلما يدلّ عليه سياق الكلام، فهذه المرأة الآن مازالت لم تقطع علاقتها مع الشاعر، ولكنها يطلب منها أن تنهي هذه العلاقة وتبحث في المستقبل عن رجل آخر إذا رأت في نفسها أنّها لا تستطيع الصّمود أمام الشاعر، وطريقته الصعبة في الحبّ، وفعل الأمر هنا «ابحثي» لم يتقيّد بأيّ جهة في الزّمن المستقبل، فيمكن لهذه المرأة أن تبحث عن رجل آخر في المستقبل القريب أو البعيد، ويمكن لهذا البحث أن يتكرّر كثيرا حتى تجد الرجل المناسب لها، ويمكن أيضا أن تجد هذا الرجل في أوّل عملية بحث لها، كما يمكن ألا تبحث أصلا عن رجل آخر، وإنّما تواصل علاقتها مع الشاعر، وتصبر على طريقته في حبّه لها، ومن هنا تكون الدلالة الزمنية لفعل الأمر هنا هي الزمن **المستقبل المطلق**؛ لأنه لم يتقيّد بجهة معيّنة.

ونضيف مثالا آخر لهذه الدلالة الزمنية من شعر نزار قباني، وهو قوله مشيدا بلبنان، وداعيا العرب إلى تحريره وإعادة البسمة إليه:

إن يمتْ لبنانُ متُّم معهُ

كلُّ من يقتله كان القتيلا

كلُّ قُبْحٍ فيه قُبْحٌ فيكم

فأعيدوهُ كما كان جميلا

إنّ كونًا ليس لبنانُ به

سوف يبقى عَدَمًا أو مُستحيلا[1]

فنزار قباني يطلب هنا من العرب أن يعيدوا لبنان جميلا مثلما كان قبل الحرب وفعل الأمر «أعيدوا» يدلّ هنا على الزمن المستقبل؛ لأنّ الشاعر يطلب أمرا يرجو حصوله في المستقبل، وفعل إعادة لبنان كما كان لا ندري متى حصوله في المستقبل ولا كيفية حصوله، إنّما الشاعر يطلب ويرجو حصول ذلك، دون أن يدلّ سياق الكلام على اقتران فعل الأمر بجهة زمنية معيّنة، ومنه تكون الدلالة الزّمنية لفعل الأمر «أعيدُوا» هو الزّمن **المستقبل المطلق.**

[1]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص298.

4)دلالة فعل الأمر على الزّمن المستقبل المقيد: وذلك بأن يبقى فعل الأمر دائما دالا على الزّمن المستقبل، ولكن مع تقيّده بإحدى الجهات الزّمنية المختلفة، وتلعب القرائن المختلفة الدور الرئيس في تعبير فعل الأمر عن هذه الجهات المختلفة، وذلك كما يلي:

***جهة التّمام في الزّمن المستقبل:** وهي عكس جهة الاستمرار، وتعني أنّ فعل الأمر قد يحدث وينتهي في نقطة زمنية معيّنة في المستقبل، نحو قول الابن لأبيه:

-**اشْتَرِي** لي غدا هديّةٍ من السّوق.

ففعل الأمر «**اِشْتَرِي**» في هذه الجملة يدلّ على الزّمن المستقبل؛ لأنّه اقترن بظرف الزّمان «غدا» الدال عل المستقبل، وهو من حيث الجهة يدلّ على التمام؛ لأنّ فعل الشراء إن حدث في المستقبل، فسيتمّ حدوثه في مساحة زمنية صغيرة، فشراء الهديّة لا يتطلب وقت كثيرا، بل يبدأ وينتهي في زمن قصير، ومن هنا تكون الدّلالة الزّمنية لفعل الأمر في المثال السابق هو الزّمن **المستقبل التام.**

ومن أمثلة هذه الجهة في شعر نزار قباني قوله في إحدى قصائده:

اذهبْ

إذا يوما مللتَ منّي

واتّهمْ الأقدارَ واِتَّهمني

أمّا أنا فإنّي

سأكتفي بدمعتي وحزني

فالصمتُ كبرياءُ والحزن كبرياءُ[1]

فنزار هنا يتكلم على لسان حبيبته التي تخبرهُ بأنّه يستطيع الافتراق عنها متى شاء ذلك، وأنّها لن تترجاه ولن تتذلّل له من أجل البقاء معها، وإنّما ستكتفي فقط بدمعتها وحزنها، لأنّها تتميزُ بصفة الكبرياء الذي يحُول بينها وبين الرّضا بالتذلّل والتخلي عن مبادئها.

[1]- غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص45.

وفعل الأمر «**اذهبْ**» يدل هنا على الزّمن المستقبل لأنّه وقع جوابا للشرط؛ فتقدير الكلام: إذا يوما مللتَ منّي فاذهب. وهو من حيث الجهة يدل على التمام وعدم الاستمرار؛ لأنّ فعل الذهاب يحدث وينتهي في مساحة زمنية قصيرة في المستقبل، إذ بمجرد أن يفترق الشاعر عن حبيبته يحصل فعلُ الذهاب، ومنه تكون الدلالة الزّمنية لفعل الأمر هنا هو الزّمن **المستقبل التام.**

***جهة الاستمرار في الزّمن المستقبل:** وهذه الجهة يُطلقُ عليها أيضا جهة اللاتمام، وتعني هنا أنّ فعل الأمر مستمرٌّ حدوثه في المستقبل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (يونس: 52) فالله –عزّ وجلّ – في هذه الآية يتحدّث عن مصير الكفار يوم القيامة، وأنّهم سيخلدون في العذاب الشديد جزاء على ما اكتسبوه من صنيع قبيح في الدنيا، وفعل الأمر «**ذُوقُوا**» يدلّ في هذه الآية على الزّمن المستقبل، لأنّ الآية تتحدث عن مصير الكفار يوم القيامة ويومُ القيامة مستقبل لم يحدث بعد، وهذا الفعل يدلّ من حيث الجهة على الاستمرار؛ أي أنّ تذوّق الكفار للعذاب يكون مستمرا، بدليل أنّ الله –عزّ وجلّ – استخدم كلمة «الخُلد» والتي تدلّ على تواصل هذا العذاب واستمراره، ومنه تكون الدلالة الزّمنية لفعل الأمر«ذوقُوا» في هذه الآية هي الزّمن **المستقبل المستمر.**

ومن أمثلة هذه الجهة في شعر نزار قوله في قصيدته المشهورة "منشورات فدائية على جدارن إسرائيل":

اِنتظرُونا دائما

في كلّ ما لا يُنتظرْ

.....

رجالنا يأتون دون موعدٍ

في غضب الرعد وزخّات المطرْ

يأتون في عباءة الرسولِ

أو سيف عمرْ

نساؤُنا

يرسُمن أحزان فلسطينَ مع دمع الشّجرْ

يقبرْنَ أطفال فلسطين بوجدان البشرْ[1]

فالخطاب في هذه القصيدة موجّه إلى الصهاينة المحتلّين؛ إذ يحذرهم الشاعر من مغبّة الاغترار بالنصر المؤقت الذي حققوه، فالفلسطينيون –رجالا ونساء– لن يستسلموا أبدا، وسيدافعون عن أرضهم وشرفهم إلى آخر رمق.

وفعل الأمر «**انتظرُونا**» في بداية هذه الأسطر، يدلّ على الزّمن المستقبل، لأنه جاء على شكل وعيد وتهديد للصهاينة، وهو من حيث الجهة يدل على الاستمرار؛ لأنه اقترن بظرف الزّمان «دائما» الذي يدلّ على استمرار الحدث، ومنه تكون الدلالة الزّمنية لهذا الفعل هي الزّمن **المستقبل المستمّر**.

***جهة القرب في الزّمن المستقبل:** ونعني بها هنا أنّ فعل الأمر –إن تحقّق– فسيكون ذلك في المستقبل القريب، وعادة ما يتمّ ذلك باقتران الفعل بظرف من ظروف الزّمان الدالة على القرب، نحو قول الأب لابنه:

– بعد قليل **اذهبْ** إلى النوم.

ففعل الأمر «**اذهبْ**» يدلّ هنا على الزّمن المستقبل؛ لأنّ فعل الذهاب لم يتم بعد وهو من حيث الجهة يدلّ على القرب لأن فعل الذهاب مطلوب حدوثه بعد قليل، فتكون الدلالة الزّمنية لهذا الفعل هي الزّمن **المستقبل القريب**.

وقد لا يقترن فعل الأمر بظرف من ظروف الزّمان الدالة على القرب، وإنّما يكون سياق الكلام وحده كفيلا بدلالة الفعل على جهة القرب، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس:82) ففعل الأمر «**كُنْ**» في هذه الآية يدلّ على الزّمن المستقبل لأنه جاء في جواب شرط «إذا» الظرفية التي تدل على المستقبل وهو من حيث الجهة يدل على القرب؛ لأنّ الأمر يقع بمجرّد أن يقول له الله –عزّ وجلّ– «كُنْ» وبالتالي تكون الدلالة الزمنية للفعل هنا هي الزمن **المستقبل القريب**.

[1]– نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج3، ص178–179.

وقد اعتمد نزار قباني على اقتباس هذه الآية في إحدى قصائده التي يتحدّث فيها عن الشام، ويفتخر بالنصر الذي حققه العرب على اليهود سنة 1973م، وذلك بعد نكسة حزيران 1967م، حيث يقول:

رضيَ اللهُ والرسولُ عن الشامِ

فنصرٌ آت وفتحٌ مبينٌ

مزّقي يا دمشقُ خارطة الذلِّ

وقولي للدهرِ: **كُنْ** فيكونُ

اسْتردّتْ أيامها بك بدرٌ

واسْتعادتْ شبابَها حطّنُ[1]

فقول نزار قباني: "وقولي للدهرِ: كُنْ فيكونُ" مقتبس من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس:82) وفعل الأمر «كنْ» في هذه الأسطر الشعرية يدلّ أيضا من حيث الزّمن على **المستقبل القريب**.

***جهة البُعد في الزّمن المستقبل:** وهي عكس الجهة السابقة، وتعني أنّ فعل الأمر قد يحدث بعد مدة زمنية طويلة في الزّمن المستقبل، قد تمتّد إلى أعوام وقرون؛ مثل أن ينصح الأب ابنه الصغير بقوله:

– إذا كبرتَ وأصبحْتَ رجلا **فحافظ** على شرف العائلة، ولا تدع أحدا يتعرضُ لسُمعتِهَا بسوء.

ففعل الأمر «**حافظْ**» يدلّ هنا على الزّمن المستقبل، لأنه وقع في جواب شرط «إذا» التي تدلّ على الاستقبال، كما أنّ سياق الكلام يدل على ذلك؛ لأنّ الأبَ يقدم نصائح لابنه يطلب منه تطبيقها في المستقبل، ومن حيث الجهة نجد الفعل هنا يدلّ على جهة البعد، لأنّ هذه النصائح لن يتمّ تطبيقها من طرف الابن إلاّ بعد مرور سنوات؛ أي بعد أن يكبر ويصبح رجلا، ومنه تكون الدلالة الزمنية لفعل الأمر في هذا المثال هي الزمن **المستقبل البعيد**.

[1]– نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج3، ص440.

ويكثر استخدام هذه الجهة كثيرا في القرآن الكريم، خاصة عندما يتحدث الله –عزّ وجل– عن أحداث يوم القيامة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ **أَفِيضُواْ** عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (الأعراف:50) ففعل الأمر «أفيضُوا» في هذه الآية يدلّ على الزمن المستقبل؛ لأنّ حدوثه مقترن بيوم القيامة بعد دخول المؤمنين إلى الجنة والكفار إلى النار، وجِهة الفعل هنا هي البعد؛ لأنّ يوم القيامة مازال بعيدا، ولا يعلم وقتَه إلاّ الله تعالى، وبالتالي تكون الدّلالة الزّمنية لفعل الأمر في هذه الآية هي **المستقبل البعيد**.

***جهة التّكرار في الزّمن المستقبل:** وتعني أنّ فعل الأمر قد يتكرّر حدوثه في المستقبل، ومن ذلك قولك لشخص ناصحا له:

– كلما تلتقي بأحد في طريقك **فسلّمْ** عليه؛ لأنّ السلام تحية الإسلام.

ففعل الأمر«**سلّمْ**» يدلّ هنا على الزّمن المستقبل؛ لأنك بصدد تقديم نصيحة لشخص تطلب منه تطبيقها مستقبلا، ومن حيث الجهة يدلّ على التكرار، لأنّ فعل السلام يتكرّر عند كل لقاء بشخص ما، كما أنّ الجملة هنا استُهلّت بكلمة «كلمّا» التي تدلّ على تكرار الحدث، ومنه تكون الدلالة الزمنية لفعل الأمر هنا هي الزّمن **المستقبل المتكرّر**.

ومن أمثلة هذه الجهة في شعر نزار قباني قوله:

قادمٌ من مدائنِ الريحِ وحدي

فاحتضنّي كالطفلِ يا قاسيونُ♥

احْتَضِنِّي ولا تناقشْ جنوني

ذروةُ العقلِ، يا حبيبي، الجنونُ

احتضنّي خمسين ألفا وألفًا

فمع الضمِّ لا يجوزُ السكونُ[1]

♥جبل قاسيون بفتح السين؛ هو الجبل المطل على العاصمة دمشق، وتحيط به هذه المدينة كما يحيط السوار بمعصم اليد، ويحتوي على العديد من المغارات والكهوف ويعود ذلك لطبيعته الصخرية، وكان أول من سكنه المقادسة القادمون من القدس؛ هروبا من بطش الفرنجة.

فنزار قباني في هذه الأسطر الشعرية، يخاطب جبل قاسَيون الذي يعتبر من أشهر الأماكن في الشام، ويطلب منه أن يحتضنه. وفعل الأمر «**احتضني**» يدل هنا على الزّمن **المستقبل المتكرّر**؛ بدليل قوله: "**احتضنّي** خمسين ألفا وألفًا."

ونضرب مثالا آخر على هذه الجهة في شعر نزار بقوله في قصيدة له بعنوان: "النصائح الذهبية في أدب الكتابة النفطية"، حيث يقول فيها:

اُكتبْ بلا أصابعْ و**كنْ** بلا قضيّهْ

امسحْ حذاء الدولة العليّهْ

اشْطبْ من القاموسِ كلمةَ الحريّهْ

لا تتحدّث عن شؤون الفقر، والثورة، في الشوارع الخلفيهْ

لا تنتقدْ أجهزة القمع ولا تضعْ أنفك في المسائل القوميهْ

كنْ غامضا في كلّ ما تكتبُ و**الزمْ** مبدأ التقيهْ

خصّصْ عمودك اليوميّ للأزياء والأزهار والفضائح الجنسيّهِ

لا تتذكّر أنبياء القدس أو تُرابها... فإنّها حكايةٌ منسيّهْ

لا ترْثِ بيروتَ التي ترمّلتْ، فالقتلُ فيها عادة يوميّهْ

لا تتعرّضْ للسلاطين إذا تعهَّرُوا أو قامروا أو تاجروا ...فهذه مسألة شخصيّهْ

ولا تقل لحاكمٍ: إنّ قباب قصره مصنوعة من جثث الرعيّهْ[2]

فهذه القصيدة جاءت على شكل نصائح – مثلما يظهر من عنوانها– وهي نصائح موجّهة إلى الكتاب والصّحافيين الذين يريدون أن ينالوا رضا الحكومات العربية، ولو كان ذلك على حساب التّخلي عن مبادئهم وشرفهم، فنزار استهل هذه القصيدة بمقدمة يقول فيها: "لو شاءتْ الأقدارُ أن تكون كاتبا يجلس تحت جُبّة الصّحافة النفطية، فهذه نصائحي إليك."[3]

---

[1]– نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج3، ص434.

[2]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص302.

[3]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص302.

وهذه النّصائح جاءت على شكلّ تهكّم واستهزاء، لأنّ الكتّاب العاملين بها سيتخلون – لا محالة – عن مبادئهم وشرفهم، لينالوا رضا الحكّام على حساب الشعب.

وأفعال الأمر الواردة في هذه القصيدة كلها تدلّ غلى الزّمن المستقبل؛ لأنّها جاءت على شكل نصائح، وجِهَتُهَا الزّمنية هي التكرار، لأنّ كتّاب الصِّحافة الرّسمية العاملين بهذه النصائح، سيجّددون العمل بها كل يوم، حين يكتبون أعمدتهم ومقالاتهم اليومية في مختلف الجرائد والصحف الرسمية التابعة للدولة، ومنه تكون الدلالة الزّمنية لأفعال الأمر الواردة في القصيدة هي الزمن **المستقبل المتكرّر أو المتجدّد**.

***جهة التّحوّل في الزّمن المستقبل:** وهي تعني هنا أنّ فعل الأمر قد يدلّ على تغيّر وتحوّل سيطرأ على الحدث في نقطة زمنية معيّنة من الزّمن المستقبل، وقد ذكرنا سابقا أنّ اللغة العربية تملك مجموعة من الأفعال التي تُستعمل للدلالة على هذه الجهة ومنها بعض أخوات «كان» التي تدلّ على معنى الصّيرورة والتحوّل، ويُشترط في هذه الأفعال قبُولُها المجيء على صيغة الأمر، مثل: أَصْبِحْ، صِرْ...إلخ. ويضافُ أيضا إلى هذه الأفعال ما يأتي للدلالة على الألوان المختلفة، بشرط قبولها أيضا مجيئها على صيغة الأمر، مثل: اِصْفَرْ، اِحْمَرْ، اِبْيَضْ ...إلخ.

ونضرب مثالا على ذلك؛ بقول السّجان للمجرم الذي تمّ القبض عليه:

– **تَحوّلْ** إلى عظام في هذه الزنزانة أيّها المجرمُ الخبيثُ.

أو كقولك تخاطبُ تفاحةً في البستان – من باب المجاز– تريدُ أن تنضج لتأكلها:

–**اِحْمَرِيّ** أيّتُها التفاحة الجميلة، حتى أتلذّذ بمذاقك الرائع.

ففعلا الأمر الواردان في هذين المثالين – وهما «**تحوّلْ**» و«**احمرّي**»– يدلان على الزّمن المستقبل؛ لأنّهما جاءا على شكل طلب لأمرين يُرجيان حدوثُهما في المستقبل، وأمّا جهتمها فهي التحوّل، فالفعل الأولّ يدلّ غلى إمكانية تحوّل المجرم من إنسان سويّ إلى عظام رميم، وهي كناية عن قضائه لبقية حياته في تلك الزنزانة حتى الموت، أمّا الفعل الثّاني، فيدلّ على إمكانية نضج التفاحة بتحوّل لونها من الأخضر إلى الأحمر الذي يدّل على نضجها، ومنه تكون الدلالة الزّمنية لهذين الفعلين هي الزّمن **المستقبل المتحوّل**.

ونضرب مثالا آخر على هذه الجهة بقوله تعالى: ﴿ قُل **كُونُواْ** حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً﴾ (الإسراء: 50) فالله –عزّ وجلّ– يأمر النبيّ – صلى الله عليه وسلم– أن يجيب الكفار الذين يستبعدون الحياة بعد الممات، ويشكّون في عودة الروح إلى أجسادهم بعد أن بليت وأصبحت عظاما ورفاتا، فيردّ عليهم النّبي – صلى الله عليه وسلم– بأمرهم أن يتحوّلوا إلى حجارة أوحديد، "إذ هما أشّدُ امتناعا من العظام والرّفات"[1] في الشدة والقوة، وهذا من باب التعجيز، فإنّ الله سيُعيدكم كما بدأكم، وذلك هيِّن عليه يسير.

وفعل الأمر «**كُونُوا**» في هذه الآية، يدلّ على الزّمن المستقبل، مثلما يدل عليه سياق الآية، ومن حيث الجهة يدل على التحوّل؛ إذ هذا الأمر تحدّ للكفار المشككين من البعث، بأنّ يتحوّلوا إلى أية مادة شاءوا، فإنّ الله تعالى سيُحييهم ويبعثُهم للحساب. ومنه تكون الدّلالة الزّمنية لفعل الأمر، في هذه الآية، هي الزمن **المستقبل المتحوّل**.

* * *

[1]– الشيخ أحمد شاكر، عمدة التفاسير عن الحافظ ابن كثير، ج2، ص436.

توضيحات لا بدّ منها:

بانتهائنا من الحديث عن فعل الأمر، ومختلف دلالاته الزّمنية، نكون قد أتممنا الحديث عن زمن الفعل، بشكل عام، في اللغة العربية، وهذا بعد أن تناولنا في الفصلين الأول والثاني مختلف الدلالات الزمنية للفعلين الماضي والمضارع. ونودّ الآن أن نختم حديثنا عن الفعل بعرض بعض الملاحظات العامة التي نرى أنه من المناسب الإشارة إليها، وهي كما يلي:

* تناولنا في هذا الفصل فعل الأمر وجهاته المختلفة في الزّمنين الحال والمستقبل دون الإشارة إلى الزمن الماضي، وهذا لكون فعل الأمر طلب، والطّلب لا يمكن حصُوله في الماضي، فيستحيل على المخَاطَب الذي وُجّه إليه الأمر، أن يعود إلى الزّمن الماضي للقيام بذلك الأمر، وإنّما يستطيع فعل ذلك في الحال والمستقبل فقط. ولكن يجدر الإشارة هنا إلى أنّ فعل الأمر يمكن أن يدلّ على الزمن الماضي، وذلك عندما يأتي في سياق السّرد والحكاية؛ ونضرب لذلك مثالا بقول نزار قباني:

وجاء أغرابٌ مع الغيابْ

من شرق أوروبا

ومن غياهب السّجونْ

فأتلَفُوا الثّمارْ

وكسَّرُوا الغصونْ

.....

واشتعلتْ في والدي كرامةُ الترابْ

فصاح فيهم: **اذهبُوا** إلى الجحيمْ

لن تسلبُوا أرضي يا سُلالة الكلابْ[1]

فنزار في هذه القصيدة يتحدث عن الاستدمار الغربي الحديث الذي احتلّ الكثير من الدول العربية، وارتكب فيها أشدّ المجازر، كما يتحدث عن صمود الإنسان العربي ودفاعه

[1]– نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج3، ص37.

عن أرضه، بما في ذلك والد الشاعر الذي وقف في وجه العدو، ليمنعه من الاستيلاء على أرضه، وصاح فيه: "**اذهبُوا** إلى الجحيمْ".

والمتأمّل في فعل الأمر «**اذهبُوا**» يدلّ هنا على الزّمن الماضي؛ لأنه وقع في سياق الحكاية، فنزار قباني يسرد أحداثا وقعت في الماضي، ومنه لا يمكن أن نقول عن فعل الأمر هنا أنه يدلّ على الزّمن الحال أو المستقبل.

* قد يتقيّد الفعل في اللغة العربية بأكثر من جهة زمنية في نفس الوقت، وذلك في الأزمنة الثلاثة (الماضي، الحاضر، المستقبل) ومن ذلك قولك مثلا تصف فتاة:

كانت تتميّز بشدّة الحياء، فكلما نظرت إليها **احْمرّ** وجهُها حياءً.

فالفعل الماضي «**اِحْمَرّ**» يدلّ هنا على الزّمن الماضي؛ لأنّه سُبق بـــ «كان» وقد اقترن بجهتين هما: التحوّل والتكرار، فهذا الفعل نجده يدلّ على جهة التحوّل؛ لأنّه يدل على تحول وجه الفتاة من حالة إلى أخرى عند النظر إليها، وذلك بسبب الحياء، كما أنه يدلّ على جهة التكرار، لأنّه الاحمرار في وجه الفتاة يتكرّر كلما نظر شخص إليها وهذا المثال من الحالات التي يدلّ فيها الفعل على أكثر من جهة زمنية، وقد ضربنا هنا مثالا بالفعل الماضي، وهذا الأمر ينطبق أيضا على الفعلين المضارع والأمر، وذلك حسب السياق الذي يرد فيه الفعل.

* قد يأتي فعل الأمر غير مقيّد بزمن معيّن، وإنّما يدلّ فقط على غرض من الأغراض البلاغية كالتّرجّي والتّمنّي والشكوى ...إلخ ونضرب مثالا على ذلك بقول نزار قباني:

يا شامُ إنّ جراحي لا ضفافَ لها

فمَسِّحِي عن جبيني الحزنَ والتّعبَ

و**أرْجِعِيني** إلى أسوار مدرسَتِي

وأرْجِعِي الحبْرَ والطبشورَ والكتبَ[1]

[1]– نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج3، ص418.

ففعل الأمر «أَرْجِعِينِي» في هذه الأسطـــر الشعرية، لا يدلّ هنا على الزّمن الحال أو المستقبل؛ فنزار قباني هنا يتمنّى الرّجوع إلى مرحلة الصّبا، حتى يعود إلى أحضان مدرسته، ويزاول مرة أخرى دراستَه فيها، وهذا أمر مستحيل الحدوث، فلا يمكن للزمن أن يعود إلى الوراء أبدا، ومنه كانت دلالة فعل الأمر هنا خالية من الزّمن وإنّما أفاد التمنيّ، والحنين إلى ذكريات الصّبا.

* قد يأتي الفعل في اللغة العربية دالا على الزّمن العام؛ أي لا يتقيّد بزمن معيّن من الأزمنة الثلاثة المعروفة (الماضي، الحاضر، المستقبل) وإنّما يكون صالحا لهذه الأزمنة جميعا في الآن نفسه، نحو قولك:

دارتْ الأرَضُ/ **تدورُ** الأرضُ/ **دُوري** أيتها الأرض.

فالأفعال الثلاثة في هذه الجمل، لا تقترن بزمن معيّن، وإنّما تدلّ على الزّمن العام؛ أي صالحة للماضي والحاضر والمستقبل، لأنّها تعبرّ عن ظاهرة طبيعية هي دوران الأرض، وهي ظاهرة طبيعية تحدث في كلّ زمان منذ أن خلق الله –عزّ وجلّ– الأرض، قولنا: «دارتْ» بصيغة الماضي، لا يعني أنّ الأرض لا تدور في الزمن الحاضر أو المستقبل، وقولنا: «تدورُ» بصيغة المضارع، لا يعني أنّ الأرض لم تكن تدور في الزمن الماضي، وقولنا: «دُوري» بصيغة الأمر، لا يعني أنّ الأرض كانت متوقّفة، وبالتالي نطلبُ منها أن تدور، أو أنّها تريد التّـــوقف عن الدوران في الحاضر أو المستقبل، وبالتالي نطلب منها أن تواصل الدّوران دون توقّف، ومنه فالدلالة الزمنية للأفعال الثلاثة في هذه الأمثلة هي **الزمن العام.**

* * *

الفصل الرابع

دلالة كلمات أخرى من غير الفعل على الزّمن في اللغة العربية

دلالة كلمات أخرى من غير الفعل على الزّمن في اللغة العربية: لقد تناولنا في الفصول السابقة الدّلالات الزمنيّة والجِهيّة المختلفة التي يمكن التعبير عنها باستخدام الفعل الماضي والمضارع والأمر[1]، وقد رأينا الثراء الزّمني الكبير الذي تتمتع به اللغة العربية على مستوى الفعل، عند دخوله في السياقات المختلفة، واقترانه بمختلف القرائن التي تعمل على إثراء دلالته زمانيا وجِهيّا، وهذا عكس ما يدّعيه بعض الأدعياء الذين يتّهمون اللغة العربية بالفقر والعجز في التعبير عن الزّمن، معتــمدين في ذلك على التقسيم الثــلاثي للفعل (ماضي، مضارع، أمر) وما ينجرّ عنه من دلالة زمنيّة صرفية ضيّقة جدا.

وسنحاول في هذا الفصل أن نُبيّن جانبا من الثراء الذي تتمتع به اللغة العربية في التعبير عن الزّمن، خارج منظومة الأفعال، وذلك باستخدام بعض الأسماء والحروف، وهو الأمر الذي تفتقر إليه الكثير من اللغات الأخرى، وسنفصّل الأمر في ذلك من خلال أربعة مباحث.

[1]– ينظر : ينظر الفصل الأول والثاني والثالث على التوالي من هذه الرسالة.

1)**المصدر ودلالته عن الزّمن في اللغة العربية:** المصدر في اللغة هو "ما يصدرٌ عنه الشيء"[1] فتقول مثلا: مصدرُ الماء هو المنبع، أي أنّ الماء صدر من هذا المنبع، وأُخِذَ منه. والمعروف عند النحاة أنّهم يعرّفون المصدر بأنّه "اللفظ الدال على الحدث مجرّدا من الزّمان"[2] وله أنواع كثيرة كمصدر المرّة ومصدر الهيئة، والمصدر الصناعي والمصدر الميمي...إلخ.

وقد دار نقاش طويل وعريض بين النّحاة قديما حول أصل المشتقات؛ فالبصريون يرون أن المصدر هو الأصل في المشتقات، أمّا الكوفيون فيرون أنّ الفعل هو الأصل والمصدر فــرع عنه، وكتبُ النّحو القديمة تعــجّ بالحديث عن هذا الموضوع، ويمكن أن نلخّص تفاصيل هذا الخلاف، وحجج كلّ فريق بما ذكره أبو البركات الأنباري[3] (المتوفى 577هــ) كما يلي:

*استدلّ البصريون على أن الفعل مشتق من المصدر من سبعة أوجه وهي:

الوجه الأول: أنّه سُــمي مصدرا، والمصدر هو الموضع الذي تصدر عنه الإبل، فلمّا سُمي مصدرا دلّ على أنّه قد صدر عنه الفعل.

الوجه الثاني: أنّ المصدر يدلّ على زمن مطلق، والفعل يدلّ على زمن معيّن فكما أنّ المطلق أصل للمقيّد، فكذلك المصدر أصل للفعل.

الوجه الثالث: أن الفعل يدلّ على شيئين، والمصدر يدلّ على شيء واحد قبل الاثنين♥، فكذلك يجب أن يكون المصدر قبل الفعل.

الوجه الرابع: أنّ المصدر اسم، وهو يستغني عن الفعل، والفعل لابدّ لــه من الاسم وما يكون مفتقرا إلى غيره، ولا يقوم بنفسه أولى بأن يكون فرعا ممّا لا يكون مفتقرا إلى غيره.

---

[1]– مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص510.

[2]– مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ص131.

3– ينظر: أبو البركات الأنبارى، أسرار العربية، تح: محمد بهجة البيطار، دط. دمشق: دس، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ص 171 وما بعدها. وينظر أيضا: الإنصاف في مسائل الخلاف، للمؤلف نفسه، ص192 وما بعدها.

♥ يعني بهذا الكلام أنّ الفعل يدلّ على شيئين هما الحدث والزمن، والمصدر يدلّ على شيء واحد هو الحدث.

الوجه الخامس: أنّ المصدر لو كان مشتقا من الفعل لوجب أن يدلّ على ما في الفعل من الحدث والزّمان ومعنى ثالث، كما دلّت أسماء الفاعلين والمفعولين على الحدث وعلى ذات الفاعل والمفعول به، فلمّا لم يكن المصدر كذلك، دلّ على أنّه ليس مشتقّا من الفعل.

الوجه السادس: أنّ المصدر لو كان مشتقا من الفعل، لوجب أن يجري على سنن واحد، ولم يختلف كما لم تختلف أسماء الفاعلين والمفعولين، فلمّا اختلف المصدر اختلاف سائر الأجناس، دلّ على أنّ الفعل مشتق منه.

الوجه الســـابع: أنّ الفعل يتضمن المصدر، والمصدر لا يتضمن الفعل، ألا ترى أنّ «ضَرَبَ» يدلّ على ما يدلّ عليه الضربُ، و«الضّرَبُ» لا يدلّ على ما يدلّ عليه «ضَرَبَ» وإذا كان كذلك، دلّ على أنّ المصدر أصل، والفعل فرع عليه، وصار هذا كما نقول في الأواني المصوغة[1] من الفضة، فإنّها فرع عليها، ومأخوذة منها، وفيها زيادة ليست في الفضة فدلّ على أنّ الفعل مأخوذ من المصدر، كما كانت الأواني مأخوذة من الفضّة.

هذه حجج البصريين في الدفاع عن رأيهم، أمّا الكوفيون فذهبوا إلى أنّ المصدر مأخوذ من الفعل، واستدلّوا على ذلك من ثلاثة أوجه كما يلي:

الوجه الأولّ: أنّ المصدر يعتلّ لاعتلال الفعل، ويصحُّ لصحّته، تقول: «قُمتُ قياما» فيعتلّ المصدر لاعتلال الفعل، وتقول: «قاومَ قوامًا» فيصحُّ المصدر لصحّة الفعل، فدلّ على أنه فرع عليه.

الوجه الثـــاني: أنّ الفعل يعمل في المصدر، ولا شكّ رتبة العامل قبل رتبة المعمول.

الوجه الثـــالث: أنّ المصدر يُذكرُ توكيدا للفعل، نحو قولك: "ضربته ضربا" ولاشكّ أنّ رتبة المُؤكَّد قبل رتبة المُؤكِّد، فدلّ على أنّ المصدر مأخوذ من الفعل.

هذا إذن جانب من الخلاف الذي دار بين النّحاة حول أصل المشتقات، ولا نريد أن نطيل الحديث كثيرا في هذا الموضوع، ولا أن ندلي بدلونا فيه؛ لأنّ هذا الخلاف لم يكن من أجل إثبات الدّلالة الزّمنية للمصدر أو نفيها، فالحديث عن الزّمن هنـــا كان عرضيا وجانبيا فقط، وإنّما كان الهمّ الأكبر للنّحاة، أثناء تناولهم لمسألة أصل المشتـــقّات، هو إثبات فكرة العمل والإعمال التي دارت في فلـــكها معظم أبواب النّحو ومسائله.

[1]– من الصّياغة، ويقصد بذلك الأواني المصنوعة من الفضة.

وبما أنّ حديثنا في هذا المبحث مُنصبٌّ على الدّلالة الزّمنية للمصدر، فإنه يجدر بنا التذكير بأنّ النّحاة قد انقسموا إلى فريقين في هذه المسألة، ولكلّ واحد منهما رأيه الخاص وذلك كما يلي:

الفريق الأول: يذهب هذا الفريق إلى القول بأن صيغة المصدر لا تتضمّن في ذاتها الدلالة على الزّمن، وإنّما الزّمن شيء طارئ عليها، يأتيها بعد دخولها في الكلام وذلك حسب القرائن الدلالية، والعلاقات السياقية القائمة بين المفردات داخل التركيب، وممن ذهب إلى هذا الرأي نجد الجرجاني حيث يقول: "لأنّهم نزّلوا الفعلَ منزلة المصدر فصار قولك: «يوم يقوم زيدٌ» بمنزلة «يوم قيام زيد» إلاّ أنّ لفظ الفعل كان أذهب في الوضوح، إذ كان يدلّ على الزّمان، فإذا قيل: «آتيك يوم يخرجُ زيدٌ» عُلم من صيغة اللفظ الزّمان. ولو قيل: «آتيك يوم قيام زيدٍ» لم يُعلم من صيغة المصدر الزّمان، لأنّه لا يدلّ على زمان دون زمان."[1] وقد تبنى هذا القول طائفة أخرى من النّحاة♥ لا يسع المقام لذكرهم هنا جميعا.

ونجد من الدارسين المحدثين مَن تبنّت هذا الرأي؛ منهم الدكتور فاضل السامرائي الذي يقول: "فمعلوم أنّ المصدر هو الحدث المطلق؛ أي المجرد عن الزّمن وأنّ الفعل هو الحدث المقترن بزمن، أي أنّ الفعل يختصّ بزمان والمصدر لا يختصّ."[2] والدكتور عباس حسن في قوله: "المصدر يدلّ على المعنى المجرد، فلا دلالة له على ذات أو زمان أو مكان."[3] والدكتور تمام حسان الذي يبدو أنه تأثر بفكرة الجرجاني التي أشرنا إليها آنفا ومفادها أنّ المصدر لا يدل على الزّمن في صيغته المفردة، ولكنه يدلّ عليه حين دخوله في السياق، إذ يقول: "والمصدر كذلك حين يدخل في علاقات سياقية كالإسناد والتعدية يفيد معنى الزّمن بحسب القرينة."[4]

الفريق الثاني: يرى هذا الفريق أنّ المصدر يدلّ بصيغته على الزّمن، دون دخوله في التركيب، لهذا ينوب عن الفعل في الكثير من التراكيب اللغوية، وقد تبنّى هذا الرأي

---

[1]– عبد القاهر الجرجاني، المقتصد في شرح الإيضاح، تح: كاظم بحر المرجان، دط. العراق: 1982م، دار الرشيد للنشر، ج2، ص1063.

♥ منهم جلال الدين السيوطي، وابن مالك وغيرهما.

[2]– فاضل صالح السامرائي، الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، دط. بغداد: 1390هـ/1971م منشورات مطبعة الإرشاد، ص220.

[3]– عباس حسن، النحو الوافي، ج3، هامش الصفحة 183.

[4]– تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص254.

البصريون بشكل عام، وعلى رأسهم سيبويه الذي أفرد بابا كاملا للحديث عن هذا الموضوع سماه: "هذا باب من المصادر جرى مجرى الفعل المضارع في عمله ومعناه"[1] ويضرب أمثلة لشرح هذا العنوان بقوله: "ومن ذلك قولكَ: عجِبْتُ من ضرْبٍ زيدًا، فمعناه أنه يضربُ زيدا. وتقول: عجبتُ من ضربٍ زيدًا بكرٌ، ومن ضربٍ زيدٌ عمرًا، إذا كان هو الفاعل، كأنّه قال: عجبتُ من أنّه يضربُ زيدٌ عمرًا، ويضربُ عمرًا زيدٌ."[2] وقد ذهب إلى هذا الرأي أيضا ابن جني؛ إذ يقول: "اعــلم أنّ المصدر كلّ اسم دلّ على حدث، وزمان مجهول، وهو وفعله من لفظ واحد."[3] فكلا من الفعل والمصدر يدلان على الحدث والزّمن إذن، حســب هذا الفريق وإنّما الفــرقُ بين الفعل والمصدر –حسبهم– هو في كون الفعل يدل على زمن معيّن بصيغته (ماض/ حال/مستقبل) أمّا المصدر فيدلّ على زمن مجهول؛ أي غير معيّن.

وتبنى هذا الرأي مجموعة من الدارسين المعاصرين منهم: إبراهيم السامرائي في كتابه «الفعل زمانه وأبنيته» إذ يرى "أنّ المصدر يقتضي درجة في مادة الفعل، وذلك لتوفر الأصول الأولى فيهما؛ فكلاهما حدث، وكلاهما مقترن بزمن ما."[4] ونجد أيضا هذا الرأي عند إبراهيم أنيس الذي يردّ على النّحاة الرافضين لفكرة ارتباط المصدر بالزّمن بقوله: "وقد جعلوا ارتباط صيغة الفعل بالزّمن عنصرا أساسيا، به يتميّز الفعل عن الاسم، وعزّ عليهم أن يروا فكرة الزّمن تتحقّق في المصدر كما تتحقّق في الفــعل فجادلوا في هذا جدالا عقيما لا يخلو من التعسّف والمغالطة، في كلام كثير لا محلّ لذكره هنا، وفي الحقّ أنّ المصدر يرتبط بالزّمن في صورة ما، لا تقلّ وضوحا عن ارتباط الفعل به."[5]

بعد ذكرنا للخلاف الذي دار بين النّحاة حول دلالة المصدر على الزّمن من عــدمها يمكننا أن نصل إلى نتيجة مفادها: إنّ النحاة والدارسين – رغم هذا الخــلاف– متفقــون ضمنيّا على أنّ للمصدر دلالة على الزّمن، ومكمن الخلاف لا يتعدىّ كون فريــق مــنهم ينسب هذه الدلالة الزّمنية إلى صيغة المصدر المفردة، وفريق آخر ينسب هــذه الدلالــة الزّمنية إلى السياق العام الذي يردُ فيه المصدر، فالدلالة الزّمنية إذن واقعة لا محالة، وهو ما يهمّنا أكثر في هذا البحث، وهذا مع اعترافنا بأنّ قناعتنا في هــذه المســألة هــي إنّ

[1]– سيبويه، الكتاب، ج1، ص189.

[2]– المصدر نفسه، ص189.

[3]– ابن جني، اللّمع في العربية، ص44.

[4]– إبراهيم السامرائي، الفعل زمانه وأبنيــته، ص52.

[5]–إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص171.

المصدر يدل على الزّمن عند دخوله في التركيب اللغــوي، واقترانه بالقرائن المخـــــتلفة أما في حالة كونه صيغة مفردة خارج التركيب، فإنه لا يــدل علـــى الــزّمن؛ فمــثلا: المصدران «دخولٌ» و«خروجٌ» يختلفان عن الفعلين «دخل» و«يدخل» و«اُدخلْ» وعن «خرجَ» و«يخرجُ» و«اخرجْ» لأنّ المصدرين يدلان على الحدث (الدخول والخروج) دون الدلالة على زمن الدخول أو الخروج، بعكس الفعلين اللذين يدلان على حــدث الــدخول والخروج وزمانيهما.

فالفعلان «دخل» و«خرج» يدلان على الحدث في الــزّمن الماضـــي و«يــدخل» و«يخرج» يدلان على الحدث في الزّمن الحاضر أو المستقبل، و«ادخلْ» و«اخرجْ» يدلان على طلب حصول الحدث في الزّمن الحاضر أو المستقبل، وهذه الــدلالات الزّمنيــة لا نجدها في صيغة المصدر عندما تكون مجردة من السّياق.

ولعلّ ما يجدرُ الإشارة إليه هنا هو إنّ المصدر في الكلام لا يأتي دائما مقترنا بالزّمن، فهناك حالات يأتي فيه المصدر دالا على أغراض ومعان مختلفة دون أن يدلّ على الزّمن، وهذا رغم دخوله في سياق لغويّ معيّن، ومن أمثلة ذلك حين مجيئه مفعولا مطلقا وهو "مصدرٌ يُذكرُ بعد فعل من لفظه تأكيدا لمعناه، أو بيانا لعدده، أو بيانا لنوعه."[1] فمن أمثلة الأول قولك: ضربته **ضربًا**، فلكلمة «ضَرَبًا» هنا مصدر لا يفيد معنى الزّمن، وإنّما جيء به لتوكيد فعله، ومن أمثلة الثاني قولك: درتُ **دورتين**، فكلمة «تفاحتين» مصدر اتصلت به حروف التثنية، وهو لا يدلّ على الزّمن، وإنّما جيء به للدلالة على العدد، ومن أمثلة الثالث قولك: تكلَّمَ **كلام** الحكماء، فكلمة «كلام» مصدر لا يفيد معنى الزّمن، وإنّما جيء به لبيان نوع الكلام الذي تكلم به المتكلم.

ونشرع في تقديم بعض الأمثلة التي يدلّ فيها المصدر على الزّمن، من خلال السّياق الذي يرد فيه، وذلك حسب نوع المصدر؛ من حيث الإضافة والتنوين، ونوع الأسلوب الذي يردُ فيه – ونعني هنا الإخبار والإنشاء– وذلك كما يلي:

[1]– مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ص450.

1-1 المصدر المضاف ودلالته على الزّمن: عندما يكون المصدر مضافا يمكن أن يدلّ على الأزمنة المختلفة، وذلك حسب السياق والقرائن المصاحبة له.

أ-الزمن الماضي: من أمثلة دلالة المصدر المضاف على الزمن الماضي قول الشاعر نزار قباني:

أنا قصيدةُ حُبّ

كانتْ سببًا

في **سقوطِ** العربِ من الأندلس[1]

فالمصدر «سقوط» في هذا المثال دلّ على حدث معيّن، وهو سقوط الحضارة العربية في الأندلس بعد قرون طويلة من الازدهار والرّقي، ودلّ أيضا على الزّمن الذي حدث فيه هذا السقوط، وهو **الزّمن الماضي**، والقرينة التي صرفت المصدر إلى هذه الدلالة الزّمنية هو الفعل الناقص «كانت» الذي يدل على زمن المضيّ. وقد جاء المصدر هنا مضافا إلى فاعله فتقدير الكلام: سقط العربُ في الأندلس، أي أنه عمِل عملَ فعلِه.

وقد لا يقترن المصدر بقرينة لفظية تصرفه إلى زمن معين، مثل الحالة السابقة ولكن قد يفهم زمنه من خلال قرينة معنوية كمجيئه في سياق سرد الأحداث نحو قولك: **مقتلُ** عمرَ بن الخطاب ضربةٌ موجعةٌ للإسلام والمسلمين. فالمصدر «مقتل» أفاد هنا أيضا **الزّمن الماضي**، والقرينة التي صرفته إلى ذلك هي مجيئه في سياق السّرد.[2] وقد جاء المصدر هنا مضافا إلى كلمة «عمر» التي هي في الأصل نائب فاعل؛ فتقدير الكلام: قُتِلَ عمر بن الخطاب، وقتلهُ ضربة موجعة للإسلام والمسلمين. ونحن نقرأ ونسمع في هذه الأيام كثيرا في الصحافة عناوينَ أخبار مختلفة يستخدم فيها المصدر المضاف للدلالة على الزّمن الماضي بقرينة سرد الأحداث، نحو:

وفاةُ شخص و**إصابةُ** آخر في حادث مرور خطير.

[1]- غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص117.

[2]- ينظر: إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص171.

فالمصدران «وفاة» و«إصابة» جاءا هنا مضافين دالين على الزّمن الماضي والقرينة التي صرفتهما إلى ذلك هي قرينة سرد الأحداث، لأنّ الجملة هنا جاءت خالية من الفعل والظرف اللذين يمكن أن يصرفا المصدرين لزمن معيّن.

ب- الزّمن الحاضر: ويمكن للمصدر المضاف أن يدلّ على الزّمن الحاضر؛ وذلك إذا اقترن بقرينة تصرفه إلى ذلك نحو قولك:

الآن **وصولُ** العروس.

فالمصدر «وصول» جاء هنا دالا على **الزّمن الحاضر**؛ لأنه اقترن بظرف الزّمان «الآن» وقد جاء مضافا إلى فاعله؛ لأنّ تقدير الكلام: وصلت العروسُ الآن.

ومن أمثلة دلالة المصدر المضاف على الزّمن الحاضر في شعر نزار قباني قوله:

كلّ شِعْرٍ معاصرٍ ليس فيه

عضبُ العصر، نملةٌ عرجاءُ

ما هو الشعر؟ إن غدا بهلوانا

يتسلَّى برقْصِهِ الخلفاءُ[1]

فنزار هنا يرفض أن يكون الشعر مجرد فلكلور يستخدم لمدح الحكام، والتكسّب به مثلما كان يفعل الكثير من الشعراء القدماء، بل يرى أنه يجب على الشّعر أن يعالج قضايا العصر الراهن، وأن يتفاعل مع كلّ جوانب الحياة، وقد استخدم للتعبير عن ذلك لفظة «عضب» وهي مصدر جاء مضافا، ودلالته الزّمنية هي الزّمن الحاضر؛ لأنّ الشاعر يتحدث عن الشعر المعاصر وكيف ينبغي له أن يكون.

ج- الزّمن المستقبل: يأتي المصدر المضاف دالا على الزّمن المستقبل عندما يقترن بقرينة تصرفه إلى ذلك، سواء كانت لفظية أو معنوية، نحو قول مقدّم نشرة الأحوال الجويّة:

مع ارتقاب **قدوم** سحابٍ كثيفٍ، و**تساقط** أمطار رعدية إن شاء الله.

[1]- نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج3، ص401.

فالمصدران «قدوم» و«تساقط» جاءا هنا مضافين، ودَلاّ على الزّمن المستقبل والقرينة التي صرفتهما إلى ذلك هي قول المذيع: "مع ارتقاب" فقدوم السحاب وتساقط الأمطار لم يحدث بعد، وإنّما ذلك مرتقب في المستقبل.

ومن هنا نرى أن المصدر المضاف يدلّ على الأزمنة الثلاثة، حسب السياق الذي يرد فيه، وهذا ما يؤكّده الدكتور تمام حسان بقوله: "أمّا على معنى الإضافة، فإنّ المصدر يحتمل الماضي والحال والاستقبال جميعا، ويتعيّن أحدها له بالقرينة الحالية أو المقالية."[1] على النّحو الذي رأيناه في الأمثلة السابقة.

وقد يأتي المصدر أيضا منوّنا في سياق الإخبار، ويدلّ على الأزمنة الثلاثة (الماضي، الحاضر، المستقبل) حسب السياق والقرائن المتلبسة به، وذلك كما يلي:

1-2 المصدر المنوّن ودلالته على الزّمن:

أ-الزمن الماضي: وذلك نحو قول القائل:

في الحرب العالمية الثانية كان هناك **قتلٌ** و**خرابٌ** و**دمارٌ**.

فالمصادر الثلاثة: «قتل» و«خراب» و«دمار» جاءت هنا منوّنة، ودلّت على الزّمن الماضي، لأنّها اقترنت بقرينة لفظية هي «كان» التي تدلّ على المضي.

ومثال هذا قول نزار قباني:

هزيمةٌ...

وراءها هزيمةٌ

وراءها هزيمةٌ

كيف لنا أن نربح الحربَ

إذا كان الذين مثّلوا

وصوّروا

[1]- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص255.

وأخرجوا

تعلّموا القتالَ في وزارة الإعلام؟؟[1]

فهو هنا يندب الحظ العاثر للعرب بعد الهزائم المتتالية التي تعرضوا لها على يد أعداء الأمة، كما يحمّلوا المسؤولية للحكام والمسؤولين الذين ملؤوا الدنيا ضجيجا بخطبهم الرنانة، دون أن يفعلوا شيئا في الواقع.

وكلمة «هزيمة» التي كرّرها ثلاث مرات، هي مصدر منوّنُ جاء في سياق سرد الأحداث، وبالتالي تكون دلالته الزّمنية هي المُضي، ويمكن أن نضيف هنا إلى الدلالة الزّمنية جهة التكرار، التي نستشفها من تكراره للمصدر، ما يعني أنّ الهزيمة حدثت مرّات عديدة ومتكررة في الزّمن الماضي، ومنه تكون الدلالة الزمنية للمصدر «هزيمة» في هذه القطعة الشعرية هي الزمن الماضي المتكرّر.

ب-الزّمن الحاضر: وذلك عند اقترانه بقرينة تصرفه إلى زمن الحاضر، نحو قول نزار قباني:

شِعْرُنَا اليوم يحفرُ الشمسَ حفرا

بيديهِ، فكلّ شيء مُضَاءُ

شعرنا اليوم **هجمةٌ** و**اكتشافٌ**

لا خطوطٌ كوفيّة وحِداءُ[2]

فهو يتحدث هنا عن شّعرنا العربيّ المعاصر، وكيف ينبغي أن يكون؛ من حيث تعبيره عن العصر بكل حيثياته وتشعباته. وقد استخدم مصدرين مُنونين هما «هجمة» و«اكتشاف» اللذان يدلان على حدثين في الزّمن الحاضر، لأنهّما اقترنا بقرينة صرفتهما إلى ذلك، هي ظرف الزّمان «اليوم» الذي يدل على الحاضر.

ج- الزّمن المستقبل: وذلك مرتبط دائما بالسياق والقرينة المصاحبين للمصدر، نحو قولك:

إذا جاء العيدُ **فتهليلٌ** و**تكبيرٌ** و**تسبيحٌ** و**تحميدٌ**.

[1]-غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص371.

[2]- نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج3، ص400-401.

فالكلمات (تهليل، تكبير، تسبيح وتحميد) هي مصادر منوّنة، تدلّ هنا على الزّمن المستقبل؛ لأنّها جاءت جوابا لأداة شرط، والأصل في الشرط وجوابه اقترانهما بزمن المستقبل، ويمكن أن نضيف إلى هذه الدلالة الزّمنية جهة التكرار؛ لأنّ العيد يتكرّر مجيئه كل عام، وبالتالي يتكرّر التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد، فتصبح الدلالة الزّمنية لهذه المصادر، في هذا المثال، هي الزمن **المستقبل المتكرّر** أو **المتجّدد**.

هذه إذن أمثلة عن مجيء المصدر – سواء مضافا أو منونا– دالا على الأزمنة الثلاثة (الماضي، الحاضر والمستقبل) وقد جاءت كلها في سياق الإخبار. وهناك حالات يدلّ فيها المصدر على الزّمن الحاضر أو المستقبل، وذلك عندما يأتي في سياق الإنشاء، وذلك كما يلي:

***دلالة المصدر على الزّمن الحاضر في سياق الإنشاء:** وفي هذه الحالة يأتي المصدر في سياق الطلب، وينوب عادة عن فعل الأمر، سواء كان منوّنا أو مضافا، نحو قولك لشخص أُصيب بمصيبة:

صبرًا جميلا يا أخي، فهذه سُنّة الحياة.

فالمصدر «صبرا» يدلّ على الزّمن الحاضر؛ لأنّك تطلب من هذا الشخص أن أن يتحلّى بالصبر في الوقت الحاضر، بعد أن أُصيب بمصيبة، فالمصدر هنا يمكن أن نُعوضه بفعل الأمر، فيكون تقدير الكلام: اِصبرْ يا أخي، فهذه سنة الحياة.

وقد يأتي المصدر في سياق الإنشاء بصيغة أخرى غير الأمر، كالاستفهام؛ ومن ذلك أن يضبط شخصٌ أحدَ أصدقائه المقربين في موضع خيانة له، فيخاطبه قائلا:

أخيانةٌ بعــد كلّ هذه الصّحبة؟

فالمصدر «خيانة» يدلّ هنا على الزّمن الحاضر؛ لأنّ هذا الشخص ضبط صديقه وهو يخونه في الزّمن الحاضر، فخاطبه بهذه العبارة، فتقدير الكلام هنا يكون كما يلي: أتخونني الآن بعد كلّ هذه الصّحبة؟

***دلالة المصدر على الزّمن المستقبل في سياق الإنشاء:** وذلك حين اقترانه بقرينة تصرفه للمستقبل، نحو قول الأستاذ لتلاميذه:

صمتا إذا شرعتُ في تقــديم الدّرس حتى يفهم الجميع.

فكلمة «صمتا» مصدر يدلّ على الزّمن المستقبل؛ لأنّ الأستاذ هنا لم يشرع بعد في تقديم درسه، وصمت التلاميذ مرهون بتقديم الدرس، وبالتالي يكون زمن المصدر «صمتا» هو زمن تقديم الدّرس؛ أي المستقبل، ويمكن أن نعوّض المصدر هنا بفعله فيكون تقدير الكلام: اصمتوا إذا شرعتُ في تقديم الدرس.

وقد يأتي المصدر دالا على الزّمن المستقبل في سياق التمني أو الدعاء أو الاستفهام أو أيّ أسلوب إنشائي طلبي آخر، نحو قول نزار قباني:

رفيقَ صلاح الدين هل لك **عودةٌ**

فإنّ جيوش الرّوم تنهى وتأمرُ

يُحاصرُنا كالــموتِ ألفُ خليفةٍ

ففي الشرقِ هولاكو، وفي الغربِ قيصرُ[1]

فنزار هنا يوجّه خطابه إلى الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر؛ ويطلب منه العودة، بعد موته، لإنقاذ الأمّة العربية الإسلامية، بعد أن أحاط بها الأعداء من كلّ جانب، وكلمة «عودة» الواردة في السطر الأول، هي مصدر جاء في سياق الاستفهام وبالتالي أفاد زمن المستقبل؛ لأنّ الشاعر يطلب حصول أمر في المستقبل، وهو عودة جمال عبد الناصر إلى الحياة، وهو أمر مستحيل الحدوث، وبالتالي خرج الاستفهام هنا إلى غرض بلاغي آخر هو الحلم، وتمنّي المستحيل.

ملاحظة: نودّ الإشارة هنا أيضا إلى نقطة نرى من الأهميّة بمكان الإشارة إليها وهي أن المصدر قد يأتي أيضا مؤوّلا؛ أي يتكون من الفعل مع حرف من الحروف المصدرية مثل: «أن» و«ما» المصدريتان، وفي هذه الحالة أيضا يدل المصدر على زمن معيّن حسب السياق الذي يرد فيه، نحو قول نزار قباني:

أريد **أن أهربَ**

من بحر الإشاعات الذي أغرقني

أريد **أن أهربَ**

[1]– نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج3، ص389.

من جميع ألقابي وأسمائي[1]

فنزار هنا قد ضاقت عليه الدنيا بما رحبت، إلى درجة أنّه يريد أن يهرب من كلّ شيء حتى من أسمائه وألقابه. والمصدر المؤول «أن أهرب» يدل هنا على الزّمن المستقبل؛ لأنّ نزار قباني يصرح بأشياء يريد فعلها في المستقبل، فتقدير الكلام هو: أريد الهروب من بحر الإشاعات... وأريد الهروب من جميع ألقابي وأسمائي.

وقد يأتي المصدر المؤول دالا على الزّمن الماضي، نحو قولك:

تمنيتُ **لو نجح** التلميذ.

فالمصدر المؤول هنا يتكون من الفعل «نجح» و«لو» المصدرية، وتقدير الكلام هو: تمنيتُ نجاح التلميذ. والزّمن الذي دلّ عليه المصدر المؤول هنا هو الزّمن الماضي؛ لأنّه سبق بفعل ماض هو «تمنيتُ» الذي يدلّ على أن هذا الأمر كان في الماضي.

كما قد يدل المصدر المؤوّل أيضا على الزّمن الحاضر، عندما يتقيد بقرينة تصرفه لذلك نحو قولك:

أن تصمُتَ الآن خيرٌ لك.

فالمصدر المؤول «أن تصمُتَ» يدل هنا على الزّمن الحاضر، والقرينة التي صرفته لذلك هي ظرف الزّمان «الآن» وتقدير الكلام هنا هو: الصمتُ الآن خير لك.

بهذا نكون قد أنهينا الحديث عن المصدر، والذي رأينا بأنّه يؤديّ دلالات زمنية متنوعة حسب السياق الذي يرد فيه، والقرائن المتلبسة به، وكلّ ذلك يُعدُّ إضافة نوعيّة لمنظومة الزّمن في اللغة العربية.

* * *

[1] غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص178.

2)المشتقات ودلالتها عن الزّمن في اللغة العربية: الاسم المشتق هو كلّ "اسم أُخذ من غيره؛ أي ما اشتُقّ وتفرّع من أصل♥ ولابدّ – والحال هذه– أن يقاربه في المعنى، وأن يشاركه في الحروف الأصلية، نحو: ف + ت + ح = فاتح، مفتوح، فتّاح مفتاح..."[1] فنلاحظ في هذا المثال أنّ الحروف الأصلية (الفاء، التاء، والحاء) التي تمثّل جذر الكلمة قد تواتر ظهورها في كلّ المشتقات التي أُخذت من الأصل، ومن هنا يظهر لنا أنّ الاسم المشتق عكس الجامد الذي "يوضعُ على الهيئة الحالية منذ البدء، فلا أصل يرجع إليه؛ أي لم يؤخذ البتة من غيره."[2] وهو يكون إمّا اسم ذات يدرك بالحواس الخمس، مثل: رجل، شجرة، حاسوب ...إلخ، أو اسم معنى لا يمكن إدراكه بالحواس الخمس، مثل: حزن، فرح، جشع، حسد...إلخ

وإذا عدنا إلى الاســـم المشتق نجد أنّه يأتي على ثمانية أنواع كما يلي: اســـم الفاعل، صيغ المبالغة، الصفة المشبهة، اسم المفعول، اسم التفضيل، اسم الزّمان، اسم المكان واسم الآلة.

وللمشتقات أوزان أو أبنية أو صيغ تدل على الحدث ــ مثل المصدر ــ إضافة إلى دلالتها على معنى آخر؛ فإذا اتّخذنا – مثلا– المصدر «فَتْحٌ» فجئنا منه باسم الفاعل فقلنا: «فاتح» كانت الصّيغة دالـــة على عنصرين تتألف منهمـــا عند التّحليل وهما : الفتح والفاعل .

وإذا جئنا منه بصيغة المبالغة فقلنا: «فتّاح» كانت هذه الصيغة دالة على ثلاثة عناصر، هي الفتح والفاعل والمبالغة.

وإذا جئنا منه باسم الآلة فقلنا: «مِفتاح» كانت هذه الصيغة دالة على عنصرين هما : الفتح والآلة أو الأداة التي يقع بها فعل الفتح.

وإذا اتّخذنا المصدر «عَرْضٌ» فجئنا منه باسم المكان فقلنا: مَعْرِض، كانت هذه الصيغة دالة على عنصرين هما: العَرْضُ ومكان العرض.

وإذا اتّخذنا المصدر «لطْفٌ» فجئنا منه بالصفة المشبهة باسم الفاعل، فقلنا: لطيف، فإنّها دالة على اللطف، ومن يتصف به على وجه الثبوت .

♥ سبق الحديث عن أصل المشتقات، والخلاف الذي دار بين النّحاة في هذه المسألة، في المبحث السابق من هذا الفصل.

[1]– علي كشرود، أحكام الصرف في اللغة العربية، دط. الجزائر:2003، دار القصبة للنشر، ص110.

[2]– المرجع نفسه، ص110.

وهذا أيضا شأن سائر المشتقّات فإنّها تفيدُ دلالة مركبة يكون المصدر أحد عناصره وهكذا يتبين لنا أن المشتقات صيغ نامية نموًّا داخليا طبيعيا على نحو يمكننا من التعبير عن المعاني المركبة، وهذه ميزة من ميزات اللغات الاشتقاقية بما فيها العربية.

أمّا إذا نظرنا إلى المشتقات، من حيث دلالتها على الزّمن، فإنّنا نجد أنّ دلالتها متفاوتة من نوع إلى آخر، وذلك كما يلي:

1- اسم الآلة: يعرّفه الجرجاني بقوله: "ما يعالج به الفاعلُ المفعولَ لوصول الأثر إليه."[1] وهو لا يدل على الزّمن مطلقا، سواء كان مفردا نحو: مثقاب ومنشار، أو داخلا في التركيب؛ نحو قولك: ثقبتُ الخشبَ بالمثقاب، ونشرتُه بالمنشار. ففي كلا الحالتين اسم الآلة لا دلالة له على الزّمن.

2- الصفة المشبّهة: وهي مشبّهة باسم الفاعل، وهي "اسم يشتقّ من الفعل اللازم للدلالة على حدث ثابت (دائم) في الموصوف، وهي تشبه اسم الفاعل كونها تحمل معناه."[2] نحو: حسنٌ، كريمٌ، جميلٌ...إلخ فهذه الصفات تكون غالبا دائمة في موصوفها، لهذا لا تقترن بزمن معيّن، فهي "لا زمان لها، لأنّها تدلّ على صفات ثابتة والذي يتطلّب الزّمان إنّما هو الصفات العارضة."[3] التي تتميّز بعدم الثّبات في موصوفها.

وهناك من النّحاة من ذهب إلى القول بأنّ الصفة المشبّهة تدل على الزّمن الحاضر ومنهم ابن هشام الذي ذكر أثناء حديثه عن الفروق الموجودة بين اسم الفاعل والصفة المشبه، أنّ اسم الفاعل "يكون للأزمنة الثلاثة، وهي لا تكون إلا للحاضر، أي الماضي المتّصل بالزّمن الحاضر."[4] وقد ذكر الدكتور عبد اللطيف محمد الخطيب بعض آراء النّحاة الآخرين حول الزّمن في الصفة المشبهة، وذلك أثناء تعليقه على كلام ابن هشام السّابق يقول: "ذكر الدماميني أنّ ما أثبته المصنّف هنا – أي ابن هشام- هو عين ما حكاه أبو حيان عن بعض الناس، فقد ذهب الســيرافي إلى أنّــها – أي الصفة المشبهة- أبدا للماضي، وذهب ابن السراج إلى أنها أبدا للحال، وهو مذهب الشلوبين وابن مالك، وقال أبو حيان: إنّ بعض أصحابه جمع بين القولين، فقال لا يريد السيرافي بكونها للماضي أنّ

---

[1]- الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دط. القاهرة: دس، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، ص25.

[2]- علي كشرود، أحكام الصرف في اللغة العربية، ص127.

[3]- مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ص148.

[4]- ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: عبد اللطيف محمد الخطيب، ط1. الكويت: 1421هـ/2000م، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ج5، ص397.

الصفة انقطعت، وإنما يريد أنّها تثبت قبل الإخبـــار ودامت إلى وقت الإخبار، ولا يريد ابن السراج أنّها إنما وُجدت وقت الإخبار، فلا فرق حينئذ بين القولين."[1] ومهما يكن الأمر فإنّ الزّمن في الصفة المشبهة –إن أخذنا بالقول القائل أنها تدل على الزّمن– يبقى ضيقا جدا ولا نجد فيه تنوعات كثيرة. وهذا مع إقرارنا أنّ بعض الصفات التي تقبل الزّوال من الموصوف، يمكن أن تؤدّي دلالات زمنية متنوعة؛ نحو قولك:

عهدتك **لطيفا** جدا، والآن أصبحت **قبيح** الفعال.

فالصفة المشبهة «لطيف» تدلّ هنا على الزّمن الماضي، لأنها سبقت بقرينة تصرفها إلى ذلك الفعل الماضي «عهدتُ» أمّا الصفة المشبهة «قبيح» فهي تدل على الزّمن الحاضر، لأنها اقترنت بظرف الزّمان «الآن» الذي صرفها إلى ذلك.

3–اسم التفضيل: وهو "اسم يُصاغ على وزن «أَفْعَل» فيه صفة للدلالة على أنّ شيئين اشتركا في صفة ما، وزاد أحدهما عن الآخر في تلك الصفة."[2] كما يمكن للصفة أن لا تكون مشتركة بين الشيئين، وإنما "يكون التفضيل بين شيئين في صفتين مختلفتين، فيراد بالتفضيل حينئذ: أنّ أحد الشيئين قد زاد في صفته على الشيء الآخر في صفته، كقولهم: الصّيف أحرُّ من الشتاء، أي: هو أبلغ في حرّه من الشتاء في برده وقولهم: العسلُ أحلى من الخلّ، أي: هو زائد في حلاوته على الخلّ في حموضته."[3]

أمّا من حيث الزّمن فهناك من يعتبر أنّ الصّفة في اسم التفضيل ثابتة ودائمة مثل الصفة المشبهة[4] وبالتالي لا يدل على الزّمن، ويؤكد الجرجاني صفة الثبات والديمومة في اسم التفضيل أثناء حديثه عن اسم الفاعل، وعقده مقارنة بينه وبين الصّفة المشبهة واسم التفضيل، فصرح أنّ اسم الفاعل يكون لمن قام بالفعل "بمعنى الحدوث، وبالقيد الأخير خرج عنه الصفة المشبهة، واسم التفضيل لكونهما بمعنى الثبوت لا بمعنى الحدوث"[5] وبالتالي لا يرتبط بزمن معيّن؛ لأنّ الصفة ثابتة فيه في كل الأزمنة.

---

[1]– المصدر نفسه، هامش الصفحة 397.

[2]– علي كشرود، أحكام الصرف في اللغة العربية، ص133.

[3]– مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ص153.

[4]– ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في العربية، ط2. عمان: 1428هـ/2007م، منشورات دار عمار، ص41.

[5]– الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، ص25.

ولعلّ هذا القول فيه نظر، فليس كل الصّفات التي يدلّ عليها اسم التفضيل تكون ثابتة، غير متغيّرة، فالمتتبّع لمختلف السّياقات التي يرد فيها اسم التفضيل في اللغة العربية يجد أنّه أحيانا يدلّ على صفات ثابتة، نحو قولك:

الغزال **أسرعُ** من الزّرافة.

فكوْنُ الغزال أسرع من الزّرافة يبقى صفة ثابتة لا تتغير، لأنّ الله –عزّ وجلّ– خلقهما على هذه الشاكلة من حيث الجري والسّرعة، ومنه تكون الصفة هنا مرتبطة بكلّ الأزمنة ولا نظن أحدا من العقلاء يختلف معنا في هذا، اللهمّ إلا إنّ كان من المؤمنين بنظرية التطوّر لصاحبها داروين، فمن كان حاله هذا، يمكن أن يخطر على باله أنّ الزرافة ستتطوّر في المستقبل، وتصبح أكثر سرعة من الغزال!!

وهناك حالات أخرى يأتي فيها اسم التفضيل دالا على صفات غير ثابتة، أي تتغيّر بمرور الزّمن، نحو قولك:

– كان محمد **أغنى** من زيد.

– أصبح الآن محمد **أغنى** من زيد.

– سيكون محمد **أغنى** من زيد مستقبلا.

فاسم التفضيل «أغنى» يدل في هذه الأمثلة على أزمنة مختلفة؛ فالمثال الأول دلّ فيه اسم التفضيل على الزّمن الماضي، لأنه سُبق بالفعل «كان» الدال على زمن المضي وفي المثال الثاني دلّ اسم التفضيل على الزّمن الحاضر، لأنه اقترن بظرف الزّمان «الآن» الدال على الحاضر، أمّا في المثال الأخير فدلّ على الزّمن المستقبل لأنه اقترن بقرينتين لفظيتين صرفتاه إلى ذلك، وهما «سيكون» و«مستقبلا» وكلاهما تدلان على الزّمن المستقبل.

4– اسما المكان والزّمان: وهما "اسمان مصوغان لزمان وقوع الفعل أو مكانه"[1] وهما حينما يكونان في حالة إفراد يحتملان الدلالة على الزّمان والمكان نحو: مجلــس معرض، مدخل، ومغرب، فهذه الأسماء صالحة لأن تكون أسماء زمان، كما هي صالحة لأن تكون أسماء مكان، ودخولهما في التركيب اللغوي هو الذي يرجح إحدى الدلالتين، فمثلا إذا أخذنا كلمة «مجلس» يمكن أن تكون للزّمان نحو قولنا: اختاروا يوم الغد **مَجْلِساً** لهم. أي اختاروا يوم الغد زمانَ جلوسٍ لهم. فكلمة «مجلس» في هذا المثال هي اسم زمان، ويمكن لهذه الكلمة أيضا أن تدل على المكان نحو قولنا: هذا مجلس الأمير. أي مكان جلوسه، فكلمة

[1]–أحمد الحملاوي، شذا العرف في فنّ الصرف، ص133.

«مجلس» في هذا المثال هي اسم مكان، ونلاحظ أنه لا فرق بين اسم الزّمان واسم المكان في المثالين السّابقين لا في الوزن ولا في اللفظ فكلاهما «مجلس» وإنما يفرق بينهما سياقُ الكلام[1]، وما يحيط بهما من قرائن.

5-اسم الفاعل: وهو "صفة تؤخذُ من الفعل المعلوم♥، لتدلّ على معنى وقع من الموصوف بها أو قام به على وجه الحدوث لا الثبوت."[2] نحو قولك: جالس و نائم، فهذه الصفات لا يبقى موصوفها متّصفا بها دائما؛ فالجالس سيقوم، والنائم سيستيقظ، وهكذا دواليك ومن هنا يظهر الفرق بين اسم الفاعل والصفة المشبهة؛ فاسم الفاعل يدل على صفة متجدّدة بتجّدد الأزمنة، أمّا الصفة المشبهة "فإنها قائمة بالموصوف بها على وجه الثبات والدوام فمعناها دائم ثابت، كأنه من السّجايا والطبائع اللازمة."[3]

واسم الفاعل مرتبط ارتباطا وثيقا بالفعل المضارع؛ لأنه مشتق منه، وهذا ما أشار إليه الجرجاني في تعريفه الذي قدّمه لاسم الفاعل؛ إذ يقول: "ما اشتُقّ من«يَفعَلُ» لمن قام به الفعل بمعنى الحدوث، وبالقيد الأخير خرج عنه الصفة المشبهة، واسم التفضيل لكونهما بمعنى الثبوت لا بمعنى الحدوث."[4] والمعروف في كتب النحو والصرف أنّ اسم الفاعل يُؤخذ من الفعل الثلاثي المجرد على وزن «فاعَل» مثل: كتبَ- يكتبُ- كاتبٌ، أمّا إن كان من غير الثلاثي فإنه يصاغُ على وزن مضارعه المعلوم بإبدال حرف المضارعة ميــما مضمومة وكسر ما قبل آخره، مثل: تكلّمَ- يتكلّمُ – مُتَكلِّمٌ، وهناك ألفاظ أخرى قد شذّت عن هذه القاعدة مثل: مُحْصَنٌ- مُهتَرٍ، والتي جاءت بفتح ما قبل الآخر.[5]

ويجدرُ بنا في هذا المقام أن نعود قليلا إلى الماضي لنُذكّر – ولو في عُجالة- بجانب من الخلاف الذي حدث بين البصريين والكوفيين في نظرتهم إلى اسم الفاعل ودلالته الزّمنية؛ فالبصريون يعتبرون اسم الفاعل اسما لقبوله علامات الاسمية كالتنوين الإضافة والألف اللام وغيرها من العلامات، وهذا مع اعترافهم أنّ اسم الفاعل يمكن أن يعمل عمل فعله، وفي هذا المعنى يقول سيبويه: "هذا باب من اسم الفاعل الذي جرى مجرى الفعل المضارع في

---

[1]- ينظر: أحمد الحملاوي، شذا العرف في فنّ الصرف، ص133.

♥ يقصد بالفعل المعلوم هنا الفعل الذي عُلم فاعله، وهو عكس الفعل المبني للمجهول، أو ما يسميه النحاة القدماء الفعل الذي لم يسمّى فاعله.

[2]- مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ص144.

[3]- المرجع نفسه، ص144.

[4]- الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، ص25

[5]- ينظر: مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ص145.

المفعول في المعنى، فإذا أردت فيه من المعنى ما أردت في «يَفعَلُ» كان نكرة منونا، وذلك قولك: هذا ضاربٌ زيدًا غدا. فمعناه وعمله مثل: هذا يضربُ زيدا غدا، فإذا حدّثت عن فعل في حين وقوعه غير منقطع كان كذلك، وتقول: هذا ضاربٌ عبدَ الله الساعةَ، فمعناه وعمله مثل: هذا يضربُ زيدًا الساعةَ."[1]

أمّا الكوفيون فإنّ لديهم تقسيما آخر للفعل غير التقسيم الذي قال به البصريون (فعل ماض، فعل مضارع، فعل أمر) إذ أبعدوا فعل الأمر من هذا التقسيم ووضعوا مكانه قسيما ثالثا للفعلين الماضي والمضارع، سموه «**الفعَلُ الدائم**» ويقصدون به اسم الفاعل العامل عمل فعله.[2]

ولن نطيل الحديث كثيرا حول هذا الخلاف، لأنّ ما يهما هنا هو الدلالة الزّمنية لاسم الفاعل، والتي أقرّ بها البصريون والكوفيون على حد سواء، وسأختم كلامي عن اسم الفاعل بقصة طريفة رواها صاحب "كتاب الأشباه والنظائر" حَدَثَتْ للكسائي في مجلس هارون الرشيد، وهي كما يلي:

روى المرزباني عمّن سمع الكسائي يقول: "اجتمعتُ وأبو يوسف القاضي عند هارون الرشيد، فجعل أبو يوسف يذمُّ النّحو ويقول: ما النّحو؟ فقلت: وأردتُ أن أعلمه فضل النّحو: ما تقول في رجل قال لرجل: أنا قاتلُ غلامِكَ، وقال له آخر: أنا قاتلٌ غلامَكَ. أيُّهُما كنتَ تأخذُ به؟ قال: أخذهما جميعا. فقال له هارون: أخطأتَ، وكان له علم في بالعربية، فاستحى وقال: كيف ذلك؟ فقال: الذي يؤخذ بقتل الغلام هو الذي قال: أنا قاتلُ غلامِكَ بالإضافة، لأنه فعل ماض، فأمّا الذي قال: أنا قاتلٌ غلامَكَ بلا إضافة، فإنّه لا يُؤخذ، لأنه مستقبل لم يكن بعد."[3]

ومنه نستنتج أنّ اسم الفاعل يمكن أن يعبّر عن الأزمنة المختلفة حسب السياق والقرائن المحيطة به؛ وهو ما سنتطرق إليه في آخر هذا المبحث إن شاء الله.

---

[1]– سيبويه، الكتاب، ج1، ص164.

[2]– ينظر: إبراهيم السامرائي، الفعل زمانه وأبنيته، ط3. بيروت: 1403هـ/1983م، منشورات مؤسسة الرسالة، ص19 وما بعدها. وينظر أيضا: عبد المجيد جحفة، دلالة الزمن في العربية، ط1. المغرب: 2006م، منشورات دار توبقال، ص49 وما بعدها.

[3]– جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر، تح: طه عبد الرؤوف سعد، مصر: دس، منشورات مكتبة الكليات الأزهرية ، ج3، ص244.

6- صيغ المبالغة: صيغ المبالغة هي أسماء مشتقة تتطابق في معناها مع اسم الفاعل فهي تدلّ على ما يدلّ عليه اسم الفاعل بزيادة في درجة وشدة وقوع تلك الصفة يصل إلى حد المبالغة[1] ولها أوزان كثيرة أشهرها:

فَعّال: مثل **حَمَّال**؛ أي كثير الحمل.

فعولٌ: مثل **شَروبٌ**؛ أي كثير الشّرب.

مِفْعالٌ: مثل **مِطْواعٌ**؛ أي كثير الطواعية.

فَعيلٌ: مثل **عليمٌ**؛ أي كثير العلم.

فَعِلٌ: مثل **حَذِرٌ**؛ أي كثير الحذر.

فَعّالةٌ: مثل **فَهَّامَةٌ**؛ أي كثير الفهم.

فِعّيلٌ: مثل **صِدِّيقٌ**؛ أي كثير الصّدق.

أمّا من حيث دلالة هذه الصيغ على الزّمن فهناك من النحاة والدارسين من يرى أنّ "من شأن صيغة المبالغة أن تفيد الاستمرار، لأنّها تفيد الكثرة والمبالغة، فهي تتحدث عن طَبْعٍ عُرف عند صاحبه في الماضي والحاضر، ولابدّ أن يلازمه في المستقبل يساعدها في ذلك ارتباطها باسم الفاعل، وزيادتها عليه في ملازمة الحدث أو الاستمرار."[2]

وبالمقابل من هذا نجد طائفة أخرى من الدارسين -خاصة المتأخرين منهم- يرون أنّ الفيصل في تحديد زمن صيغة المبالغة هو السياق والقرائن المصاحبة لهذه الصـــيغة يقول الدكتور تمام حسان في خضم حديثه عن المشتقات: "والمقصود بالوصف هنا ما أحصيناه من قبل عند تقسيم الكلم وهو: صفة الفاعل وصفة المفعول وصفة المبالغة....فكل هذه الصّفات تخضع للقرينة في إفادة الزّمن."[3] فمثلا في قولنا:

كان هولاكو **سَفّاحا** يحب الدّماء.

فكلمة "سفّاحا" هنا جاءت على وزن "فعّالا" وهي صيغة مبالغة تدلّ على الزّمن الماضي لأنها سُبقت بقرينة صرفتها إلى ذلك هي الفعل الناقص "كان". وفي قولنا:

إنّي لصبورٌ على الرّزيا بإذن الله.

---

[1]- ينظر: مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ص153.

[2]- كمال رشيد، الزمن النحوي، ص90.

[3]- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص254.

نجد أنّ كلمة "صبور" جاءت على وزن "فعول" وهي صيغة مبالغة تدلّ على الزّمن الحال أو الحاضر؛ لأنّ المتكلم هنا يتحدث عن حاله الراهنة وقدرته على التجلّد والصبر عند المحن والمصائب. وفي قولنا:

سيكون ولدي هذا علاّمة بإذن الله.

نجد أنّ كلمة "علاّمة" التي جاءت على وزن "فعّالة" وهي صيغة مبالغة تدلّ على الزّمن المستقبل؛ لأنّ المتكلم يتحدث عن أمر يرجو حدوثه مستقبلا، وهذا مع ضرورة الإشارة إلى أنّ جهة الاستمرار ملازمة للزّمن في الأمثلة السابقة؛ فصفة السفاح بقيت مستمرة مع هولاكو في المثال الأول، وصفة الصبر بقيت مستمرة مع المتكلم في الزّمن الحاضر ومرشحة للاتصاف بها في المستقبل، وصفة العلم مرشحة أن تكون مستمرّة مع هذا الولد مستقبلا في المثال الثالث.

7- اسم المفعــول: وهو "اسم مشتق من الفعل المبنيّ للمجهول للدلالة على وصف من يقع عليه الفعل، وهو كذلك يدلّ على معنى مجرّد غير دائم"[1] أي أنه صفة تكون "على وجه الحدوث والتجدّد، لا الثبوت والدوام."[2]

والمعروف عن اسم المفعول أنه يصاغ من الفعل الثلاثي المجّرد على وزن "مفعول" مثل: أكلَ/مأكولٌ، شربَ/ مشروبٌ. وإن كان من غير الثلاثي المجرد فإنه يبنى على لفظ مضارعه المجهول، بإبدال حرف المضارعة ميما مضمومة[3]، مثل: يُحْتَرَمُ/مُحْتَرَمٌ يُسْتَعَانُ/ مُسْتَعَانٌ.

وهناك حالات يأتي فيها اسم المفعول بلفظ واحد مع اسم الفاعل مثل: مُحتاجٌ ومُختارٌ "وفي هذه الحال يبقى السياق هو المحدّد لطبيعة المشتق."[4]

أمّا من حيث دلالته على الزّمن فينطبق عليه ما ينطبق على اسم الفاعل[5]، وهذا ما يؤكّده الدكتور علي جابر المنصوري بقوله: "تُسَاوِقُ -أي صيغة المفعول- اسم الفاعل في

---

[1]- علي كشرود، أحكام الصرف في اللغة العربية، ص121.

[2]- مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ص146.

[3]- المرجع نفسه، ص146.

[4]- علي كشرود، أحكام الصرف في اللغة العربية، ص123.

[5]- نشير هنا إلى أنّ البصريين يعتبرون اسم المفعول اسما على غرار المشتقات الأخرى، بينما الكوفيون يعتبرونه فعلا دائما مثل اسم الفاعل الذي سبق الحديث عنه، والمعروف أنّ قول البصريين في اسمي الفاعل والمفعول هو المعتمد لدى معظم الدراسين المعاصرين، بينما انتصر لمذهب الكوفيين طائفة قليلة من الدارسين أمثال الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي. ونشير في هذا الصدد إلى أنّ الدكتور تمام حسان قد اعتبر اسم =

دلالته الزّمنية، فهي في أغلب الظن تدلّ على الدوام في حال اتصال «أل» بها وهي إذا نوّنت دلّت على الحال والاستقبال، وإذا أُضيفت دلّت على الماضي."[1]

وبما أنّ الدلالة الزّمنية لاسم المفعول تتطابق مع الدلالة الزّمنية لاسم الفـــاعل فإنّه يمكن أن نلخّص دلالة هذين الاسمين على الزّمن كما يلي:[2]

– إذا جاء اسم الفاعل أو اسم المفعول منونا، فإنّ دلالتهما الزّمنية تكون للحاضر أو الاستقبال، وتترجح إحداهما عن الأخرى عن طريق القرينة والسياق العام للكلام.

– إذا جاء هذان الاسمان مضافان كانت دلالتهما الزّمنية هي الماضي.

– وإذا جاءا معرفان بالألف واللام تكون دلالتهما الزّمنية إمّا الماضي أو الحاضر أو المستقبل، وذلك حسب القرينة والسياق المصاحبان للكلام، وسيتضح كل هذا من خلال التمثيل له من شعر نزار قباني.

ويمكن أن نلخّص كل ذلك في الجدول التالي:

اسم الفاعل واسم المفعول مع التنوين	اسم الفاعل واسم المفعول مع الإضافة	اسم الفاعل واسم المفعول المعرفان بالألف واللام
الغالب في دلالتهما الزّمنية هي الحاضر والمستقبل	الغالب في دلالتهما الزّمنية هي الماضي	يدلان على الأزمنة الثلاثة حسب السّياق والقرينة

***أمثـــلة عن الدلالة الزّمنية لاسم الفاعل واسم المفعول:** رغم أنّ الحديث في هذا المبحث يدور حول الدّلالة الزّمنية للمشتقات، إلاّ أنّنا ارتأينا التمثيل فقط لاسم الفاعل واسم المفعول، باعتبارهما أكثر المشتقات ثراء في التعبير عن الزّمن، وسنحاول أن نبيّن جانبا من هذا الثراء من خلال شعر نزار قباني، أو بالاستعانة بأمثلة أخرى في حالة ما تعذّر إيجاد المثال المناسب للحالة المدروسة في شعر نزار قباني، وهذا في ظل الحالات الثلاثة التي يأتي عليها هذان الاسمان وهي التنوين، الإضافة، والتعريف بالألف واللام، كما هو موضّح في الجدول أعلاه.

=المفعول وغيره من المشتقات عبارة عن صفات وليست أسماء، وذلك من خلال التقسيم السّباعي للكلم الذي اعتمده في أبحاثه ومصنفاته المختلفة.

[1]– علي جابر المنصوري، الدلالة الزمنية في الجملة العربية، ط1. عمان: 2002، منشورات الدار العلمية الدولية، ص66.

[2]– ينظر: كمال رشيد، الزمن النحوي، ص89.

1-التنوين: أشرنا آنفا إلى أنّ اسم الفاعل والمفعول يدلان غالبا على الزّمن الحاضر أو المستقبل حين دخول التنوين عليهما، ويتم ترجيح أحد الزّمنين عن طريق القرين والسّياق فمن أمثلة دلالة اسم الفاعل على الزّمن الحاضر قول نزار قباني:

أنا **آسفٌ** جدّا
إذا عكّرتُ سهرتَك الجميلةَ
أنا **آسفُ** جدّا
إذا أظهرتُ كلَّ توحشي... وخشونتي
هذا المساءْ[1]

فنزار هنا يعتذر لحبيبته عما صدر منه من سوء التصرف تجاهها، وكلمة «آسفٌ» هنا هي اسم فاعل، دلالته الزّمنية هي الحاضر؛ لأنّ نزار يعبّر عن أسفه وندمه في الزّمن الحاضر الذي يحدّث فيه محبوبته، ويُفهم ذلك من خلال السياق العام للكلام.

أمّا اسم المفعول فقد يدلّ بدوره على الزّمن الحاضر عندما يأتي منوّنا؛ ومن ذلك قول نزار قباني:

طالبتُ ببعض الشّمسِ
فقال رجل الشّرطة:
قفْ. يا سيّدُ في الطابور
.....
طالبتُ برؤية وجه الله
لماذا؟
قلتُ: لأنّي إنسانٌ **مَقْهُورْ**
فأشار إليّ بإصبَعِهِ
وفهمتُ بأنّ المقهورين
لهم أيضا طابورْ[2]

فنزار في هذه الأسطر يتحدّث عن القهر والاستبداد الذي تمارسه بعض الأنظمة العربية في حقّ مواطنيها؛ حيث تحرمهم من أبسط حقوقهم في الحياة. وكلمة «مقهور» هي

[1]- غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص227.

[2]- المرجع نفسه، ص274.

اسم مفعول دلالته الزّمنية هي الزّمن الحاضر؛ لأنّ الشّاعر يعبّر عن حاله وواقعه الراهن بما يعيشه من معاناة وظلم.

أمّا دلالة اسم الفاعل على زمن المستقبل فنمثل لها بقول نزار:

تغلغلَ اليهُودُ في ثيابنَا
صارُوا على متْرينِ من أبوابنَا
ناموا على فِرَشِنَا
وكلُّ ما نملكُ أن نقولهُ:
إنّا إلى الله **لرَاجِعُونْ**[1]

فنزار هنا يتحدث عن الهزيمة الحضارية لأمتنا أمام اليهود والغرب بشكل عام ويعيبُ على الأمة هذا الاستسلام والخنوع، وكأنّ هذه الهزيمة مقدّرة من الله –عزّ وجلّ– ولا مجال لتغيير الأوضاع نحو الأفضل.

وكلمة «راجعون» هي اسم فاعل جاء بصيغة الجمع مفرده «راجعٌ» والمعروف لدى النحاة أنّ نون الجمع تنوب عن التنوين في المفرد، والدلالة الزّمنية لاسم الفاعل هنا هي زمن المستقبل؛ لأنّ رجوع الإنسان إلى الله يكون في المستقبل بعد موته.

ونُمثّلُ لدلالة اسم المفعول على زمن المستقبل بالمثل التالي: قال الأبُ لابنه:

سأكون **مَفْجُوعًا** إذا لم رسبتُ في دراستكَ.

فكلمة «مفجوعا» اسم مفعول يدلّ على الزّمن المستقبل؛ لأنه سُبق بالسين التي تدل على الاستقبال، كما أن إصابة الأب بالفاجعة مقترن بحدوث شرط في المستقبل يتمثّل في رسوب الابن.

ملاحـــظة: رأينا فيما سبق أنّ الأصل في اسم الفاعل واسم المفعول أن يدلاّ على الحال أو الاستقبال في حال مجيئهما منونين، ولكن هذه القاعدة ليست عامة في كلّ الحالات؛ فيمكن لهذين الاسمين أن يدلا على الزّمن الماضي حتى في حال التنوين، ومن ذلك في حال مجيئهما في سياق الحكاية؛ كقوله تعالى حكاية عن أصحاب الكهف: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالوَصِيدِ﴾ (الكهف: 18) فكلمة «باسط» اسم فاعل منوّن، ودلالته الزّمنية هي الماضي؛ لأنه جاء في سياق الحكاية.

ونضرب مثالا على ذلك من شعر نزار في قوله:

في مركزٍ للأمْنِ في بلاديّهْ

[1]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص287.

.....

كان هناك الخوفُ من أمامنا

والخوفُ من ورائنا

و**ضابطٌ** مدجّجٌ بخمس نجمات...

وبالكراهيّهْ[1]

فنزار يصف هنا مشهدا من مشاهد التفتيش في إحدى مراكز الأمن، والخوف قد بلغ مداه لدى المواطنين المعرضين لهذا التفتيش، وقد زاد الوضعَ سُوءً المعاملةُ السيئةُ التي يعامل بها الضّباط هؤلاء المواطنين. وكلمة «ضابط» هنا هي اسم فاعل جاء مُنونا ودلالته الزّمنية هي الماضي؛ باعتبار أنه جاء في سياق السّرد والحكي.

2-الإضـــافة: ذكرنا سابقا أنّ الغالب في اسم الفاعل واسم المفعول عندما يأتيان مضافين أن تكون دلالتهما الزّمنية هي الماضي، نحو قولنا: «هذا **سارقُ** السيارةِ» و«هذا **محصُولُ** الحقلِ» فاسم الفاعل في المثال الأول، واسم المفعول في المثال الثاني يدلان على الزّمن الماضي؛ لأنّ حدث السّرقة حدث وانتهى في المثال الأول، والحقل حُصد وجُمع محصوله في المثال الثاني، وللتوضيح أكثر سنضرب مثالا من شعر نزار قباني حيث يقول في إحدى قصائده:

يا ملكَ المغولْ

يا **قاهرَ** الجُيُوشِ، يا **مُدحرجَ** الرؤوس

يا **مُدوّخَ** البحورْ

يا **عاجنَ** الحديد، يا **مُفتّت** الصخورْ

يا **آكل** الأطفال... يا **مُغتصبَ** الأبكارِ

يا **مُفترِسَ** العطورْ[2]

فهذه الأسطر الشعرية مليئة بأسماء الفاعل، وقد جاءت كلها مضافة دالة على الزّمن الماضي؛ لأنّ الشاعر يخاطب ملك المغول بأوصاف اتّصف بها في الماضي؛ فقهر الملك للجيوش، ودحرجته للرؤوس، وتدويخه البحور، وعجنه الحديد، وما إلى ذلك من الأفعال التي صدرت من هذا الملك قد حدثت في الزّمن الماضي، وهذا أمر يفهمه قارئ هذه الأسطر بوضوح.

---

[1]- غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص267.

[2]- المرجع نفسه، ص327.

ملاحـــظة: رأينا أنّ الأصل في اسم الفاعل واسم المفعول المضافين أن تكون دلالتهما الزّمنية هي الماضي، ولكن هناك حالات يأتي فيها هذان الاسمان دالاّن على الزّمن الحاضر أو المستقبل، ويفهم ذلك من سياق الكلام والقرائن المصاحبة لهذين الاسمين فلنتأمل في الأمثلة التالية:

- الآن أنت **قائـــدُ** الفريق.
- أصبح الولدُ الآن **معروفَ** النّسبِ.
- يوما ما ستصبحُ **قائـــدَ** الفريق.
- بعد انتهاء التحقيق سيصبحُ الولدُ **معروفَ** النسبِ.

فنلاحظ في المثالين الأول والثاني أنّ اسم الفاعل "قائد" واسم المفعول "معروف" يدلان على الزّمن الحاضر؛ لأنّهما سُبقا بظرف الزّمن "الآن"، أمّا المثالان الثالث والرابع فنجد أن نفس الاسمين قد دلاّ على الزّمن المستقبل لكونهما سُبقا بسين التسويف.

3- التعريف بالألف واللام: الحالة الثالثة والأخيرة لاسم الفاعل والمفعول هي مجيئهما مُعرّفان بالألف واللام، وفي هذه الحالة يمكن أن يدلاّ على الأزمنة الثلاثة (الماضي الحاضر، المستقبل) وذلك حسب السّياق والقرائن المصاحبة لهما، وسنضرب مثالا عن كل زمن كما يلي:

أ-الزّمن الماضي: ونمثّل لذلك بقول نزار قباني:

لمْ يبقَ فيهم لا أبُو بكرٍ ولا عثْمانْ
جميعهُم هياكلٌ عظميّةٌ في متحَفِ الزّمانْ
تساقط **الفُرسانُ** عن سُرُوجِهِمْ
وأُعْلنتْ دَوْلَةُ الخِصْيَانْ[1]

فنزار يتحدث هنا عن الحكام العرب الذين ضيّعوا أوطانهم، وخيّبوا آمال شعوبهم وذلّوا وخنعوا للعدو الذي سلّموه أرضهم وخيراتها على طبق من ذهب. وكلمة "الفرسان" هنا هي اسم فاعل جاء على صيغة الجمع الذي مفرده "فارس" والدّلالة الزّمنية لهذا الاسم، من خلال سياق الكلام، هي الزّمن الماضي؛ لأنّ هذه الهزيمة والسقوط الحضاري قد حدث في الواقع، ولم يعد هناك فرسان يدافعون عن حياض هذه الأمة.

أمّا دلالة اسم المفعول على الزّمن الماضي فذلك نحو قولنا:

[1]-غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص315.

قام **المَقْصَيُّونَ** من الاستفادة من السكن الاجتماعي بوقفة احتجاجية أمام دار البلدية. فكلمة "المقصيون" اسم مفعول معرف بالألف واللام، وجاء هنا بصيغة الجمع الذي مفرده "مَقْصَيّ" ودلالته الزّمنية هي الماضي؛ فالإقصاء من الاستفادة من السكن كان سببا للوقفة الاحتجاجية، والكلام جاء هنا في سياق السّرد والحكاية.

ب-الزّمن الحاضر: سنمثّل لهذه الحالة بقول نزار قباني في إحدى قصائده:

يا وَطني **الغارقُ** في دمائهِ
يأيّها **المطعونُ** في إبائهِ
مدينةً مدينةً
نافذةً نافذةً
.....
مئذنةً مئذنةً
أخافُ أن أُقرِئَكَ السّلامْ[1]

فنزار يتحدث هنا عن الوطن العربي، وما تعرّض له من انتهاك في حرماته وطعن في شرفه وإبائه؛ وذلك بسب خيانة الأبناء، وظلم الأعداء. ونلاحظ هنا مجيء كلمة "الغارق" وكلمة "المطعون" مُعرّفتان بالألف اللام، وهما اسم فاعل واسم مفعول على التوالي، ودلالتهما الزّمنية هي الحاضر؛ لأنّ نزار يخاطب وطنه ويصف حالته الراهنة أثناء توجيه الخطاب له والسياق هو الكفيل بتحديد هذه الدلالة الزّمنية.

ج- الزّمن المستقبل: ونمثلّ لدلالة اسم الفاعل المُعرّف بالألف واللام على الزّمن المستقبل بقول نزار قباني في رائعته "القدس":

يا قدسُ يا حبيبتي
غدا غدا سيُزهرُ الليْمونْ
.....
ويرجُعُ الأطفال يلعبونْ
ويلتقي الآباءُ والبنونْ
على رُباكِ **الزّاهرهْ**
يا بلدي... يا بلد السلامِ والزيتُونْ[1]

[1]- غالية محمد حسن، نزار قباني ولأروع قصائده، ص374.

فنزار هنا – رغم كل ما تعيشه القدسُ من عدوان– متفائلُ بقُرب مجيء اليوم الذي ستسترجع فيه القدس حريتها، ويزهر فيها الليمون، وتُزهر فيها رُباها الطاهرة ويلتقي فيها أبناؤها دون خوف أو رعب. وكلمة "الزاهرة" هنا اسم فاعل مُعرّف بالألف واللام دلالته الزّمنية هي المستقبل؛ لأنّ الشاعر يتحدث عن الغد المشرق الذي يتمنى حدوثه في القدس والقرينة الدالة على ذلك هي لفظة "غدا" التي صرفت الحدث الذي يدلّ عليه اسم الفاعل إلى الزّمن المستقبل.

ونضرب مثالا لدلالة اسم المفعول المُعرّف بالألف واللام على الزّمن المستقبل بقولنا:

سيستفيدُ الفريقُ **المتوّجُ** من مبلغٍ ماليٍّ كبيرٍ.

فكلمة "متوّج" اسم مفعول دلالته الزّمنية هي المستقبل؛ لأنّ عملية التتويج لم تحصل بعد، مثلما هو واضح من سياق الكلام.

ملاحظة: تحدّثنا فيما سبق عن أهم الدلالات الزّمنية للأسماء المشتقة؛ وقد ركزنا في ذلك على اسم الفاعل واسم المفعول؛ باعتبارهما من أكثر المشتقات ثراء في التعبير عن الزّمن، ونريد هنا أن نذكر بعض النقاط المتعلقة بالموضوع وهي:

* لم نتطرّق لموضوع الجهة عند حديثنا عن الدلالة الزّمنية لاسم الفاعل واسم المفعول؛ وهذا لا يعني أنّ هذه الأسماء لا تتلبس بالجهات الزّمنية المختلفة، بل يمكن لهذه الأسماء أن تأتي دلالتها الزّمنية مقترنة بالجهات الزّمنية المختلفة التي سبق ورأينها في الفصول السابقة عند حديثنا عن زمن الفعل، ولتأكيد ذلك نضرب الأمثلة التالية:

– كان الرّجلُ يزُونِي كلّ صَباحٍ **حَاملاً** باقةَ ورْدٍ في يَدِهِ.

– مازال الرجلُ **حَافِظًا** على عهده.

– سيبقى التاجرُ **مَهْمُومَا** دائما إذا فشلَ في مشْرُوعهِ هذا.

فالمثال الأول نجد فيه الدلالة الزّمنية لاسم الفاعل "حاملا" هي الماضي؛ لأنّ الكلام سُبق بالفعل الناقص "كان" ومن حيث الجهة نجد أنّ التي اقترنت بالزّمن الماضي هنا هي جهة التجدّد؛ أي أنّ الرجل يتجدّد حمله لباقة الورد كلّ صباح؛ فبالتالي تكون الدلالة الزّمنية لاسم الفاعل في المثال الأول هي **الماضي المتجدّد.**

وفي المثال الثاني نجد اسم الفاعل "حافظا" يدلّ على الزّمن المـــاضي أيضا وحفظ العهد هنا ما زال مستمرا في الحاضر؛لأن اسم الفاعل اقترن هنا بالفعل الناقص "مازال" التي جعلت منه يدلّ على جهة الاستمرار، ومن تكون الدلالة الزّمنية لاسم الفاعل هنا هي **الماضي**

[1]– نزار قباني، الأعمال الكاملة، ج3، ص164.

المستمر، أو **الماضي المتصل بالحاضر**، ويؤكد الدكتور مهدي المخزومي هذا المعنى بقوله: "وَتُستعملُ صيغة «فاعل» للتعبير عن استمرار الحدث في الماضي بلا انقطاع حتى اللحظة الحاضرة، وذلك مع (ما زال) و(ما انفك) و(ما فتئ) و(ما برح) نحو: ما زال الجوُّ مبلّدا..."[1]

أمّا المثال الثالث والأخير فنجد اسم المفعول "مهموما" قد دلّ على الزّمن المستقبل؛ لأنّ إصابة التاجر بالهمّ مرهون بفشل مشروعه التجاري في المستقبل، وقد أفادت كلمة "دائما" استمرار هذا الهمّ في التاجر في حالة فشل مشروعه، ومنه تكون الدلالة الزّمنية لاسم المفعول هنا هي **المستقبل المستمر**.

*وهناك نقطة أخرى يجدر الإشارة إليها هنا؛ وهي أنّ اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وصيغ المبالغة واسم التفضيل، إذا استُعمِلت كأسماء أعلام، فإنها تفقد دلالتها الزمنية مثل:

-أبو بكر **الصّديقُ** خليفة المسلمين

-**أكرمُ** تلميذٌ مجتهدٌ

- **حامدٌ** رجلٌ صالحُ

- **منصورٌ** تاجرٌ أمينٌ

- **كريمٌ** شابٌ عفيفٌ.

فكلمة "الصديق في المثال الأوّل هي صيغة مبالغة على وزن "فِعِّيل"، وكلمة "أكرم" في المثال الثاني جاءت على وزن "أفعل" وهو وزن يصلح أن يكون اسم تفضيل ويصلح أن يكون صفة مشبّهة، وكلمة "حامد" في المثال الثالث اسم فاعل جاءت على وزن "فاعل" وكلمة "منصور" في المثال الرابع جاءت على وزن "مفعول" وهي اسم مفعول، وصيغة "كريم" في المثال الأخير جاءت على وزن "فعيل" وهي صفة مشبهة باسم الفاعل، وكل هذه الأسماء جاءت هنا دالة على أسماء أعلام، ومنه تكون خالية من الدلالة الزّمنية.

*قد تأتي المشتقات دالة على مطلق الزّمن؛ أي أنّها لا تقتصر على زمن معيّن وإنّما تشمل الأزمنة الثلاثة (الماضي، الحاضر، والمستقبل) وهذه الظاهرة موجدة أصلا في الصفة المشبهة بالفعل التي تدلّ صفة ثابتة في الموصوف بها، فعندما نقول: «محمدٌ **حسنُ** الخلق» فالغالب أن تكون صفة حسن الخلق موجودة في محمد قبل الكلام عنها؛ أي في المـــاضي وهي موجودة فيه حين الحديث عنها؛ أي في الحاضر، وهي مرشّحة أن تستمرّ مع محمد في المستقبل، وهذا هو الغالب في الصفة المشبهة، أما المشتقات الأخرى –ونخصّ هنا اسم

[1]– مهدي المخزومي، في النّحو العربيّ نقد وتوجيه، ص159.

الفاعل واسم المفعول فالأصل فيهما أن يدلاّ على الأزمنة المختلفة حسب السياق والقرائن وهذا ما رأيناه آنفا، ولكن يمكن أن يدلاّ أيضا على زمنٍ مطلقٍ شاملٍ للأزمنة الثلاثة كلها ومن الحالات الدالة على ذلك ما يلي:[1]

– عندما تكون الأحداث متعلقة بصفات وأفعال الله –عزّ وجلّ– نحو قوله تعالى: ﴿إنّ اللهَ فَالقُ الحَبِّ والنّوَى﴾ (الأنعام: 95) فاسم الفاعل "فالق" يدلّ في هذه الآية على مطلق الزّمن.

– عند التعبير عن الحقائق والظواهر الكونية الثابتة نحو قولنا: «الجوّ **حارٌ** في الصيف و**باردٌ** في الشتاء» فاسما الفاعل "حار" و"بارد" يدلان هنا على مطلق الزّمن لأنّهما يعبران عن حقائق كونية موجود – ربما– منذ خلق الكون، ومرشّحة أن تبقى كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

– في الأمثال والحكم والأقوال المأثورة، مثل: «**صاحبُ** الحقِّ سلطانٌ» فهذا المثال ينطبق على الحياة بشكل عام، ولا يختص بزمن دون آخر.

– عندما يتعلّق الأمر بالأحكام الشرعية، نحو قوله تعالى: ﴿الزّانِي لا يَنْكِحُ إلاّ زانِيَةً أو مُشْرِكَةً والزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إلاّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ وحُرِّمَ ذلكَ عَلَى المُؤْمِنِينَ﴾ (النور:03) فالحكم هنا عام صالح لكل زمان، ولا يختصّ بزمن دون آخر.

–عندما يدل اسم الفاعل أو المفعول على أحداث تؤدّى في حق الله – عزّ وجلّ– نحو قــوله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيــراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْــراً عَظِيماً﴾ (الأحزاب: 35) .

* * *

[1]– ينظر: محمد حسن قواقزة، "الدلالة الزمنية للأسماء في اللغة العربية: اسم الفاعل واسم المفعول والمصدر أنموذجا"، مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، الأردن: 2015، مجلد 42، ع1.

3)**أسماء لها دلالة زمنيّة:** ربما لن أكون مُجانبا للصواب إذا قلتُ إنّ اللغة العربية من أكثر اللغات التي تملك كمّا هائلا من الأسماء التي لها دلالة زمنية، والحقيقة أنّ الإحاطة بكل حيثيات هذا الموضوع يتطلب وقتا وجهدا كبيرين يضيق هذا المبحث البسيط لهما، فهذا الموضوع يستحقّ أن يكون بحثا مستقلا يتفرغ له الباحثون للوقوف على كلّ تفاصيله ودقائقه ولكن كما يقول المثل: «ما لا يُدركُ كلّه لا يُتركُ جُلُّه» وبالتالي سنحاول أن نقف عند طائفة من أسماء الزّمن التي وردت في شعر نزار قباني وسنحاول في كل مرّة أن نقف عند معنى ذلك الاسم، ثمّ تقديم مثال له من شعر نزار قبّاني، وقبل الشروع في ذلك لا بد من التذكير بأنّ أسماء الزّمن في اللغة العربية تأتي غالبا على ثلاث حالات كما يلي:

– **اسم الزّمان المشتق:** وهو الذي سبق الحديث عنه في باب المشتقات، و"هو كلّ ما يؤخذ من الفعل للدلالة على زمان الحدث، نحو: «وافِنِي **مطلع** الشمس» أي: وقت طلوعها."[1] وهو يعرب حسب موقعه في الجملة.

– **ظرف الزّمان:** ويسمى أيضا المفعول فيه، و"هو اسم ينتصبُ على تقدير "في" يُذكرُ لبيان زمن الفعل"[2] وبتعبير آخر "هو ما يدلّ على وقتٍ وقع فيه الحدثُ نحو: سافرتُ ليلا"[3] وتقدير الكلام: سافرت في الليل. "والظرف في الأصل، ما كان وعاء لشيء، وتُسمّى الأواني ظروفا، لأنّها أوعية لما يُجعلُ فيها، وسُمّيت الأزمنة والأمكنة ظُروفا، لأنّ الأفعال تحصلُ فيها، فصارت كالأوعية لها".[4]

– **اسم زمان غير مشتق ولا ظرف:** وهو ما لا يدخل في القسمين السابقين، فهو لا يدخل في باب المشتقات، و"لا يكون على تقدير «في» فلا يكون ظرفا، بل يكون كسائر الأسماء على حسب ما يطلبه العامل، فيكون مبتدأ وخبرا نحو: «**يومُنا يومٌ** سعيدٌ» وفاعلا نحو «جاءَ **يومُ** الجُمُعةِ» ومفعولا به نحو «لا تُضيِّعْ **أيّامَ** شَبابِكَ» ويكون غير ذلك"[5]

ومنه نتوصّل إلى نتيجة مفادها إنَّ ظرف الزّمان يكون دائما منصوبا، ويعرب ظرف زمان مفعول فيه، نحو قولك: «يصلُ القطارُ **بعدَ** قليل»، واسم الزّمان يكون دائما مشتقّا ويعربُ حسب موقعه في الكلام، نحو قولك: «ينتظرُ الصّائمُ **مغربَ** الشّمس» فكلمة "مغرب" اسم زمان مُشتقّ من الفعل "غَرَبَ" ومصدره "غُروبٌ" وهو يُعرب حسب موقعه في الكلام.

---

[1]– مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ص159.

[2]– المرجع نفسه، ص462.

[3]– المرجع نفسه، ص462.

[4]– المرجع نفسه، ص462.

[5]– المرجع نفسه، ص462.

وباقي أسماء الزّمان الأخرى – أيْ ما ليس ظرفا ولا مُشتقّا– تُعربُ حسب موقعها في الجملة مثل: دقيقة، ثانية، أسبوع، وغيرها من الأسماء، وهذا مع إمكانية مجيء هذه الأسماء الأخيرة ظروف زمان إذا كانت منصوبة على تقدير حرف الجر "في" نحو قولك: «توقفتُ **دقيقةً** لأسترجع أنفاسي» فكلمة "دقيقةً" هنا تُعربُ ظرف زمان مفعول فيه منصوب وعلامة نصبه الفتحة، وتقدير الكلام: «توقفتُ في دقيقةٍ لاسترجاع أنفاسي».

والحقيقة إنّ شعر نزار قباني مليء بهذه الأسماء الدالة على الزّمن – وفق هذه الحالات الثلاثة التي أشرنا إليها– ولا يمكن تناول كل هذه الأسماء في هذا المبحث البســيط لذا سنشير إلى طائفة يسيرة فقط منها مشفوعة بأمثلة من شعر نزار، وهذا من باب الاستئناس فقط، وقد ارتأينا في هذا الصدد تقسيم هذا المبحث إلى قسمين؛ نخصص القسم الأول لذكر مجموعة من أكثر ظروف الزّمان استخداما في شعر نزار قباني والقسم الثاني سنخصصه لذكر مجموعة من أهم أسماء الزّمن ورودا في شعره وذلك كما يلي:

أولا: ظروف الزّمان: من أهم ظروف الزّمان التي كثر وُرودها في شعر نزار قباني ما يلي:

.إذا: وهي من أكثر ظروف الزّمان ورودا في شعر نزار قباني وهي في اصطلاح النّحاة "ظرف للمستقبل غالبا، متضمّن معنى الشرط غالبا ويختصّ بالدخول على الجمل الفعلية، ويكون الفعل معه ماضيَ اللفظ مستقبلَ المعنى كثيرا."[1] ويمكن أن تدخل "على الأسماء المرفوعة في مثل: ﴿إذا السَّمَاءُ اِنْشَقَّتْ﴾ فيكون المرفوع بعدها فاعلا لفعل محذوف يفسّره الفعل الذي بعده. ويجوّز الأخفش أن يكون الاسم المرفوع بعده مبتدأ، وما بعده خبر."[2]

ومن أمثلة استخدام هذا الظرف في شعر نزار قباني قوله في قصيدته المشهورة "منشورات فدائية" والتي يؤكّد فيها تمسّك الفلسطنيين بأرضهم، ويتحدّى فيها الصهاينة المغتصبين، ويؤكّد لهم أنّهم مهزمون مدحورون طال الزّمن أم قصر:

لا تسْكَرُوا بالنّصْرْ
إذا قتلتمْ خالدا
فسوف يأتِي عَمْرُو
وإن سحقتُمْ وردةً

[1]– مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، 468.

[2]– مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ص11.

فسوفَ يبْقى العطْرْ[1]

فكلمة "إذا" هنا تُعربُ ظرفا لما يستقبل من الزّمان متضمن معنى الشرط غير جازم مبني على السكون في محل نصب مفعول فيه، وهو مضاف إلى الجملة الفعلية بعده، ونفهم من كلام نزار من خلال استخدامه لهذا الظرف أنّ المستقبل سيكون مليئا بالتضحية، فكلّ الفلسطينيين مستعدّون لذلك، وهم لا يرضون بأنصاف الحلول، فإمّا النصر وإمّا الشهادة.

.أبـــدًا: كَثُرَ وُروده في شعر نزار قباني، وهو "ظرف زمان للمستقبل، يُستعملُ مع الإثبات والنفي، ويدلّ على الاستمرار، نحو: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ وقد يقيَّدُ هذا الاستمرارُ بقرينة نحو: ﴿إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا﴾"[2] ومن أمثلة وروده في شعر نزار قوله في قصيدته "قارئة الفنجان":

مقْدورُكَ أن تمشي **أبَدًا**
في الحبِّ على حدّ الخِنْجرْ
وتظلّ وحيدا كالأصدافْ
وتظلّ حزينا كالصّفْصافْ
مقدُورك أن تمضي **أبداً**
في بحر الحُبّ بغير قلوعْ
وتُحبَّ ملايين المرّات
وترجعَ كالملكِ المخْلُوعْ[3]

ففي هذه القصيدة يتصوّر نزار نفسه أمام قارئة الفنجان – وهذا نوع من الدّجل والعياذ بالله– التي تخبره بأنّ قدره المحتوم هو الحزن والمعاناة في سبيل الحبّ، وهذه المعاناة ستستمرّ معه طول حياته في الزمن المستقبل، ولن يستطيع عنها انفكاكا، لهذا وظف ظرف الزّمان "أبدًا" الذي ساهم في تحقيق هذه الدلالة الزمنية.

.الآن: وهو "ظرف زمان للوقت الذي أنت فيه"[4] أي يدلّ على الزّمن الحاضر وقد تكرّر كثيرا في شعر نزار قباني، ومن ذلك قوله:

---

[1]– نزار قباني، الأعمال الكاملة، ج3، ص169.

[2]– مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ص02.

[3]– نزار قباني، الأعمال الكاملة، ج1، ص651.

[4]– مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ص472.

قُولي أُحبُّكَ كيْ يتمَّ تحوُّلي
فأصيرَ قمحا أو أصير نخيلا
الآن قوليها ولا تتردّدي
بعضُ الهوى لا يقبلُ التأجيلا[1]

فنزار قباني يطلب من حبيبته هنا أن تُصرّح له بحبّها له، وهو يلحُّ على هذا الطلب في الحين؛ لأنّ الهوى لا يقبل التأجيل، وقد استخدم ظرف الزّمان "الآن" الذي ساهم في تحقيق هذه الدلالة.

.حيـــنَ: وهو ظرف زمان مأخوذ من كلمة "الحِينُ" وهو "وقت من الدّهر مُبهمٌ طال أو قصُر، وفي التنزيل العزيز: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾ وجمعه أَحْيَانٌ وجمع الجمع أحايينُ."[2] وهذا الظرف وظّفه كثرا نزار قباني في أشعاره، ومن أمثلة ذلك قوله:

حِيـــنَ يمرُّ الديكُ بسوق قريتنا
مزهوًّا منفُوشَ الرّيشْ
وعلى كتفيه تضيءُ نياشينُ التّحريرْ
يصرخُ كلُّ دجاجِ القريةِ بإعجابْ:
يا سيّدنا الدّيك يا مولانا الديك
يا جنرالَ الجِنْسِ...ويا فحلَ الميدانْ
أنت حبيبُ ملايين النّسوانْ[3]

فنزار يصف لنا هنا نموذجا لمسؤول سياسيّ فاسد يدّعي البطولة والشرف والإقدام أمّام الرعية، وهو في حقيقته ذو طبع نجس ونفس خبيثة، وللأسف الشديد يجد في رعيته من يطبّل ويزمّر ويصفّق له حتى يستمّر في عنجهيّته وظلمه للرعية. وقد لعب ظرف الزّمان "حـــين" دورا في يبان الزّمن الذي تحدث فيه أحداث هذه المقطوعة، والمتمثل في زمن مرور الديك – أي المسؤول– بين رعيته، ومنه يمكن أن نقول إنّ ظرف الزّمان "حين" بمثابة الوعاء الذي حوى كلّ هذه الأحداث التي يتحدّث عنها الشاعر.

.مُـــنْذُ: وهي أيضا من ظروف الزّمان الموظّفة كثيرا في شعر نزار قباني، وقد تأتي "منذ" مخفّفة فتُكتب "مُذْ" ومعناهما واحد؛ حيث "يدخلان على اسم الزّمان ويكونان بمعنى "من"

[1]– عالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص203.
[2]– مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص212.
[3]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص273.

إن كان الزّمان ماضيا، وبمعنى "في" إن كان الزّمان حاضرا، مثل: ما رأيته منذ يوم الخميس وما رأيته منذ اليوم."[1] وبشكل عام هما يدلان على ابتداء الغاية الزّمنية، أي النقطة الزّمنية التي بدأ منها الحدث؛ فعندما تقول: «ما رأيته منذ البارحة» فالحدث هنا، المتمثل في عدم الرؤية، كانت نقطة بدايته هي البارحة. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ هناك من النحاة من يعتبر "منذ" و"مذ" حرفي جر، يُعرب ما بعدهما اسما مجرورا بها، ومن أمثلة ورود هذا الظرف في شعر نزار قباني قوله:

في بلادي
حيثُ يحيا النّاسُ من دون عيونْ
.....
ويَحْيَوْنَ اتّكَالْ
منذُ أن كانُوا...
يعيشون اتّكالْ[2]

فنزار قباني هنا في هذه الأسطر الشعرية من قصيدته "خبز وحشيش وقمر" والتي أثارت جدلا كبيرا حين نشرها، يعيبُ على النّاس رُكونهم إلى الاتّكال، وردّ كلّ شيء إلى القدر، دون بذل الأسباب، والعمل على تغيير واقعهم نحو الأفضل، وظرف الزّمن «منذ» هنا يدلّ على أنّ صفة الاتّكالية في المجتمعات العربية قديمة ومتجذّرة الوجود فيها، فالنقطة الزّمنية التي بدأت منها هذه الصفة بعيدة في الزّمن الماضي، وهو ما نستشفّه من قوله: "منذ أن كانُوا".

كانت هذه إذن مجموعةً من أهمّ ظروف الزّمان المتداولة كثيرا في شعر نزار قباني وهذا مع ضرورة الإقــرار أنّ هناك ظروف أخرى وردت في شعره بكثــرة مثل: قبل، بعد عند، إذ، غدا، وغيرها من الظروف الأخرى، ولكن رأينا الاكتفاء بما ذكرناه هنا؛ لأنّه ليس الغرض من هذا المبحث – كما ذكرنا آنفا– هو الإحاطة بكلّ ظروف الزّمان في شعر نزار قباني، وإنما هدفنا هو التمثيل لجانب من الثّراء الذي تتمتّع به اللغة العربية في التعبير عن الزّمن، وذلك باستخدام ظروف الزّمان.

[1]– مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص888.

[2]– نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج3، ص21.

ثانيا: أسماء الزمن: بعد أن ذكرنا طائفة من أهم ظروف الزّمان المتداولة في شعر نزار قباني، سنذكر الآن بعضا من أسماء الزّمن التي كثر ورودها في شعــره وليس المقصود بأسماء الزّمن هنا ذلك القسم الذي ينتمي إلى المشتقات، وإنّما هي أسماء ليست بمشتقة وليست بظرف، وهي كثيرة جدا في اللغة العربية بشكل عام، وفي شعر نزار بشكل خاص، وقد ارتأينا في هذا الصّدد أن نقسّم هذه الأسماء حسب دلالتها والموضوع العام الذي تنضوي تحته، على طريقة الحقول الدلالية المعتمدة لدى المعجميين، وسنختار من كل مجموعة اسم زمن واحد فقط نُمثّلُ له من شعر نزار، لأنه من الصعوبة التمثيل لكلّ اسم على حدة.

.أسماء أجزاء اليوم: المعروف أنّ اليوم يُقسمّ إلى وأوقات وساعات متعــدّدة وكلّ ساعة يُطلق عليها اسم معيّن، واللغة العربية غنيّة ودقيقة في التعبير عن هذه الأوقات إلى درجة يمكن القول فيها إنّه لا توجد لغة أخرى يمكن أن تضاهي اللغة العربية في هذا الباب "فكلّ لحظة من لحظات النهار والليل قد كان لها شأنها في حياة سكان البادية، بين السفر والإقامة، والحلّ والترحال، فمنها ما هو صالح لبدأ المسير، وما هو صالح للراحة القصيرة وما هو صالح للراحة الطويلة، وما ليس يصلح لغير السكينة والاستقرار."[1] والمُطالع على المعاجم العربية المختلفة يجد الكثير من الأسماء التي تعبرّ عن ساعات اليوم المختلفة، وقد أورد أبو منصور الثعالبي في كتابه «فقه اللغة» اسما لكل ساعة من ساعات اليوم الأربعة والعشرون وسنذكرها بالترتيب من بداية اليوم إلى أخر الليل كما يلي: **الفجر الصّبــح الصباح، الشروق، البكور، الغدوة، الضحى، الهاجرة، الظهيرة، الرّواح، العصر، القصر الأصيل، العشيّ، الغروب، الشفق، الغسق، العتمة، السّدفة، الفحمة الزلة، الزلفة، البهرة السحر.** وهذا كله يدلّ على ثراء منظومة الزمن في اللغة العربية.

والحقيقة أنّ شعر نزار قباني ينطوي على الكثير من هذه الأسماء وسنضرب مثالا على ذلك بقوله:

ففي غُرَفِ **الفجْرِ** يجري شذانا
وتكمُنُ في الجوّ أطيابُنا
نفيقُ مع الورد **صُبْحًا**
وعند **العشيّات** تُقفلُ أجفانُنا[2]

---

[1]– عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة، ص44.

[2]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص171.

ففي هذه الأسطر وردت ثلاثة من أسماء الزّمن الدالة على وقت من أوقات الــيوم وهذه الأسماء هي «الفجر» ويُطلق على الزّمن الذي تتكشف فيه "ظلمة الليل عن نور الصبح وهما فجران: أحدهما المستطيل، وهو الكاذب، والآخر المستطير المنتشر في الأفق، وهو الصادق، ويُقال: طريق فجرٌ؛ أي واضحٌ"[1]، والكلمة الثانية هي «الصّبح» ويطلق على "أوّل النهار"[2]، والكلمة الثالثة هي «العشيات»ومفردها «عشية» ومنه أيضا «العِشاء» ويُقصدُ بها "أوّل ظلام الليل، أو من صلاة المغرب إلى العتمة، والعشاءان: المغرب والعشاء"[3].

.أسماء أيام الأسبوع: المعروف عن أيام الأسبوع أنها سبعة، فأوّلها السّــبت يليه الأحد، فالاثنين، فالثلاثاء، فالأربعاء، فالخميس، ويُختم الأسبوع بيوم الجمعة والمعروف عن العرب قديما أنّهم يطلقون على أيّام الأسبوع أسماء غير التي نعرفها حاليًا فقد سموا يوم الأحد (الأوّل)؛ لأنه أول أعداد الأيام لديهم، والاثنين (الأهْون)؛ مشتق من الهوينى، والثلاثاء (جُبار) لأنه جُبر به العدد، والأربعاء (دُبار)؛ لأنه دبر ما جُبر به العدد أي جاء دُبَرَه والخميس سمّوه (مُؤْنسًا)؛ لأنه يُؤْنَس به لبركته والجمعة (العَرُوبَة)؛ ومعناه اليوم البيِّن من قولهم أعْرَبَ أي أبانَ، والسبت (شِيار)؛ من شرت الشيء إذا استخرجته وأظهرته من مكانه. وقد جمعها النابغة الذبياني في البيتيْن الآتييْن:

أُؤمّلُ أن أعيشَ وأنّ يومي ** لأوّلَ أو لأهْوَنَ أو جُبار

أو التّــالي دُبارُ فإن أَفُتْــهُ** فمُؤْنِسُ أو عرُوبةُ أو شيارُ[4]

وقد حفل شعر نزار قباني بذكر أيام الأسبوع، ومن ذلك قوله مخاطبا مدينة القدس المحتلة:

يا قدسُ يا مدينةً تلتفُّ بالسّوادْ

من يقرعُ الأجراسَ في كنيسة القيامة؟

صبيحة **الآحادْ**

[1]– مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ص675.

[2]– المرجع نفسه، ص505.

[3]– المرجع نفسه، ص603 .

[4]– ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مبحث التقويم الهجري (نسخة إلكترونية).

من يحملُ الألعاب للأولادْ؟

في ليلة الميلادْ[1]

فكلمة "الآحاد" هي جمع لكلمة "الأحد" وهو اليوم الثاني من أيام الأسبوع، وقد خصّه الشاعر هنا بالذكر لأنهّ يوم عطلة عند المسحيين، يذهبون فيه إلى الكنيسة للصلاة.

.أسماء الشهور:

المعروف أنّ السنة تتكوّن من اثني عشر شهرا، وهذا معروف عند الكثير من الحضارات القديمة، مع اختلاف في عدد أيام الشهور، وأسمائها من حضارة إلى أخرى وقد عُرف عن العرب قبل الإسلام أنه لم "يكن لهم مبدأ ثابت موحّد يؤرخون به، ولم يُغنهم تقويمهم القمري ولا تقاويم الأمم المتحضّرة المجاورة لهم آنذاك. ومن المعلوم أنهم قد أرّخوا ببعض الأحداث الكبيرة، ومن ذلك تأريخ بناء الكعبة زمن إبراهيـــم وإسماعيل عليهما الســـلام نحو عام 1855 قبل الميلاد، وأرّخوا برئاسة عمرو بن لُحَيّ نحو عام 260م، وبوفاة العظماء منهم مثل كعب بن لؤي نحو سنة 60م، وبعام الغدْر، وبعام الفيل وهو أشهرها نحو سنة571 م وبحرب الفِجَار التي وقعت في الأشهر الحرم نحو 585م، وبتاريخ تجديد الكعبة عام 605م كما أرّخوا بالحروب التي سموها أيام العرب مثل حرب البسوس، وداحس والغبراء، وحرب الأوس والخزرج. وبالطبع لم يكن ذلك مبدأً مطردًا لدى سائر العرب؛ فقد اختلف التاريخ لديهم باختلاف مواطنهم في الشمال والجنوب، وما إذا كانوا عربًا عاربةً أو مستعربة، بل كان الخلاف بين القبائل. لذا فالتقويم القمري الذي عُرف في الجاهلية لم يكن تقويمًا متمكِّنًا من النفوس ومنتظمًا في حياة الناس بحيث يعوَّل عليه في تسجيل الأحداث وتأريخها باطمئنان"[2].

وبعد مجيء الإسلام احتاج المسلمون إلى تقويم يربطون به شؤون حياتهم، فظهر التقويم الهجري الذي ارتبط بهجرة الرسول –صلى الله عليه وسلم– من مكة إلـــى المدينة وهو تقويم يقوم على اثني عشر شهرا، أوّلها محرّم، وآخرها ذو الحجة، وهي أشهر مرتبطة بالقمر.

---

[1]– نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج3، ص162.

[2]– الموسوعة العربية العالمية، نسخة إلكترونية، (مبحث التقويم الهجري).

والمتتبّع لشعر نزار قباني يجد أنه غنيّ بالإشارة إلى أشهر السنة المختلفة، ولكنه لم يعتمد على أشهر السنة القمرية العربية، وإنّما يَعْمَدُ إلى استعمال الأشهر السّريانية على عادة أهل بلاد الشام، وشهور التقويم السرياني هي: تشرين الأول، تشرين الثاني كانون الأول كانون الثاني، شبّاط، آذار، نيسان، أيّار، حزيران، تمّوز، آب، وأيلول. وهذا التقويم شبيه بالتقويم الجريجوري، فأوائل الشهور واحدة وكذلك عدد الأيام والسنين، لذا فالتقويم السرياني مقابل للتقويم الجريجوري تمامًا إلا في أسماء الشهور.

ومن أمثلة استخدام نزار قباني لهذه الشهور قوله:

جاءَ **تِشْرينُ** ..يا حبيبةَ عُمْري

أحْسنُ الوقْتِ للهَوَى **تِشْرينُ**

ولنا موعدٌ على جبلِ الشّيخِ

كم الثلجُ دافئٌ وحنُونُ[1]

فنزار في هذه القصيدة يتغزل ببلاد الشّام التي أبلت البلاء الحسن في الانتصار الذي حقّقه العرب ضد الصّهاينة عام 1973م، وهو انتصار أعاد للأمة العربية الاعتبار بعد نكسة حزيران 1967م، وقد خصّ نزار قباني شهر تشرين هنا بالذكر؛ لأنه الشهر الذي تحقّق فيه هذا الانتصار، والمقصود هنا هو تشرين الأول (أكتوبر). والمتتبّع لشعر نزار يجد أنه احتفى كثيرا –على غرار الكثير من الشّعراء العرب المُعاصرين– بذكر شهر حزيران (جوان) الذي أصبح رمزا للنكسة والهزيمة، وشهر تشرين الأول، الذي أصبح رمزا للنصر وردّ الاعتبار.

.أسماء فصول السّنة: الفصول الأربعة هي فترات زمنيّة تُقسّم إليها السّنة ويستمر كل فصل حوالي ثلاثة أشهر، ويجلب معه تغيرات في درجات الحرارة والطقس وطول فترة الليل والنهار، وهذه الفصول هي الربيع والصّيف والخريف والشتاء، وقد تكرّرت أسماء هذه الفصول كثيرا في شعر نزار قباني، ومن ذلك قوله متغزّلا بالمحبوبة:

في **الصّيفِ** أَجُرُّكِ

[1]– نزار قباني، الأعمال الشّعرية الكاملة، ج3، ص436.

في **الشّتاءِ** أجُرُّكِ

في الصّحو أجُرّكِ

في العاصفةِ أجُرّكِ

حتى تُدمى يَدايَ

ويُحرقَ ملحُ البحرِ جبيني[1]

فنزار استعان هنا بعناصر الطبيعة المختلفة، ووظّف أسماء الفصول (الصيف والشتاء) للتغزل بالمحبوبة، والتعبير عن وفائه لها، في كلّ الأوقات والأزمنة، وذلك على عادة الشعراء الرومانسيين.

.أسماء تدلّ على زمن محدود: هناك في اللغة العربية أسماء تدّل على زمن محدود؛ أي يمكن تحديد نقطة بدايته ونهايته، وهي أسماء كثير منها: **ثانية، ساعة لحظة، يوم أسبوع، شهر، فصل، عام، سنة، حول، قرن...** وغيرها من الأسماء الكثير التي تشترك في هذا المدلول.

وشعر نزار قباني غنيّ بمثل هذه الألفاظ، نحو قوله:

خبّئيني تحت قُفْطانك

يا أحلى جميع الفاطماتِ

.....

حاولي أن تُصبحي أمّي

لشهرٍ أو **ليومٍ** أو **لبعض اللحظاتِ**[2]

[1]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص138.

[2]– المرجع نفسه، ص189.

فنزار في هذه المقطوعة الغزليّة وظّف ثلاثة ألفاظ تدلّ على زمن محدود، وهي: يوم شهر، ولحظة، فالكلمة الأولى تدلّ على زمن محدّد يقدّر بأربع وعشرين ساعة والكلمة الثانية تدلّ على زمن محدّد يقدّر بثلاثين يوما، والكلمة الأخير تدلّ على "الوقت القصير بمقدار لحظ العين."[1]

.أسماء تدلّ على زمن مُمْتَدّ: أي عكس الطائفة السّابقة من الأسماء، فهذه الأسماء يكون الزّمن فيها غير محدّد بنقطة نهاية معيّنة، بل يمكن أن يكون ممتدّا لمدّة طويلة غير محدّدة، ومن أمثلة هذه الأسماء: دهــر، وقت، عصر، طور، أمدٌ، أبدٌ، سرمد... وغيرها من الأسماء الأخرى المشابهة لها في المعنى.

وقد تكرّرت هذه الأسماء ومثيلاتها كثيرا في شعر نزار قباني، نحو قوله:

كلُّ شِعْرٍ معاصر ليــس فيه غضبُ **العصرِ**، نملةٌ عرجاءُ

ما هو الشّعرُ؟ إنْ غدَا بَهْلَوانًا يتــسلّى بــرَقْصِهِ الخُلَفَاءُ

ما هو الشعرُ؟ حين يُصبحُ فأرًا كسرةُ الخبزِ همُّهُ والغذاءُ [2]

فهو في هذه الأبيات يعيبُ على بعض الشعراء المعاصرين استخدام شعرهم للتزلّف إلى الحُكام ونيل رضاهم، وقد وظّف هنا كلمة "العصر" التي تعتبر من الألفاظ الدالة على زمن ممتدّ.

وفي نهاية هذا المبحث نقول: إنّ ما ذكرنا هنا من ألفاظ تدل على الزّمن ما هو إلا نزر يسير من الألفاظ الكثير التي تصبّ في هذا السّياق، "ومثل هذا الإحساس بالزمن لا تصوّره الكلمات في لغة من اللغات التي نفهمها، أو نفهم عنها، على صورة أدقّ من هذه الصورة، ولا أدلّ على الفوارق بين أجزائها."[3] وهذا إن دل على شيء فإنّما يدلّ على سعة وثراء المنظومة الزّمنية للغة العربية.

[1]– مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ص818.

[2]– نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج3، ص401.

[3]– محمود عباس العقاد، اللغة الشاعرة، ص44.

4)**حروف لها دلالة زمنية:** المعروف أنّ الحروف تنقسم إلى قسمين: حروف المباني وحروف المعاني، فالأولى هي التي تُبنى بها الكلمات المختلفة في اللغة؛ فمثلا كلمة «علم» تتكون من ثلاثة حروف مبانٍ هي العين واللام والميم، أمّا حروف المعاني فهي عبارة عن قسم من أقسام الكلم، تشكل رفقة الأسماء والأفعال منظومة الكلام في اللغة العربية، وحروف المعاني قليلة إذا ما قورنت بالأسماء والأفعال، "بحيث لا يتجاوز عددها ثمانين"[1]. وهذه الحروف تُقسّم إلى ثلاث مجموعات؛ منها ما يختصّ بالدخول على الأسماء، ومنها ما يختصّ بالدخول على الأفعال، ومنها ما يقبل الدخول عليهما معًا، وهي عند دخولها في الكلام تؤدّي معانٍ ودلالات مختلفة تُفهم من سياق الكلام، ومن بين هذه الدّلالات نجد الدلالة الزّمنية، ومنه سنحاول في هذا المبحث أن نضرب أمثلة عن بعض حروف المعاني التي لها دلالة زمنية وذلك بالاعتماد دائما على شعر نزار قباني، وهذا مع الاقتصار فقط على مثال واحد لكلّ حالة، وذلك تجنّبا للإطالة وتضخّم البحث.

.حروف الجرّ: وهي مجموعة من الحروف تختصّ بالدخول على الأسماء فتجرّها ويعرّفها الشريف الجرجاني بقوله: هي "ما وُضع لإفضاء الفعل أو ما في معناه إلى ما يليه نحو: مررتُ بزيد، وأنا مارٌّ بزيد."[2] وعددها عشرون حرفا، ذكرها ابن مالك في ألفيته على الشكل التالي:

هاكَ حروف الجرّ، وهي: من، إلى ** حتّى، خلا، حشا، عدا، في، عن، على

مُذ، مُنذُ، رُبّ، اللام، كي، واو، وتا ** والكاف والبـــا، ولعـــلّ، ومتـــى

وبعض هذه الحروف له دلالات زمنية مثل: من، إلى، مذ ومنذ، نحو قولك: «خرجتُ في نزهة **من** طلوع الفجر **إلى** غروب الشمس» وقولك: «لم أنم **منذُ** البارحةِ» فحرف الجر «من» في المثال الأوّل أفاد ابتداء الغاية؛ أي إنّ النقطة الزّمنية التي ابتدأ منها الخروج للنزهة هي وقت طلوع الفجر، وحرف الجر «إلى» في المثال الأول يفيد انتهاء الغاية؛ أي أنّ النقطة الزّمنية التي انتهت عندها النّزهة هي غروب الشمس. أمّا «منذ» في المثال الثاني فهي حرف جر أفاد أيضا ابتداء الغاية؛ أي أنّ الحدث المتمثّل هنا في عدم النّوم، قد بدأ حدوثه البارحة، وكلّ هذا من الدلالات الزّمنية لهذه الحروف.

---

[1]– سعيد الأفغاني، الموجز في قواعد اللغة العربية، مبحث حروف المعاني (نسخة إلكترونية).

[2]– الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، ص76.

ومن أمثلة استخدام حروف الجرّ الدالة على الزّمن في شعر نزار قباني، قوله:

اللفظةُ إبرةُ مُورفينٍ

يحقنُها الحاكمُ للجمْهُورِ

من القرن السّابعْ

اللفظةُ في بلدي امرأةٌ

تحترفُ الفحشَ **من** القرن السّابعْ[1]

فنزار هنا يتحدّث عن توظيف الحاكم العربي للكلمة، وفنون الخطابة، من أجل تخدير الجمهور، وخداعه، وقد وظّف حرف الجر «من» الذي أفاد هنا ابتداء الغاية الزّمنية، أي أنّ سياسة تنويم الشعوب وتخديرها كانت صفة بارزة لدى الحكّام العرب منذ القرن الســـابع حسب تعبيره، فبالتالي تكون الدلالة الزّمنية لحرف الجر واضحة هنا للعيان.

.**حروف العطف:** المقصود بالعطف في النحو هو "اتّباع لفظ لسابقه بواسطة أحد أحرف العطف التي هي: **الواو** و**الفاء** و**ثمّ** و**حتّى** و**أم** و**بل** و**لكنْ** و**أو**"[2]

وهناك من هذه الحروف ما له دلالة زمنية، ونعني بذلك «الفاء» و«ثمّ»فالأصل في الفاء أنّها "تكون للترتيب والتعقيب، فإذا قلت: جاء عليٌّ فسعيدٌ، فالمعنى أنّ عليّا جاء أوّلُ وسعيدا جاء بعدهُ بلا مُهلة بين مجيئهما"[3] فالدلالة هنا دلالة زمنية؛ أي أنّه لا يوجد زمن طويل بين مجيء الأول ومجيء الثاني. أمّا «ثم» فالأصل فيها أنّها تفيد معنى "الترتيب والتراخي، إذا قلت: جاء عليٌّ ثمّ سعيدٌ، فالمعنى أنّ عليّا جاء أوّلُ، وسعيدٌ جاء بعده، وكان بين مجيئهما مُهلة."[4] والمقصود بالمهلة هنا هو الزّمن، والفاصل الزّمني بين المتعاطفين بالحرف «ثمّ» أطول من الفاصل الزّمني بين المتعاطفين بالفاء، لهذا أطلق النّحاة على الأول

[1]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، ص364.

[2]– عباس صادق، موسوعة القواعد والإعراب، ص72.

[3]– مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ص613.

[4]– المرجع نفسه، ص613.

التراخي، وعلى الثاني التعقيب، وفي هذا من الدقة والوضوح ما أزعم أنّه لا يوجد له مثيل في لغة أخرى.

ونمثّل لهذه الدلالة الزّمنية، في حروف العطف، من شعر نزار قباني بقوله:

في زمَنِ الطُّفُولهْ

قرأتُ آلافَ الأقاصيصِ

عن النخوةِ والنّجدةِ والعزّةِ

ثُمَّ اكتشفتُ عندما دخلتُ في الكهولهْ

بأنّ نصفَ ما قرأتُه في حِصّةِ التاريخِ

ما كانَ سوى إشاعَهْ[1]

فنزار هنا يتحدّث عن التزوير الذي طال بعض الأحداث التاريخية لأمتنا، حتى أصبح هذا التزوير هو التاريخ الرّسمي الذي يُدرّس للأجيال في مدارسنا، وذلك لحاجةٍ في نفوس بعض المسؤولين والحكام العرب. وقد وظّف هنا حرف العطف «ثمّ» الذي عطف بين جملتين، أو –بالأحرى– حدثين؛ يتمثل الأولّ في قراءة الشاعر للكثير من القصص التي تتحدث عن العزّ والنخوة والشرف، وكان ذلك في مرحلة طفولته، ويتمثل الحدث الثاني في اكتشاف نزار أنّ نصف تلك القصص والأخبار مجرّد إشاعة وتلفيق، وكان ذلك في مرحلة كهولته، وقد أفادت «ثمّ» هنا الترتيب مع التراخي، أي أنّ الفاصل الزّمني بين الحدثين، هو فاصل طويل نسبيا، امتدّ من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الكهولة.

.حروف الاستقبال[2]: ونقصد بها على وجه الخصوص السّين و"سوف"، وهما حرفان سبقا الحديث عنها سابقا[3] و"السّين تسمّى حرف استقبال، وحرف تنفيس (أي توسيع) لأنّها

[1]– غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، 357.

[2]– حروف الاستقبال كثيرة، وهي السين وسوف، ونواصب المضارع، ولام الأمر، ولا الناهية، وإن وإذما الجازمتان. (ينظر: مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ص626.)

[3]– ينظر الفصل الثاني من هذه الرسالة.

تنقل المضارع من الزّمان الضيّق، وهو الحال، إلى الزّمان الواسع وهو الاستقبال، وكذلك «سوف» إلاّ أنّها أطول زمانا من السين، ولذلك يسمُّونها حرف تسويف، فتقول: «سيشيبُ الغلامُ، وسوف يشيخ الفتى» لقرب زمان الشباب من الغلام وبُعد زمان الشيخوخة من الفتى."[1] وبلغة النّحو الحديث نقول: إنّ السين تفيد جهة القرب في المستقبل، و"سوف" تفيد جهة البعد في الزّمن المستقبل.

ومن أمثلة استعمال هذين الحرفين في شعر نزار قباني، قوله:

يا أيّها الأطفالْ:

من المحيط للخليج، أنتم سنابلُ الآمالْ

وأنتم الجيلُ الذي **سيكسرّ** الأغلالْ

ويقتلُ الأفيونَ في رؤوسنا

ويقتلُ الخيالْ[2]

ففي هذا الخطاب الذي يوجهه الشاعر لأطفال العرب، الذين يأمل أن يُعيدوا مجد هذه الأمة، ويمسحوا عنها العار الذي لطخناها به بسبب هزائمنا وتخاذلنا، وظّف الشاعر حرف التنفيس السّين في قوله: « وأنتم الجيلُ الذي سيكسرُ الأغلالْ» الذي يفيد المستقبل القريب وذلك تفاءلا من الشاعر في عودة مجد هذه الأمّة على أيادي هؤلاء الأطفال الذين هم رجال المستقبل، في أقرب وقت.

.حروف أخرى: الحقيقة أنّ الحروف التي لها دلالة زمنية في اللغة العربية كثيرة جدا، فهناك حروف الشّرط التي تجعل الكلام –عادة– يدلّ على الزّمن المستقبل حتى إن كان فعل الشرط ماضيا؛ نحو قولك: «إنْ حضر أكرمناهُ» وهناك حرف التوكيد كاللام الذي يجعل الفعل المضارع دلاّ على الزّمن الحاضر، نحو قولك: «إنّ محمدا ليكتبُ» وهناك «قد» التي تفيد دلالة زمنية هي التوقّع، "ومن ذلك «قد قامت الصلاة» لأنّ الجماعة يتوقعون قيامها

[1]– مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ص627.

[2]– نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة،ج3، ص96.

قريبا."[1] كما تفيد «قد» دلالة زمنية أخرى هي "تقريب الماضي من الحال"[2] أي الماضي القريب، "تقولُ: «قد هممتُ بالأمر» لتدلّ على أنّ قيامك به ليس ببعيد من الزّمان الذي أنت فيه."[3] وهناك «لم» النافية الجازمة التي تقلب زمن الفعل المضارع إلى الماضي، نحو قولك: «لم يحضرْ المديرُ»، وهناك حروف أخرى كـــ «ما» النافية، و«لا» النافية، و«لما» و«لن» و«أن»، ونون التوكيد، ولام الابتداء، والأحرف المصدرية، وغيرها من الحروف التي لها دلالة زمنية، وقد عقد الدكتور كمال رشيد فصلا في كتابه لمناقشة الدلالة الزّمنية لهذه الحروف[4]، واعتبـــر أنّ هذه الحروف يُضاف إليها النواسخ وظروف الزّمان، تلعب دورا كبيرا في تحقيق الجهات الزّمنية المختلفة في اللغة العربية، وهو ما أكّدناه بدورنا في الكثير من المواضع في هذا البحث.

ويبقى أن نقول: إنّه ليس غرضنا من هذا المبحث، الخاص بحروف المعاني، هو الإحاطة بكل الدّلالات الزّمنية التي تتضمّنها هذه الحروف، بعد دخولها في السياقات المختلفة، وإنّما كان هدفنا، من عقد هذا المبحث، هو إشارة لطيفة فقط إلى ما تتضمنه بعض هذه الحروف من دلالات زمنية، والتمثيل لذلك من شعر نزار قباني، وذلك للتأكيد على الدور الذي تلعبه حروف المعاني في بناء منظومة الزّمن في اللغة العربية، وهو ما أزعم أنّه تحقّق – ولو نسبيّا– في هذا المبحث البسيط.

[1]– مصطف الغلايني، جامع الدروس العربية، ص628.

[2]– عباس صادق، موسوعة القواعد والإعراب، ص99.

[3]– مصطفى الغلايني، جامع الدروس العربية، ص627.

[4]– ينظر: كمال رشيد، الزّمن النّحوي، ص104 وما بعدها.

الخـــــاتـــمـــة

بعد هذه الرحلة الزّمنية مع شعر نزار قباني ودلالته على الأزمنة المختلفة، لابدّ أن نقرّ بأنّنا لا ندّعي الإحاطة بكل المباحث والدّلالات الزّمنية التي تنطوي عليها اللغة العربية؛ فهناك الكثير من الأساليب والأدوات والقرائن التي لها علاقة بالزّمن، لم نتناولها في هذه الرّسالة، مثل الحديث عن أسماء الأفعال التي تعبّر عن دلالات زمنية متنوعة في الكلام والحديث عن الجمل والأساليب الخبرية والإنشائية باختلافها وتنوّعها، وما تنطوي عليه من دلالات زمنية متنوّعة، ولم نتعرّض في هذا البحث أيضا إلى الحديث عن الزمن الرابع الذي يضاف إلى الأزمنة الثلاثة المعروفة (الماضي، الحاضر المستقبل) وهذا الزّمن هو الزّمن العام أو المطلق الذي يتخطّى الزّمن الواحد ليشمل الأزمنة الثلاثة كلّها؛ نحو قوله تعالى: ﴿لم يلد ولم يلد﴾ (الإخلاص:03).

كما أنّ هناك مباحث أخرى لها علاقة بالزّمن لم نُرد الخوضَ فيها؛ وذلك إمّا لكثرة الخلاف والجدل حولها، أو لقيام قرينة أو أسلوب آخر مقامها في التعبير عن الزّمن أو الجهة المنشودة، فنحن في هذا البحث أردنا أن نركز على الجانب التطبيقي وذلك لبيان قدرة اللغة العربية في التعبير عن مختلف الأزمنة، والجهات المتنوعة، سواء من خلال شعر نزار قباني، أو غيره من الأمثلة التي استعنّا بها في هذا البحث، وهو ما نزعم أنّنا حققناه إلى حدّ ما، من خلال فصول ومباحث هذه الأطروحة، ولم يكن هدفنا مناقشة مختلف الآراء النظرية التي دارت بين النّحاة في مختلف القضايا والمباحث المرتبطة بالزّمن في اللغة العربية، على نحو ما فعله الدكتور تمام حسان–مثلا– في كتابه «اللغة العربية معناها ومبناها»، أين أعطى تصوّرا جديدا للظاهرة الزّمنية، يخالف ذلك التصوّر القديم الذي بنى عليه النّحاة نظرتهم إلى الزّمن، وهو نفس ما نجده أيضا عند الدكتور محمد الملاخ في كتابه «الزّمن في اللغة العربية» وغيرهما من الدارسين المعاصرين الذين حاولوا التصدي لدراسة الظاهرة الزّمنية من خلال مناقشة الآراء النظرية التي طرحها النّحاة القدماء حول الزّمن، ومن هنا أرجو ألا يحكم القارئ الكريم على هذه الأطروحة انطلاقا من هذه الزّاوية، لأنّه بذلك يكون قد ظلم الأطروحة وظلم صاحبها.

وكما جرت العادة، فإنّ البُحوث الأكاديمية تقتضي من أصحابها إردافها بخاتمة تُجمل وتلخّص زبدة ما حقّقة البحث من نتائج، والحقيقة أنّه من الصّعوبة بمكان تلخيص كلّ ما ذكرناه في صفحات هذا البحث، في خاتمة موجزة، ولكن لا مناص من ذلك استجابة لمقتضيات البحث الأكاديمي، ومنه يمكن أن نلخص أهم نتائج هذا البحث في ما يلي:

– إنّ معظم الكلمات – سواء كانت أفعالا أو مصادرا أو مشتقات أو ظروفا أو أسماء أفعال أو حروف معان، وغيرها من الكلمات الأخرى– تتضافر فيما بينها في خدمة منظومة الزّمن في اللغة العربية.

– إنّ الدلالة الزّمنية في الفعل، من الناحية الصرفية، تختلف عن دلالته الزّمنية من الناحية النّحوية السّياقية، فبالتالي فرض الدلالة الأولى على الثانية، يُجانب روح المنظومة الزّمنية للغة العربية.

– إنّ الزّمن في اللغة العربية نحويّ سياقي، أكثر من كونه صرفيا صيغيا؛ فهو مرتبط أكثر بأغراض المتكلم، وسياق الخطاب، والقرائن المصاحبة لذلك، مثلما وضحنا ذلك في مواضع كثيرة من هذه الأطروحة.

– إنّ اللغة العربية لغة جهيّة، يلعبُ فيها السّياق والقرائن المختلفة الدّورَ الفعّال في تحديد الزّمن المقصود (ماض، حاضر، مستقبل) والجهة التي يدلّ عليها ذلك الزّمن من قرب وبُعد وتكرار واستمرار وتحوّل وغيرها من الجهات، ولعلّ أنّ موضوع الجهة الزّمنية من المواضع التي يجب أن يسلّط عليها الضوء أكثر في الدراسات اللغوية العربية المعاصرة.

– إنّ الثراء في الصيغ –الأفعال خاصة– الزّمنية الذي تتمتع به اللغات الهندوأوروبية كالفرنسية –مثلا– لا يعني بالضرورة ميزة الأفضلية لهذه اللغات؛ فتعدد هذه الصيغ، ودلالتها على الأزمنة المختلفة بناء على نظام اللواحق Les terminaisons التي تدخل على أواخر الأفعال، أدّى إلى صعوبة في تعلّم تصريف الأفعال في الأزمنة المختلفة، في هذه اللغـــات بينما هناك سهولة ويسر في نظام تصريف الأفعال في اللغة العربية، وفق الصيغ الثلاثة (فعل يفعل افعل) والتي يتم تخصيص دلالاتها الزّمنية المفتوحة بالقرائن اللغوية المختلفة وبالتالي لا يمكن أبدا أن نعتبر النظام الزّمني في اللغات الهندو–أوروبية بمثابة المعيار والنموذج المثالي في التعبير عن الزّمن، مثلما يفعل بعض الدارسين، فلكلّ لغة نظامها وقوانينها الخاصة بها، فكون اللغة العربية تتميز بقلة الصيغ الفعلية المعبّرة عن الزّمن، لا يشكل ذلك عيبا أو نقصا أبدا؛ لأنّها تعوّض هذه القلة بكثرة القرائن التي تلعب دورا كبيرا في إثراء بنيتها الزّمنية، وهو ما يمثل خاصية من خصائص اللغة العربية بشكل خاص، واللغات السامية بشكل عام.

– إنّ اللغة العربية لها ثراء كبير، ومرونة عالية في التعبير عن الدّلالات الزمنية المختلفة؛ بدليل أنّنا في كثير من الأحيان نعجز عن إيجاد المثال المناسب في شعر نزار قباني للتعبير عن الحالة الزمنية المقصودة، وهذا بالرغم من كون نزار قباني شاعر مكثر ومجيد وشعره –كما رأينا– غنيّ بالتعبير عن الظواهر الزّمنية المختلفة، وهو ما يدفعنا إلى الإتيان بشواهد أو أمثلة مناسبة خارجة عن شعر نزار قباني، فلو كانت اللغة العربية فقيرة من الناحية الزّمنية – كما يدعّي بعض الأدعياء – لتمكن شعر نزار قباني من استيعابها واحتواءها زمنيا بكل سهولة؛

– إنّ شعر نزار قباني بمثابة أرضية خصبة لدراسة مختلف الظواهر الزّمنية بشكل خاص، واللغوية بشكل عام، وبالتالي تدعو هذه الرسالة غيري من الباحثين إلى إعطاء هذا الشعر المكانة التي يستحقّها في حقل الدراسات اللغوية، بعدما أُشبع بحثا في حقل الدراسات الأدبية؛

– إنّ نظام الزّمن في اللغة العربية ذو طبيعة نحوية سياقية أكثر ممّا هو ذو طبيعة صرفية – كاللغات الهندوأروبية مثلا التي تدلّ فيها نهاية الفعل la terminaison على الزّمن الذي يدلّ عليه– فزمن الفعل، في اللغة العربية، يتحدّد أكثر بالنظر إلى السياق العام الذي ورد فيه الفعل، ومختلف القرائن المصاحبة له، وهو ما يجعل من الدلالة الزمنية للفعل تتميز بنوع من الزئبقية؛

– إنّ الأفعال الناقصة بتنوعها واختلافها (كان وأخواتها، كاد وأخواتها، عسى وأخواتها ...الخ) تساهم مساهمة فعالة في إثراء البنية الزّمنية للغة العربية، ولها دور كبير في تحقيق الزّمن والجهة التي يقصدهما المتكلم.

– إنّ المصادر والمشتقات وظروف الزّمان وأسماء الزّمن المختلفة لها مساهة فعّالة في بناء منظومة الزّمن في اللغة العربية، وبالتالي يجب التركيز على بيان ذلك للمتعلمين عند التعرض لهذه الكلمات بالتدريس.

– إنّ الكثير من حروف المعاني تلعب دورا فعّالا في تحديد الزّمن والجهة في الكلام ومن ثمّ وجب دراسة الدلالة الزّمنية لهذه الحروف جنبا إلى جنب مع معانيها وتأثيرها الإعرابي في الكلمات الأخرى.

– إنّ المعيار الذي اعتمده النحاة القدماء في تصنيف الأفعال إلى ماض ومضارع وأمر، لم يكن معيارا زمنيا بحتا؛ ويظهر ذلك جليا في الفعل المضارع والأمر، اللذين لا ترتبط تسميتهما بالزّمن الذي يدلان عليه، عكس الفعل الماضي الذي جاءت تسميته مرتبطة بالزّمن الذي تدل عليه صيغته بمعزل عن السّياق، وهذا التصنيف فيه مخالفة للقواعد العلمية التي تعتمد على الدقة، ووحدة المعيار في تصنيف وتقسيم عناصر الظاهرة الواحدة، وقد كان صنيع النّحاة هذا سببا مباشرا أدّى إلى تعالي أصوات الكثير من الدارسين المعاصرين الذين طالبوا بإعادة النظر في هذا التصنيف لمخالفته القواعد العلمية؛

– بعد ما رأيناه من اختلاف بين الزّمن الصرفي والزّمن النّحوي للفعل في اللغة العربية، تقترح هذه الرسالة ضرورة الإشارة إلى الزّمن النّحوي السّياقي والجهة الزّمنية عند إعراب الفعل؛ فمثلا عند قولنا: «كان صديقي يزورُنا كلّ يوم» نعربُ الفعل "يزورُ" على النّحو التالي: فعل مضارع زمنه هو الماضي المتكرّر، مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره. وفي قولنا: «سيحضرُ المدير بعد قليل» نعرب الفعل "يحضرُ" على النحو التالي: فعل مضارع زمنه هو المستقبل القريب مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره وهكذا ذواليك.

في الأخير، هذا ما تيسّر لنا ذكره في هذا البحث، فإن أصبنا فمن الله – تبارك وتعالى– وحده، وإن أخطأنا فمن آدميّتنا ومن الشيطان، والله –عزّ وجلّ– أسأل أن يجعل هذا العمل مخلصا لوجهه الكريم، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريـــم.
- أبو إسحاق إبراهيم بن السَّريّ الزَّجَّاج، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، ط1. بيروت: 1407هـــ/1988م، منشورات عالم الكتب.
- أبو البركات الأنبارى، أسرار العربية، تح: محمد بهجة البيطار، دط. دمشق: دس مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق.
- أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، تح: جودة مبروك محمد مبروك، ط1. القاهرة: دس، مكتبة الخانجي للطباعة.
- أبو حيان التوحيدي، الهوامل والشوامل، تح: أحمد أمين والسيد أحمد صقر، دط. القاهرة:1951، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- أبو سعيد السيرافي، شرح كتاب سيبويه، تح: رمضان عبد التواب وآخرون، دط. مصر: 1986م، منشورات الهيئة العامة المصرية للكتاب.
- أبو العباس المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، دط. مصر: 1415هـــ/1994م، المجلس -- الأعلى للشؤون الإسلامية؛ لجنة إحياء التراث.
- أبو العرفان محمد بن علي الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني، تح: عبد الحميد هنداوي، ط1. بيروت:1425هـــ /2004م، منشورات المكتبة العصرية صيدا.
- أبو علي الفارسي، المسائل العسكريات، تح: إسماعيل عمايرة، دط. الأردن: 1981م منشورات الجامعة الأردنية.
- أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النّحو، تح: مازن المبارك،ط3. بيروت: 1399هـــ/ 1979م، دار النفـــائس.
- أحمد الحملاوي، شذا العرف في فنّ الصرف، تح: أبو الأشبال سالم بن أحمد المصري، دط. الرياض: د س، دار الكيان للطباعة والنشر والتوزيع.
- أحمد شاكر، عمدة التفسير عن الحافظ بن كثير، ط2. مصر: 1426هـــ/2005م، دار الوفاء للطباعة والنشر.
- أحمد عبد الستار الجواري، نحو الفعل، دط. بغداد: 1974، مطبعة المجمع العلمي العراقي.
-أحمد الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية حسب منهج متن الألفية لابن مالك، دط. مصر1434هـــ/ 2013م، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.

-أسعد علي، أساسيات النحو العربي، ط1. دمشق:1400هـ/1980م، دار السؤال للطباعة والنشر.

- إبراهيم أنيس، من أسرار العربية، ط6.مصر: 1978م، مكتبة الأنجلو المصرية.

- إبراهيم السامرائي، الفــعل زمانه وأبنيته، ط 2. بيروت: 1403هـ /1983م منشورات مؤسســة الرســالة.

- إبراهيم مصطفى، إحياء النّحو، ط2. القاهرة: 1413هـ/ 1992م، لجنة التأليف والترجمة والنشر.

- إميل بديع يعقوب، موسوعة علوم اللغة العربية، ط1. بيروت: 2006، دار الكتب العلمية.

- امحمد الملاخ، الزمن في اللغة العربية؛ بنياته التركيبية والدلالية، ط1. بيروت: 1430هـ/2009م، الدار العربية للعلوم.

- ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النّجار، ط1. لبنان: 2006، منشورات عالم الكتب.

- ابن جنيّ، اللّمع في العربية، تح: حامد المؤمن، ط2. بيروت: 1985م، منشورات عالم الكتب

- ابن السّراج، الأصول في النّحو، تح: عبد الحسين الفتلي، ط2. بيروت:1417هـ/1996م منشورات مؤسسة الرسالة.

-ابن عصفور الإشبيلي، المقرّب، تح: أحمد عبد الستار، ط1. العراق: 1971م، دار إحياء التراث الإسلامي.

- ابن فارس، الصّاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تح: أحمد حسن بسج ط1. بيروت: 1418هـ/1997م، منشورات دار الكتب العلمية.

- ابن مالك، شرح التسهيل، تــح: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، ط1. مصر:1410هـ/1990م منشورات دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع

- ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في النّحو، شرح: العلامة الدّماميني، ط1 مكة: 1319هـ منشورات المطبعة الأميرية.

-ابن منظور، لسان العرب، ط1. لبنان: 1427هـ/2006م، دار صبح وإديسوفت.

-ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دط. بيروت: 1996م، المكتبة العصرية.

- ابن يعيش، شرح المفصل، تح: جماعة من العلماء، دط. مصر: د س، إدارة الطباعة المنيرية.

– امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، شرحه واعتنى به عبد الرّحمن المصطاوي، ط2. بيروت: 1425هـ/2004م، دار المعرفة للطباعة والنشر.

– براجشتراسر، التطوّر النّحوي للغة العربية، ط2. مصر: 1414هـ/ 1994م، مكتبة الخانجي.

– بكري عبد الكريم، الزمن في القرآن الكريم، ط2. الجزائر:1999م، دار الفجر للنشر والتوزيع.

– تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دط. المغرب: 1994، منشورات دار الثقافة.

– تمام حسان، الخلاصة النّحوية، ط1. مصر:1420هـ/2000م، منشورات عالم الكتب.

– جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعـيون الأقاويل في وجوه التـأويل، تح:عبد الرّزاق المهدي، دط. بيروت: دس، دار إحياء التراث العربي.

–جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر، تح: طه عبد الرؤوف سعد، مصر: دس منشورات مكتبة الكليات الأزهرية.

– جلال الدين السيوطي، همع الهوامع، تح: أحمد عزّو، ط2. بيروت:1432هـ/ 2011م، منشورات دار إحياء التراث العرب.

– جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: عبد الحميد هنداوي، ط02. مصر: 2004م، منشورات مؤسسة المختار.

– جوزيف فندريس، اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، دط. مصر: 1950م، مكتبة الأنجلو المصرية .

– الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الدّاني في حروف المعاني، تح: فخر الدّين قباوة ومحمد نديـم فاضل ط3. بيروت: 1983م، منشورات دار الآفاق الجديدة.

– الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي دط. العراق: 1985، منشورات دار ومكتبة الهلال.

– رضي الدين الاستراباضي، شرح كافية ابن الحاجب، د ط. بيروت: د س، دار الكتب العلميّة.

– سبتينو موسكاتي، الحضارات الإسلامية القديمة، تر: سيد يعقوب بكر، دط. مصر: 1900، منشورات دار الكتاب العربي.

– سعيدي عبد الفتاح، مفهوم الزّمن بين برغسون وأنشتاين، مذكرة ماجستير، جامعة الاخوة منتوري. قسنطينة:2008.

– سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، ط3. القاهرة: 1408هـ/ 1988م مكتبة الخانجي.

–الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دط. القاهرة: دس دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

– عباس حسن، النحو الوافي، ط3. مصر: د س، منشورات دار المعارف.

– عباس صادق، موسوعة القواعد والإعراب، ط1. الأردن: 2002م، دار أسامة للنشر والتوزيع.

– عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة، دط. مصر: 2012، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

–عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، دط. بيــروت: 1980م منشورات مؤسسة الرســالة.ّ

–عبد القاهر الجرجاني، المقتصد في شرح الإيضاح، تح: كاظم بحر المرجان، دط. العراق: 1982م، دار الرشيد للنشر.

–عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة؛ نظم التحكم وقواعد البيانات، ط1. الأردن: 2002، دار الصفــاء.

– عبد المجيد جحفة، دلالة الزّمن في العربية؛ دراسة النّسق الزّمني للأفعال، ط1. المغرب: 2002، دار توبقال للنشر.

– عبده الراجحي، التّطبيق النحوي، ط2. مصر: 1420هــ/2000م، منشورات دار المعرفة الجامعية.

– عز الدّين المناصرة، الهويات والتّــعدّدية الثقافية، ط1. الأردن: 1425هــ/2004م دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

–عصام نور الدين، الفعل في نحو ابن هشام، ط1. بيروت: 1428هــ/2007م، دار الكتب العلمية.

–عصام نور الدين، الفعل والزمن، ط1. بيروت: 1984م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

– عمر بوسحابة، العولمة الثقافية، ط1. الجزائر: 2012، دار أشرعة النور للنشر والتوزيع.

–علي بن خليل البصراوي، شرح قواعد البُصروية في النّحو، تح: عزّام عمر الشجراوي، ط1. عمان: 1421هــ/2000م، مؤسسة الرسالة.

-علي بن محمد الجرجاني، التّعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، ط4. بيروت: 1418هـ/1998م، منشورات دار الكتاب العربي.

-علي توفيق الحمد ويوسف جميل الزعبي، المعجم الوافي في أدوات النّحو العربي ط2. الأردن: 1414هـ/1993م، منشورات دار الأمل.

-علي جابر المنصوري، الدلالة الزمنية في الجملة العربية، ط1. عمان: 2002 منشورات الدار العلمية الدولية.

- علي شلق، الزمن في اللغة العربية والفكر، ط1. بيروت: 2006، منشورات دار ومكتبة الهلال.

- علي كشرود، أحكام الصرف في اللغة العربية، دط. الجزائر:2003، دار القصبة للنشر.

- غالية محمد حسن، نزار قباني وأروع قصائده، دط. الجزائر: دس، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.

- فاضل صالح السامرائي، الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، دط. بغداد: 1390هـ/1971م منشورات مطبعة الإرشاد.

- فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في العربية، ط2. عمان: 1428هـ/2007م منشورات دار عمار.

- فريد الدين أيدن، الأزمنة في اللغة العربية، دط. اسطنبول: 1997، دار العبر للطباعة والنشر.

- كريم زكي حسام الدين، الزمن الدلالي؛ دراسة لغوية لمفهوم الزمان وألفاظه في الثقافة العربية، ط2. القاهرة: 2002، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

- كمال رشيد، الزّمن النّحوي في اللغة العربية، دط. الأردن: 1428هـ/2008م، دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع.

- مالك يوسف المطلبي، الزمن واللغة، دط. مصر: 1986، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ط4. القاهرة: 1425هـ/ 2004م مكتبة الشروق الدولية.

- محمد بن صالح العثيمين، شرح البلاغة، ط1. المملكة العربية السعودية: 1434هـ، منشورات مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية.

- محمد رضوان، أروع ما كتب نزار قباني شهريار هذا العصر، دط. القاهرة: 2011م، دار الكتاب العربي.

– محمد عبد الرحمن الريحاني، اتّجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية، دط. مصر: دس، منشورات قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
– مصطفى السعدني، بلاغة الزّمن في القرآن الكريم، دط. مصر: 1992، دار المعارف الاسكندرية.
– مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، دط. لبنان: د س، دار الشرق العربي.
– مهدي المخزومي، في النّحو العربي؛ نقد وتوجيه، ط2. لبنان: 1406هـ/1986م دار الرئد العربي.
– نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، دط. لبنان: دس، منشورات نزار قباني.
– نعيمة الزهري، الأمر والنهي في اللغة العربية. المغرب: دس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
– يمنى طريف الخولي، الزّمن في الفلسفة والعلم، دط. مصر: 1999، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

كتب إلكتـــــرونية:

– أحمد دعدوش، مشكلة الزمن من الفلسفة إلى العلم، ، دار ناشري للنشر الإلكتروني. 1431هـ/2011م (نسخة إلكترونية)
– سعيد الأفغاني، الموجز في قواعد اللغة العربية، دار الفكر للنشر الإلكتروني؛ قسم البرمجة والأنترنت، سوريا:2003.(نسخة إلكترونية).
–الموسوعة العربية العالمية، شركة أعمال الموسوعة للإنتاج الثقافي. ط2003 (نسخة إلكترونية).

المقـــــــــــالات:

–البشير جلول، "التحويل الزمني للفعل الماضي في العربية"، مجلة المخبر؛أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، كلية الآداب واللغات لجامعة محمد خيضر ببسكرة، الجزائر: 2011، ع6.
– عبد الباسط خليل محمد وآخرون، "الدلالة الزمنية للجملة الخبرية في سورة يوسف عليه السلام"، العراق: 2008، مجلة آداب البصرة، ع45.

–عبد القادر حامد، "معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم"، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة: 1958م، ج10.

– كريم حسين ناصح الخالدي وشيماء رشيد محمد زنكنة، "الخلاف في الزّمن في ضوء السّياق والحال وأسباب النّزول"، مجلة كلية التربية الأساسية، 2012، ع 75.

– محمد حسن قواقزة، "الدلالة الزمنية للأسماء في اللغة العربية: اسم الفاعل واسم المفعول والمصدر أنموذجا"، مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، الأردن: 2015، مجلد 42، ع1.

– محمد رجب محمد الوزير، "الدلالة الزمنية لصيغة الماضي في العربية"، مجلة علوم اللغة مصر: 1998م، منشورات دار غريب، مجلد:1، ع2.

– محمد رمضان البعّ وحسن أحمد النبيه، "أبنية الزمن ودلالاتها في اللغتين العربية والإنكليزية"، مجلة جامعة الأقصى (سلسلة العلوم الإنسانية)، فلسطين: 2011م مج:15 ع:01.

– هاني البطّاط، "مقولة الزمن؛القرينة والدلالة"، مجلو جامعة الخليل للبحوث، فلسطين: 2009 مجلد:4، ع1.

فهرس المحتويات

فهرس الموضوعات

الصفحة

مقدمة.....05
فصل تمهيدي:في أساسيات البحث.....15
المبحث الأول: تعريف الزمن.....15
المبحث الثاني: أنواع الزّمن.....18

أ- أنواع الزّمن باعتبار مستويات اللغة العربية:

1)الزمن الصوتي.....19

2) الزمن الصرفي.....19

3) الزمن النحوي.....20

4) الزمن الدلالي.....21

ب- أنواع الزّمن باعتبار حدوث الحدث:

1) الزمن الماضي.....22
2) الزمن الحاضر.....22
3) الزمن المستقبل.....23

المبحث الثالث:الزمن في الدرس اللغوي القديم.....24
الفصل الأول: الفعل الماضي ودلالتة الزّمنية في اللغة العربية.....32
المبحث الأول: دلالة الفعل الماضي على الزّمن الماضي المطلق.....32
المبحث الثاني: دلالة الفعل الماضي على الزّمن الماضي المقيّد.....37

- أنواع الجهة.....37
- جهة التّمام في الزّمن الماضي.....38
- جهة الاستمرار في الزّمن الماضي.....39
- جهة التكرار في الزّمن الماضي.....41
- جهة البعد في الزّمن الماضي.....43
- جهة القُرب في الزّمن الماضي.....43

- جهة البدء في الزّمن الماضي.....46
- جهة التّحوّل في الزّمن الماضي.....46

المبحث الثالث: دلالة الفعل الماضي على الزّمن الحاضر المطلق.....49

المبحث الرابع: دلالة الفعل الماضي على الزّمن الحال المقيد.....53

- جهة التّمام في الزّمن الحاضر.....53
- جهة الاستمرار في الزّمن الحاضر.....57
- جهة البدء في الزمن الحاضر.....57
- جهة التّحوّل في الزّمن الحاضر.....58

المبحث الخامس: دلالة الفعل الماضي على الزّمن المستقبل المطلق.....60

المبحث السادس: دلالة الفعل الماضي على الزّمن المستقبل المقيد..... 64

- جهة الاستمرار في الزّمن المستقبل.....64
- جهة التّكرار في الزّمن المستقبل.....65
- جهة القرب في الزّمن المستقبل.....66
- جهة البعد في الزّمن المستقبل.....66
- جهة التّحوّل في الزّمن المستقبل.....66

الفصل الثاني: الفعل المضارع ودلالته الزمنية في اللغة العربية.....69

المبحث الأول: دلالة الفعل المضارع على الزّمن الحال المطلق.....69

المبحث الثاني: دلالة الفعل المضارع على الزّمن الحال المقيد.....73

- **جهة التّمام في الزّمن الحال**.....74
- **جهة الاستمرار في الزّمن.** 75
- **جهة البدء في الزّمن الحال.**..... 77
- **جهة التّكرار في الزّمن الحال**.....78
- **جهة التّحوّل في الزّمن الحال**.....79

المبحث الثالث: دلالة الفعل المضارع على الزّمن المستقبل المطلق..... 81

المبحث الرابع: دلالة الفعل المضارع على الزّمن المستقبل المقيد 89

- **جهة التّمام في الزّمن المستقبل:**.....89
- **جهة الاستمرار في الزّمن المستقبل**.....90
- **جهة القرب في الزّمن المستقبل**.....92
- **جهة البُعد في الزّمن المستقبل**.....94
- **جهة التّحوّل في الزّمن المستقبل**.....96
- **جهة التّكرار في الزّمن المستقبل**.....98
- **جهة البدء في الزّمن المستقبل**.....98

المبحث الخامس: دلالة الفعل المضارع على الزّمن الماضي المطلق.....99

المبحث السادس: دلالة الفعل المضارع على الزّمن الماضي المقيّد.....104

- **جهة التّمام في الزّمن الماضي**.....104
- **جهة الاستمرار في الزّمن الماضي**.....104
- **جهة القُرب في الزّمن الماضي**.....106
- **جهة البُعد في الزّمن الماضي**.....107
- **جهة التكرار في الزّمن الماضي**.....108
- **جهة التّحوّل في الزّمن الماضي:** 110
- **جهة البدء في الزّمن الماضي**.....111

الفصل الثالث: فعل الأمر ودلالته الزّمنية في اللغة العربية.....114

المبحث الأول: دلالة فعل الأمر على الزّمن الحال المطلق: 122

المبحث الثاني: دلالة فعل الأمر على الزّمن الحال المقيد: 124

- **جهة التّمام في الزّمن الحال**.....124
- **جهة الاستمرار في الزّمن الحال**.....124
- **جهة البدء في الزّمن الحال**.....126
- **جهة التّحوّل في الزّمن الحال**.....126

المبحث الثالث: دلالة فعل الأمر على الزمن المستقبل المطلق.....128

المبحث الرابع: دلالة فعل الأمر على الزّمن المستقبل المقيد.....130

- **جهة التّمام في الزّمن المستقبل**.....130
- **جهة الاستمرار في الزّمن المستقبل**.....131
- **جهة القرب في الزّمن المستقبل**.....132

- **جهة البُعد في الزّمن المستقبل**.....133
- **جهة التّكرار في الزّمن المستقبل**.....134
- **جهة التّحوّل في الزّمن المستقبل**.....136
- **توضيحات لا بدّ منها**.....138

الفصل الرابع: دلالة كلمات أخرى من غير الفعل على الزّمن في اللغة العربية.....142

المبحث الأول: المصدر ودلالته عن الزّمن في اللغة العربية.....143

المبحث الثاني: المشتقات ودلالتها عن الزّمن في اللغة العربية.....155

المبحث الثالث: أسماء لها دلالة زمنيّة.....172

المبحث الرابع: حروف لها دلالة زمنية.....183

الخاتمـــــة.....189

قائمة المصادر والمراجع.....194

فهرس الموضوعات.....202

ملخص البحث بالعربية

يرمي هذا البحث إلى تسليط الضوء على نظام الزّمن في اللغة العربية، وذلك بالكشف عن جانب من الثراء الذي تتمتّع به اللغة العربية في التعبير عن مختلف الدلالات الزّمنية التي يريدها المتحدث بها، ويرّكز على بيان الجهات الزمنية المختلفة التي قد يدل عليها الفعل بعد دخوله في السياقات المختلفة، وتفاعله مع مختلف القرائن اللفظية والمعنوية التي قد يتلبّس بها. كما يحاول هذا البحث أن يبّين إسهام الكلمات الأخرى كالمصادر والمشتقات وأسماء الزمن وحروف المعاني وغيرها من الكلمات في إثراء المنظومة الزمنية للغة العربية. وذلك بالتركيز دائما على السياق والقرائن المختلفة المصاحبة لهذه الكلمات داخل التركيب.

Abstract:/ملخص البحث بالإنجليزية

This research tries to take a look at tense system in arabic language by concentration on the context and different tools which come before verbs in a sentence. Its main objective is to demonstrate tense variation of this language. Besides it is as a response to those who claim the opposite.

.